كلمة العدد

الوثيقة في عيدها الفضي

بقلم سعادة الشيخ عبد الله بن خالد آل خليفة

عزيزي القارئ

بفضل الله وعونه تكمل "الوثيقة" بهذا العدد ربع قرن منذ صدورها حرصت طوال هذه المدة أن تكون دائماً عند حسن الظن وأن تلتزم بكل دقة بالخط أو المسار الذي حددته منذ عددها الأول وهو الالتزام بالحيدة والموضوعية وبذل الجهد كل الجهد في البحث عن الحقيقة المعتمدة على الوثائق الأصلية وأن تكون نافذة نطل منها على تاريخ ماجد وعريق نسجت خيوطه فوق منطقة الخليج، وهو التاريخ الذي عبثت به بعض الأقلام بحسن نية أو بسوء نية وقدمت منه فصولاً ينقصها الكثير من الدقة والتمحيص . لقد فتحت المجلة ومنذ عددها الأول صفحاتها لكل الأقلام الجادة من البحرين وخارجها ونشرت مئات الأبحاث التي تغطي الكثير من الموضوعات أو الفترات التي كانت مجهولة بالنسبة للبحرين والخليج . لقد وضعت الكثير من النقاط على الكثير من الحروف وقدمت صفحات ناصعة للجيل الجديد من الباحثين الذين نذروا حياتهم للبحث التاريخي الذي كان من أبرز

التحديات التي تواجه الكثيرين على الساحة الخليجية العريضة . لقد كان المعتاد للباحث في التاريخ في السابق أن يشد الرحال إلى القاهرة أو الهند أو أوروبا يبحث وينقب هنا وهناك عن وثيقة تلقي الضوء على موضوع يبحثه أو يدرسه أو يدرّسه مع ما يتحمله في سبيل ذلك من جهد وما يثقله من نفقات فقامت الوثيقة ومنذ اللحظة الأولى بحشد أكبر عدد ممكن من الوثائق التي تتعلق بالبحرين والمنطقة . . فنقلت كل ما يتعلق بهذا الموضوع من أرشيف محمد علي بالقلعة المصرية كما نقلت آلاف الوثائق من تركيا والهند ومن لندن ومن البرتغال وتم تصنيف هذه الوثائق وتبويبها وإتاحتها لجيل من الباحثين اعتمدوا عليها في إعداد الكثير من الأبحاث الجامعية واعتمدوا عليها أكثر في إعداد رسائلهم لنيل درجات الماجستير والدكتوراه . كل ذلك وهم في بلادهم دون أن يتحملوا مشقة السفر أو تكاليف الانتقال .ولم تكتف الوثيقة بذلك بل أتاحت كل الإمكانيات لنشر العديد من الأبحاث بأقلام أبرز المؤرخين العرب والأجانب حرصت في اختيارها أن تغطي بعض الفترات التي كانت مجهولة في تاريخ البحرين والمنطقة . وقد كانت السياسة التي سارت عليها والتزمت بها أن تقدم في الموضوع الواحد أكثر من بحث حتى تتاح الفرصة للرأي والرأي الآخر وحتى يُكمل البحث البحث الآخر ويتكون من هذا الحشد مجموعة من الأفكار التي تفتح آفاقاً جديدة أمام الباحثين .

وقد تصدت الوثيقة وطوال خمسين عدداً صدرت منها منذ عام ١٩٨٢م حتى الآن لظاهرة سادت كتب معظم المؤلفين الكبار خاصة من الأجانب وهي المراجع التي كانت الأساس الأول لكثير من الباحثين في تاريخ المنطقة .

هذه الظاهرة هي عدم استطاعة الكثيرين من هؤلاء المؤلفين الكبار أو كلهم تقريباً استيعاب بعض العلاقات الإنسانية أو بعض التقاليد العريقة التي تسير عليها الحياة في المنطقة . وكانت النتيجة الخروج بنتائج كانت أبعد ما تكون عن الواقع مما وقع فيه بعض المؤلفين الأجانب الذين كتبوا عن المنطقة وقد تم تصحيحها بموضوعية وتصحيح الكثير من النتائج التي تمخضت عنها .

وكان من أهداف الوثيقة توفير المادة البحثية الخام التي تتيح لجيل من الباحثين التصدي لإعادة كتابة تاريخ المنطقة . وقد نجحت في ذلك إلى حد بعيد وأصبح الآن أمام الباحثين آلاف الصفحات التي تمثل لهم أرضية عريضة وأساساً راسخاً لما يمكن أن يتصدوا له من موضوعات . ولم تغفل الوثيقة خلال حشدها لهذه الموضوعات أن تواكب الأحداث السياسية الهامة والمستجدة على الساحة، فقامت بتغطية هذه الأحداث وتسجيلها لتكون بدورها مرجعاً معتمداً للمستقبل بإذن الله . وقد حرصت الوثيقة على دعم العلاقات مع شقيقاتها الخليجيات بالتوازي مع جهود مركز الوثائق التاريخية الذي تصدر عنه في سعيه الدائم لدعم العلاقات مع المراكز في كل دول الخليج والجزيرة العربية وتبادل الوثائق مع هذه المراكز حتى لا تقف الخدمات التي يقدمها المركز عند حدود البحرين فقط وإنما تمتد ليستفيد منها كل باحث خليجي . . بل كل باحث عربي . . هذا بالإضافة إلى الحرص على تنظيم مؤتمرات تدعو لها كبار المؤرخين والباحثين العرب للحديث حول موضوع واحد مطروح لإثراء البحث التاريخي فيه ولتقديم زخم ثقافي يضاف إلى ما تم حشده من قبل مثلما حدث في مؤتمر البحرين عبر التاريخ الذي استضافته البحرين .

إننا لا ندعي الكمال فالكمال لله وحده . . ولكننا ندعي أننا بذلنا أقصى الجهد وكل الطاقة لنكون دائماً عند حسن ظن القارئ . . ونحن نعلم جيداً أن الطريق طويل وشاق . . ولكننا ندرك أيضاً، وقد نذرنا أنفسنا لهذه المهمة الشاقة، أننا قدمنا شيئاً مفيداً وأننا بعون الله ماضون على الدرب لتقديم المزيد آملين أن نكون قد وفقنا إلى تحقيق ما وعدنا به القارئ منذ العدد الأول وعبر خمسين عدداً صدرت حتى الآن .

والله ولي التوفيق

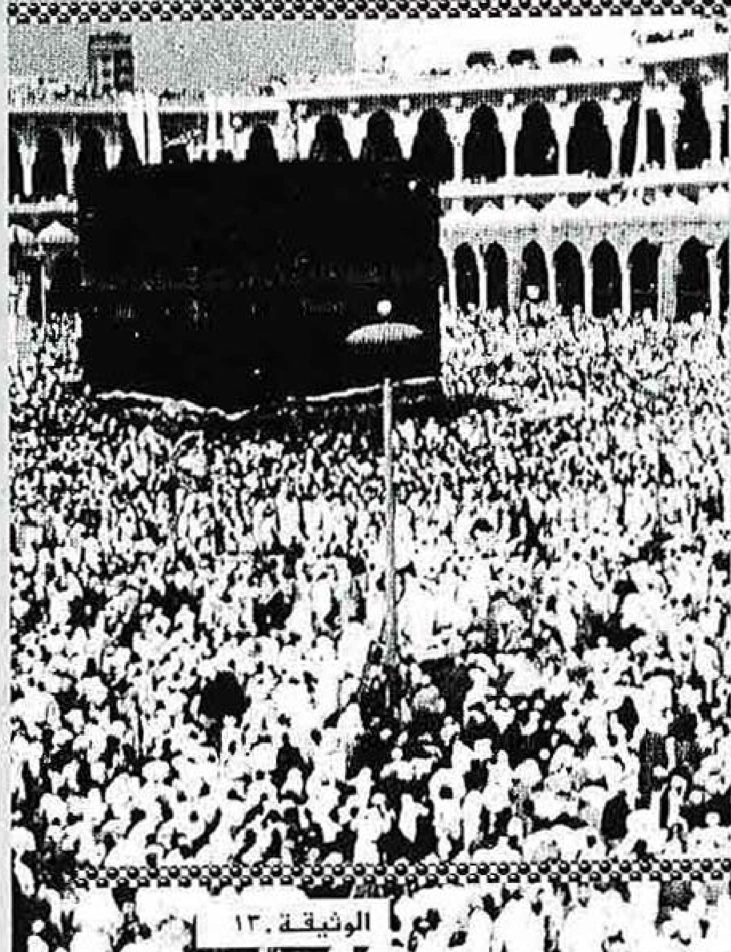
عبد الله بن خالد آل خليفة

صفحات من التاريخ الاجتماعي

بقلم الدكتور علي أباحسين

سبق أن استعرضنا بالعرض السريع في عدد سابق نبذة عن أحوال مكة الاجتماعية . فوجدنا أن القليل من المؤرخين دونوا طرفاً يسيراً عن التاريخ الاجتماعي في مكة اللهم إلا أن ابن جبير (ت ٦١٤هـ) في رحلته وابن المجاور المتوفى (٦٩٠هـ) وآخرون قد أمدونا مع بعض أصحاب الرحلات بمزيد من النصوص عن حياة المجتمع في مكة في أواخر العصر العباسي . وقد عاش ابن المجاور وابن جبير في العصر الأخير من عمر الدولة العباسية . وكل منهما كشاهد عيان رحل مع قافلة الحج العراقي فوصفها ثم دخل مكة ووصف الأحوال الاجتماعية فيها . لذا حظي العصر العباسي الأخير دون سابقه من العصور بوضوح تلك الأحوال الاجتماعية بفضل ابن جبير فجاء في وصفه للمجتمع المكي ما يغني الباحث إلى حد كبير . أما العصور السابقة فليس فيها إلا اليسير النادر .

...اعي في مكة المكرمة
أيام العباسيين



الوثيقة ١٣

والباحث في تاريخ الحياة الاجتماعية في مكة المكرمة خلال القرن الأول الهجري يجد إلى حد كبير علاقة اجتماعية لا سياسية بين الشام ومكة والمدينة . فالذوق العربي كان واضحاً في العهد الأموي والعلاقة متينة بين الشام والحجاز . بينما تجد الطابع الفارسي تارة والتركي تارة أخرى في العادات والتقاليد واللباس والطعام والفنون في العصر العباسي الأول والثاني[١] .

ونظراً لمكانة مكة المكرمة وقدسيتها فقد انعكس ذلك على عادات وتقاليد أهلها . فمثلاً كان أهل مكة يوقدون المصابيح والسرج والشموع في فجاج مكة للمعتمرين والحجاج مخافة تعرضهم للسرقة[٢] .

وبعد موسم الحج تعم الأفراح ويكثر الزوار والتنزه في البساتين كالطائف والزاهر ووادي فاطمة وغيرها[٣] . ويصف المقدسي (٣٧٥هـ) المجتمع في مكة في القرن الرابع الهجري فيقول : قرب مكة تنصب القباب ليلة الفطر ويزين السوق . وإذا صلوا الغداة أقبلت النساء يطفن بالبيت . ولا يرى أحسن من زي أهل مكة في خروجهم إلى الحج[٤] . ويستطرد المقدسي فيصف أخلاق أهل مكة وهم يتحلون بالتعاليم الإسلامية والأخلاق السامية كالأمانة والصدق[٥] . أما ذكر ابن خلدون في مقدمته بأن أخلاق التجار نازلة عن أخلاق الرؤساء . فلعل ذلك يصدق على ما قبل الإسلام أو على التاجر الذي لا يطبق تعاليم القرآن وسنة النبي الكريم عليه الصلاة والتسليم ، أما التاجر الذي يتحلى بالأخلاق الإسلامية القويمة فإن أخلاقه أرفع عن غيره من التجار وبذلك يميل الناس للتعامل معه لصدقه وأمانته ولا يرغبون في التعامل مع البائع الذي لا يتصف بهذه الصفات وغيرها من المزايا الإسلامية السامية . وقال ابن الجوزي وهو يصف موسم الحج في مكة : إن المكيين يأتون بالهدايا كما جرت عادتهم والطبول بين أيديهم ويمضون إلى ديوان الوالي وهذا ما حدث في عام ٥٦٤هـ[٦] .

أما ابن جبير (ت ٦١٤هـ) فيصف احتفالات أهل مكة في القرن السادس الهجري في أواخر الدولة العباسية حيث نرى أثر الطابع الديني على مواسم الأعياد .

ففي اليوم التاسع والعشرين من شهر رجب يفرد البيت للنساء خاصة فيجتمعن من كل أوب وقد تقدم احتفالهن لذلك بأيام كاحتفالهن للمشاهد الكريمة ولم يبق بمكة امرأة إلا دخلت المسجد الحرام ذلك اليوم وطفن وقبلن الحجر واستلمن الأركان مستقلين . وهذا

هو اليوم الذي ينتظرنه من عام إلى عام فهن يرقبنه ارتقاب أشرف الأعياد ويكثرن من التأهب والاستعداد .

وأما حفل (ختم القرآن) فقد شاهده ابن جبير فوصفه بقوله : حضر ختم القرآن القاضي وجماعة من الأشياخ لأحد أبناء أهل مكة فلما فرغوا منها قام الصبي الذي ختم القرآن قام فيهم خطيباً ثم استدعاهم أبو الصبي إلى منزله إلى طعام وحلوى أعدهما وذلك بعد أن ساروا بموكب يقطع طرق مكة(٧) . ويستطرد ابن جبيـــر في وصف عادات أهل مكة(٨) .

وفي النصف من شعبان يحتفلون بزيادة ماء زمزم وأنكر ابن جبير ذلك فقال : لم أر زيادة في ماء زمزم في تلك السنة كما يزعمون(٩) .

وفي ليلة النصف من شعبان توقد المشاعل والسرج لأنها ليلة معظمة عند أهل مكة وكذلك في أول ليلة من شهر شوال يسرجون المصابيح والشمع وتوقد السرج في الحرم كله وسطح المسجد الذي بأعلى جبل (أبي قبيس) والناس ما بين طواف وصلاة حتى ما بعد صلاة الصبح(١٠) . في السابع والعشرين من شهر رمضان يشعل أهل مكة المصابيح والشموع وفي المنازل كان الصبيان يعملون كور من القماش يدهنونها بالسليط ويشعلونها في وقت واحد على أسطح منازلهم فيرى بذلك منظر غريب وجميل في نفس الوقت(١١) .

وإذا أهل شهر رجب أمر أمير مكة بضرب الطبول والبوقات إشعاراً بدخول الشهر ثم يخرج في أول يوم منه راكباً ومعه أهل مكة فرساناً ورجالاً على ترتيب عجيب وكلهم يلعبون بالأسلحة بين يديه والرايات والطبول إلى أن ينتهوا إلى الميقات ثم يأخذون بالرجوع على معهود ترتيبهم إلى المسجد الحرام فيطوف الأمير بالبيت والمؤذن الزمزمي بأعلى قبة زمزم يدعو له عند كل شوط فإذا طاف صلى عند الملتزم والمقام وخرج ليسعى راكباً ثم يسير إلى منزله وبذلك يكون قد أنهى العمرة الرجبية . وهذا اليوم عيد عند أهل مكة يلبسون فيه أحسن الثياب والشهر كله أعياد وخاصة السابع والعشرين منه وفيه الإسراء والمعراج حيث يخرج أهل مكة بالهوادج إلى (التنعيم) والمصابيح مشتعلة بجانب الطريق في أباطح مكة ويعودون لإتمام العمرة الأكمية كما يسمونها لأنهم يحرمونها أمام أكمة مسجد عائشة رضي الله عنها على مقربة من المسجد المنسوب للإمام علي كرم الله وجهه(١٢) ولازالت هذه العادة كما نشهدها إلى الآن .

وفي ليلة هلال شهر شوال يسرجون المصابيح والسرج . وفي الصباح يلبسون ملابس العيد ويبادرون لصلاة العيد في المسجد الحرام فيبكر الشيبيون لفتح الكعبة وينتظرون أمير مكة وعندما يأتي يطوف بالبيت سبعاً ثم يتقدم الخطيب بين الرايتين السوداوين وهو لابس السواد فيصلي خلف المقام الكريم ثم يصعد المنبر ويخطب وإذا ما فرغ من الخطبة يقبل بعضهم على بعض بالسلام والمصافحة فيدخل بعضهم الكعبة ثم يخرجون للزيارة ومن عادتهم في استهلال الشهور أن يأتي أمير مكة وقواده وقد لبس البياض وتقلد سيفاً فيصلي عند المقام الكريم ركعتين ثم يقبل الحجر الأسود ويطوف وينصرف[١٣] .

ومن أعياد مكة عيد المولد النبوي الشريف ويوم عاشوراء وآخر أربعاء من صفر[١٤] .

وفي شهر الحج تدق الدبادب بمكة من أول يوم في الشهر إلى يوم الصعود إلى عرفة ودبادب أمير مكة هي نوع من الطبول كانت تستعمل في كثير من المناسبات مثل الأعياد[١٥] ووصف (ابن المجاور) القريب العهد بالتاريخ العباسي فقال : أن في مكة كثير من المجاورين والغرباء وأهل البلدان المختلفة منهم من عشائر وقبائل مختلفة ذوو قناعة وكان أحدهم يبقى على قرص وقليل سمن ثلاثة أيام بلياليها وملبسهم النصافي الرفيع ويتحزم بنصفه الثاني . ولبس نسائهم القنوع والبراقع ومأكولهم السمن واللحم والخبز وأساميهم سالم ومسلم وغانم وغنام وفراج وفارح وقاسم ووثاب وراشد ورشاد وفاضل وفضائل وطالب وواصل وراجح وهاني (فأسماؤهم على وزن فاعل)[١٦] .

ويستطرد ابن المجاور فيقول : وفي مكة الأشراف من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ وما بقي من أهلها قرشيين وهم رجال سمر لأن جلة مناكحهم من الحبش والنوبة طوال الجثث صحيحين اللغة قليلين المال كثيرين العشائر والقبائل[١٧] .

ويبدو أن تجارة الرقيق كانت رائجة في أواخر العصر العباسي في مكة حيث تجلب الجواري من أفريقية وكن يستخدمن في البيوت كزوجات وقد أدى ذلك إلى ظهور عنصر هجين من القرشيين والأفارقة على حد قول ابن المجاور ولما كانت مكة مركزاً تجارياً فقد دخلها من العشائر والقبائل ومن كل عنصر وجنس ولون واستقروا بها فأصبح سكانها يتكونون من خليط غير متجانس، تربطهم الروابط الروحية وهي رابطة الدين وروابط مادية كالتجارة ونحوها .

وفي (المآتم) يتوارد الناس بعد أن تفيض الروح إلى بارئها فتأتي النسوة ويجدن قصعة على باب القاعة فيها معجون الحنا فيحنين منها إحدى أيديهن ثم يدخلن إلى القاعة معزيات صاحبة المصيبة ثم يجلسن وينصرفن وبعد الدفن يتوارد الرجال إلى أهله معزين ثم ينصرفون لوقتهم(١٨) ومنهم من يعزيهم في المقبرة بعد الدفن مباشرة .

أما (الزواج) في مكة في العصر العباسي فقد اعتاد أهل مكة أن يخطب زيد بنت عمرو في العاشر من ذي الحجة وفي العاشر من محرم يدخل كل واحد منهم في عرسه وبالنظرة والتطهير وقلنا لم ذلك ؟ قالوا لأن كلاً منا يعيش مع الحاج في كل فن من الفنون فإذا رحل الحاج دار الخطب والنكاح على سنة الرسول ﷺ والأفراح والأعراس بين الناس فإذا تزوج رجل من أهل مكة وقطع المهر وأراد الدخول على المرأة يخضب الرجال أيديهم وأرجلهم وتزين ويحضر كل أصدقائه من الأهل والأقارب وبيده قرطاس مشرق مكتوب عليه اسم الآتي مع وزن المبلغ وعدده يقدمه قدام العروس كل على قدر حاله وسعة ماله وكذلك يفعل النساء ويخرج العريس إلى الحرم ويطوف سبعاً ويصلي في مقام إبراهيم ركعتين ويقبل الحجر الأسود ويخرج بالشمع إلى بيت العروس فتجلى عليه ويدخل عليها ويبقى عندها سبعة أيام . ففي اليوم السابع يخرج يضم الطرح الذي طرح له ويدبره رأسمال في يده وعند ذلك يفتح له دكاناً يعيش به ويكون ذلك الطرح ديناً عليه وكل من تزوج من القوم الذين حضروا العرس يرجع يرد إليهم الذي أخذ إلى كل واحد من القوم مثل الذي جاء به إليه أو أزيد منه وكذلك يفعل الآخرون(١٩) .

وهكذا يفعل أهل مكة في العرس أن يعطون (الطرح) في الأفراح والأعراس فإذا أعطت المرأة في عرس رد إليها في عرس مثله – وإن كان في ختان رد إليها في ختان وإن كان في ولادة رد إليها في الولادة ولم تـرد الشيء إلا في الوجـه الذي كان منه وفيه بعينه(٢٠) .

وكانت حفلات الزواج في غاية البساطة في صدر الإسلام وكان الزواج يومين : يوم الإملاك وهو يوم العقد وفيه يجتمع ذوو الفتاة في ساحة دارهم ويقدم أقارب الفتى حتى إذا التأم جمعهم خطبهم ولي الفتى خطبة رقيقة ثم يرد ولي الفتى في خطبة قصيرة يضمنها الرضاء، ثم تنحر الجزر وتمد الموائد ويسمع الغناء في مجالس النساء وتسمى وليمة ذلك اليوم (النقيعة) .

ويوم البناء : وفيه يتبارى العرب في الاحتفالات فيلعبون الرجام ويتسابقون بالخيل ويجلس النساء على النمارق ويودعون الحفل بقولهم (باليمن والبركة على خير طائر)(٢١) .

ويدعو الأهل والأصدقاء رجالاً ونساءً فيجلس الرجال خارج البيت المعد لهم ويقوم النساء فيأكلون جماعات وينصرفون . أما النساء فيدخلن البيت فيجدن على باب القاعة قصعة كبيرة مملوءة بالحنا فتصبغ المرأة منهن إحدى يديها فتدخل وتسلم وتجلس ويتجاذبن أطراف الحديث حتى منتصف الليل ويزفن العروس إلى بعلها ثم يعدن إلى بيوتهن بعد أن يطوقن عنقها بعقود زهر الفل(٢٢) .

ونساء أهل مكة بارعات الحسن فائقات الجمال ذوات صلاح وعفاف وهن يقصدن الطواف بالبيت في كل ليلة جمعة(٢٣) .

وكان من عادات المرأة إذا اغتاظت من زوجها تقول له أبرك على أربع فيقول لها بالله عليك لا تفعلي وهي تعني أنها لا تفعل شيئاً من أعمال المنزل .

وكل من المرأة والرجل يستعمل الطيب .

أما (**طعام**) أهل مكة فإنهم يكتفون بالقليل في أيامهم الأولى كعادة العرب فطعامهم لون أو لونين وخير أدمهم اللحم ولكن سكان المدن ومنهم أهل مكة قد أخذوا بالعناية بالطعام والتفنن به أكثر من أهل البوادي ومن أطعمتهم (**الثريد**) وهو الخبز يفت ويبل بالمرق ويوضع فوقه اللحم . و(**الربيكة**) وهي شيء يطبخ من بر وتمر ويعجن بالسمن ولعله يشبه الهريسة أو العصيدة . و(**القديد**) وهو من ألوان الطعام عندهم .

ويحكي المسعودي أنه كان يأتي لمكة ورق التامبتول ليمضغ وأنه في ذلك العصر غلب مضغه على أهل مكة وغيرهم من أهل الحجاز واليمن بدلاً من الطين (**طين خاوة**) .

ومن الأطعمة الشائعة في الحجاز (**الكشكية**) وهي حساء من القمح والشعير وزبد لبن الشاة وربما أضيف إليه اللحم و(**السميذه**) وهي من الخبز الأبيض المصنوع من لباب الدقيق ويعتبر من أغذية الأغنياء .

أما (**الفريك**) فهو طعام يفرك ويلت بالسمن .

و(**الفالونج**) وهو لباب البر يخلط مع العسل .

وكان الأغنياء يعملون ألواناً من الطعام . وأما الفقراء فاقتصرت أغذيتهم على صنف أو صنفين وشرابهم اللبن أو شراب العسل وحده وكان يدعى (**الحلواء البارد**)(٢٤) .

أما الثلج فلم يكن ميسوراً بمكة مثل بغداد والموصل وقد حمل الثلج للمهدي الخليفة العباسي من الموصل إلى مكة ولم يحمل لخليفة من قبله[٢٥] .

وقال المقدسي : فلا ثلج لأهل مكة ولا جليد ولا فواكه في الشتاء، ولا قديد إلا ما يجفف من ذبائح منى[٢٦] .

هذا ما كان في مكة في أيام العباسيين في القرن الرابع الهجري . ومأكولهم اللحم والسمن والخبز[٢٧] .

ويعملون الولائم حين عقد الزواج ومتى صنع أحدهم وليمة يبدأ بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين ويكون أكثر المساكين والمنقطعين بالأفران حيث يطبخ الناس أخبازهم فإذا طبخ أحدهم خبزه واحتمله إلى منزله يتبعه المساكين فيعطيهم[٢٨] .

ونقل الملك الظاهر بيبرس في موكب الحج الطعام واللباس والمشموم والمشروب والقدور من فضة ونحاس للطبخ والخضروات والبقول والرياحين في أحواض من خشب تحمل على جمال ورتب الأفران وغيره .

ومن عادة أهل مكة أنهم يتناولون الطعام مرتين في اليوم في الضحوة وبعد صلاة العصر ويفطرون عادة في شهر رمضان في الحرم بعد صلاة المغرب يمدون الموائد[٢٩] .

أما (لباس) أهل مكة فقد تنوع لتنوع سكانها والشائع لبس الأزر . والأزر يلبسونها بلا قميص إلا القليل وأكثر ثيابهم القطن منتعلين لا يقولون بالماطر[٣٠] ويلبسون النصافي الرفيع ويتحزم الرجل بنصفه الثاني ولبس نسائهم القنوع والبراقع[٣١] .

ويلبس القضاة والعلماء العمامة السوداء على قلنسوة طويلة في العصر العباسي الأول ثم صغرت القلانس في العصر العباسي الثاني[٣٢] .

وكان أبو الدرداء يلبس قلنسوة مصرية صغيرة وعليه عمامة قد أرخاها بين كتفيه[٣٣] . ويكثر في لباس المكيين اللون الأبيض والألوان الزاهية الأخرى[٣٤] . ولعل سبب ذلك البيئة الحارة .

وامتاز العصر العباسي بلباس (القباء) وهو يشبه الثوب مفتوح الرقبة ولا يطول إلا إلى الركبة كان يلبسه الخليفة مرصعاً بالجواهر . وانتقل هذا اللباس إلى مكة ولكن بصورة متواضعة ولم يكن يرتدي هذا النوع من اللباس عامة الشعب وإنما يقتصر على أولاد العباسيين وكبار رجال الدولة .

ويلبس العلماء والقضاة العمامة والطيلسان (وهو كساء يتوشح به المشايخ) وكانت قلانيسهم تحت العمامة طويلة مخروطية الشكل . ويلبس العامة إزاراً يشبه الفوطة وقميصاً ويتمنطقون عليه بحزام وتضيف الطبقة الراقية قفطاناً وجبة أو عباءة . أما غير العامة فكانوا يلبسون القلنسوة فقط فوق (كلوته) من الحرير والكلوته أشبه بالكوفية أو الطاقية .

والنساء يلبسن الجلباب الملون والقمصان المشقوقة عند الرقبة ويربطن رؤوسهن بعصابة تزينها الطبقة الراقية ببعض الحلي الثمينة وقد يتصل بالعصابة منديل يسدل على الوجه فيحجبه . ويلبسن الملاءات الفضفاضة وكن يلبسن نوعاً من الحلي مثل الخلاخل والأساور وعرفت فيما بعد ثياب جديدة من الحرير والكتان وأنواع براقة تتلألأ إذا انعكست عليها أشعة الشمس(٣٥) .

وقلت الرغبة في الألوان المصبوغة من الثياب فعم اللون الأبيض وأضاف الكبراء اللون الأسود إلى العباءة والجبة لأنه شعار العباسيين وقد ألزم فيه أصحاب المراتب(٣٦) .

ويلبس الفقراء والزهاد الثياب الغليظة من الصوف فقد لبس سفيان الثوري — الذي قضى جانباً من حياته بمكة — كان يلبس إزاراً غليظاً قدر أربعة أذرع ثمنه أربعة دراهم(٣٧) .

وكان أهل مكة يلبسون الخواتم ويتطيبون بماء الخلوق ويدهنون الشعر بالزيوت ويكتحلون(٣٨) .

أما (وسائط النقل) المستخدمة في مكة في العصر العباسي فهي الإبل والخيل والبرازين وهي للأغنياء، أما العامة فيركبون البغال والحمير المريسية — نسبة إلى ناحية في صعيد مصر — وقال الأصفهاني : قدم ابن الجامع من مكة على الرشيد وهو يلبس لباس الفقهاء ويركب حماراً مريسياً في زي أهل الحجاز(٣٩) . واشتهرت مكة في (الأربطة) وهي الأماكن الاجتماعية لأهل الذكر والفقراء . كما أن بعضها أصبحت لطلبة العلم يقيم فيها الغرباء منهم أولئك الذين يفدون إلى البلد الأمين من غير أهلها ليطلبوا العلم وهذه لاشك من أعمال الخير فهي أماكن للتعارف تضم من كل الناس وعلى كافة المستويات وفيها تعاون وتعارف وتعلم . ويعيش الفقراء مع الفقهاء ولكل أمة عاداتها وتقاليدها المتوارثة .

والأربطة ظاهرة اجتماعية متوارثة فيها عبادة ودرس وذكر، أما إذا تحولت إلى ما يشبه دور العجزة فهي لم تؤد رسالتها أيام كانت أماكن للبحث والمناقشة ومساعدة المساكين والمنقطعين للعبادة في بلد العبادة حيث هيأ الله بعض أهل المال لبناء دور لهم تأويهم وتكفيهم شر التشرد وليتفرغوا للعبادة وطلب العلم في غرف صالحة للسكن دون أن يدفعوا شيئاً . وأحياناً كان لهذه الأربطة من يقوم بخدمتها .

وكان الرباط معروفاً ببغداد كما هو في مكة أنشئ لخدمة طلاب العلم والغرباء .

وللرباط مدلول حربي وفي مفهومه الديني جهاد النفس . وأطلق على ساكني الرباط (الفقراء) لأنهم يعيشون على الوقف والبر والإحسان ومجازاً لأنهم فقراء إلى الله تعالى والواحد منهم فقير(٤٠) .

وورد لفظ (المرابطة) في القرآن المجيد من قوله تعالى "يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون"(٤١) ويرادفها مرابطة النفس الأمارة بالسوء والمجاهدة لها وقتال شهواتها كما أصبح معناها انتظار الصلاة بعد الصلاة بقول رسول الله ﷺ : "ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات . قالوا بلى يا رسول الله قال : إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطى إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط" . وبذلك شبه الأفعال الصالحة بالرباط(٤٢) .

ومن الأربطة في مكة أيام العباسيين :

رباط الوقس : بقرب رباط الأخلاطي ويقع في أعالي مكة ووقف في أواخر القرن الثاني الهجري(٤٣) .

رباط السدرة : وكان موقوفاً سنة ٤٠٠ هجرية وهو أقدم رباط ذكر في (تحصيل المرام) ويقع في الجانب الشرقي من المسجد الحرام على يسار الداخل من باب السلام أو باب بني شيبه وموضعه دار القوارير التي بنيت في زمن الرشيد(٤٤) .

رباط الفقاعية : وأوقف سنة ٤٩٢هـ(٤٥) ويقع عند الباب المنفرد في زيادة دار الندوة وكتب في الحجر الذي على بابه وفيه أن قهرمانة المقتدى الخليفة العباسي الذي تولى الخلافة سنة ٤٦٧ وتوفي سنة ٤٨٤ وقفته على المنقطعات الأرامل(٤٦) .

رباط الدمشقية : بالخرامية (الحزامية) وأوقف سنة ٥٢٩هـ وفيه بئر عمرتها زوجة تقي الدين بن صلاح الدين يوسف بن أيوب (صلاح الدين الأيوبي) سنة ٥٨٩هـ(٤٧) .

رباط رامشت : ويقع عند باب الحزورة في الجانب الغربي من المسجد الحرام . رامشت هو الشيخ أبو القاسم إبراهيم بن الحسين الفارسي وأوقفه على جميع الصوفية الرجال دون النساء من سائر العراق وتاريخ وقفه ٥٢٩هـ[٤٨] .

رباط السبتية : وكان موجوداً سنة ٥٢٩هـ وفيه بئر .

ورباط أبي القاسم بن كلامه الطيبي : بالمسعى وأوقف سنة ٥٤٤هـ .

ورباط القبلاني : عند باب المسجد المعروف بباب الجنائز وقفه ٥٧٥هـ ويعرف برباط المراغي ولعله رباط القبلاني المذكور، وقال الفاسي . ورباط قاضي القضاة أبي بكر محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم المراغي الملاصق لرباط السدرة في الجانب الشرقي من المسجد الحرام[٤٩] ورباط أوقفته الشريفة صالحة بنت الأمير محمد الحسني وتاريخ وقفه ٥٧٧هـ ولعلها الخاتون ورباطها معروف اليوم – على حد قول الفاسي – فإن رباط الشريفة فاطمة وليست الشريفة صالحة وهو المعروف برباط ابن محمود والخاتون هي الشريفة فاطمة بنت الأمير أبي ليلى محمد بن أنوشروان الحسني المعروف بابن محمود وكتب في الحجر على بابه وقفه ٥٧٧هـ[٥٠] .

وبقربه رباط صالحة : لم يعرف الفاسي من وقفه ولا متى وقف والأرجح أنه رباط صالحة بنت الأمير الحسني وتاريخ وقفه سنة ٥٧٧هـ المذكور .

ورباط أبي سماحة : وسمي كذلك لسكناه به ويقع قرب المجزرة الكبيرة من أعلاها على يمين الذاهب إلى المعلاة وأوقفه الأمير قايماز بن عبد الله سلطان الروم والأرمن أبي الفتح قليج بن أرسلان بن مسعود بن قليج بن أرسلان السلجوقي وأوقفه على المجاورين والمقيمين المنقطعين بمكة من أصحاب الإمام أبي حنيفة سنة ٥٧٨هـ على ما في الحجر الذي على بابه[٥١] .

ورباط العطيفية : أوقفته أم الناصر لدين الله الخليفة العباسي في سنة ٥٧٩هـ كذا في الخشب الذي على يمين بابه، وسمي رباط العطيفية لأن الشريف عطيفة صاحب مكة يسكنه[٥٢] .

ورباط الزنجبيلي : وقبالته مدرسته عند باب العمرة خارج المسجد الحرام بينه وبين المسجد دار وتاريخهما واحد سنة ٥٧٩هـ[٥٣] .

ورباط ابن السوداء : سمي كذلك لسكناه به ويقع عند باب الدربية وأوقفته أم خليل خديجة وأم عيسى مريم ابنتي القائد أبي تامر المبارك بن عبد الله القاسمي، وقفتاه

على الصوفيات الخاليات من الأزواج الشافعيات المذهب وقيل أن تاريخ وقفه سنة ٥٩٠هـ[٥٤].

وفي أعلا مكة ثلاثة أربطة يقال لها ربط الأخلاطي بعضها على النساء الحنفية من المجاورات والقادمات وبعضها وقف على أهل مدينة أخلاط الصالحين القاصدين البيت الحرام وبعضها وقف سنة ٥٩٠هـ والبعض الآخر في سنة ٥٩١هـ[٥٥].

ورباط العفيف : ويقال له رباط أبي قتيبة لسكناه به والعفيف هو الذي أوقفه وهو عبد الله بن محمد الأرسوفي عنه وعن موكله وشريكه القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي البيساني ٥٧١هـ صاحب المدرسة التي بقربه وقف على الرجال دون النساء على ألا يزيد الساكن في السكن على ثلاث سنين.

ورباط الربيع : وواقفه على موكله الأفضل علي بن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب (صلاح الدين الأيوبي) وتاريخ وقفه ٥٩٤هـ.

ورباط ابن الغنام : أوقفه السلطان الملك العادل سلطان الهند محمد بن أبي علي سنة ٦٠٠هـ.

رباط الموفق : بأسفل مكة وقفه القاضي الموفق جمال الدين علي بن عبد الوهاب الإسكندري سنة ٦٠٤هـ على المغاربة وفقراء العرب المتجردين ليس للمتأهلين وفيه بئر.

رباط الخوزي : قرب جدار الحرم الغربي وهو جدار الخوزي بزيادة باب إبراهيم وقفه الأمير قرامر بن محمود بن قرامر الأقدري الفارسي على الصوفية الغرباء وتاريخه فيما أظن ٦١٧هـ.

ورباط الزرندي : وفي منتخب شفاء الغرام سماه رباط الدوري وقفه الشيخ نجيب الدين أبو الحسن بن محمد بن جبريل الزرندي وله أزيد من ثلاثمائة سنة وخلفه رباط كان موجوداً أثناء القرن السابع الهجري.

ورباط الشيخ أبي جعفر عمر بن عبد المجيد الميانشي : قرب رباط منده ومنه داران في شارع السويقة وله أكثر من مائتي سنة وثلاثين سنة.

رباط التميمي : واقفه الشيخ أبو العباس ويقال أبو جعفر بن أحمد بن إبراهيم بن عبد الملك بن مطرف التميمي المريني الفنجيري أوقفه على الفقراء والمتأهلين في ٦٢٠هـ ووقف عليه الحمّام الذي بأجياد. قال الفاسي وقد ظفرت بكتاب وقف الحمام ثم ذهب مني ويقع الرباط بالمروه على يسار الذاهب إليها.

رباط البانياس : على يسار الذاهب إلى الصفا وتاريخ وقفه ٦٢٥هـ وواقفه الأمير فخر الدين أبار بن عبد الله البانياسي على الفقراء المعروفين بالتدين والصلاح .

رباط الأمير إقبال الشرابي المستنصري : تحت مئذنة باب بني شيبه على يمين الداخل من باب السلام إلى المسجد الحرام وتاريخ عمارته سنة ٦٤١هـ وللشرابي عليه أوقاف كثيرة من الكتب والمياه وغير ذلك في وادي مر ونخلة .

رباط النسوة : خلف رباط الزرندي كان موقوفاً في القرن السابع ولعله الرباط الذي يعرف برباط الساحة والذي وقفه جماعة من النسوة منهن والدة الشيخ قطب الدين العسقلاني على الفقراء والغريبات المتدينات .

ورباط القزويني : بالجانب الشمالي كان موجوداً في القرن السابع وبابه عند باب السدة من خارج المسجد .

ورباط منده : وهو الحافظ أبي عبد الله منده ملاصق لزيادة دار الندوة وبابه على بابها الذي يخرج منه إلى السويقة ويعرف الآن – على حد قول الفاسي – يعرف بالبرهان الطبري وعلى بابه عند باب زيادة دار الندوة حجر مكتوب فيه أنه وقفه على القادمين من أصبهان أربعين يوماً وعلى سائر الناس عشرة أشهر وعشرين يوماً .

ورباط الشيخ أبي القاسم بن كلاله الطيبي : بالمسعي قرب رباط العباسي وتاريخه ٦٤٤هـ والدار المعروفة بدار الخيزران قرب الصفا مبدأ المسعى ولا أعرف واقفها ولا متى وقفت(٥٦) .

ومن الأماكن المأثورة التي عملها أهل الخير للمجتمع في مكة هي (**السبل – جمع سبيل**) وهو عمل متوارث في المجتمع المكي يستسقي منها الناس وكانت البرك والسبل تكلف كثيراً فهي تبنى من الحجارة والنورة ولأجل الثواب تهون الصعاب وخاصة للسبل والبرك أهمية كبيرة لأن مكة نادرة الماء ومناخها حار يتطلب مثل هذه السبل لعابر السبيل ولم تعد تلك البرك والسبل والمصانع بمكة فحسب بل وفي طريق مكة فقد اتخذ الخلفاء العباسيون كالمهدي المصانع والبرك في طريق الحج من بغداد إلى الحرمين للحجاج ويرتوي منها سكان البوادي أيضاً .

وهذه السبل كثيرة فقد ذكر الفاكهي قوله : ومكة في فجاجها وشعابها من باب المسجد إلى منى ونواحيها ومسجد التنعيم نحو مائة سقاية(٥٧) ومنها سبيل الزنجبيلي ويقال له سبيل أبي راشد لتجديده له ويقال له سبيل المكين لتجديده أيضاً وتاريخ عمارة

الزنجبيلي له ٦٢٠هـ كذا في حجر فيه وهي عمارة تجديد لأن الزنجبيلي توفى قبل ذلك على ما ذكر ابن شاكر الكتبي بسبع وثلاثين سنة(٥٨) .

وقد عنيت الملكة خاتون بنت الأمير مسعود ملك الدروب والأرض وما يلي بلاد الروم أن تعمل في طريق الحاج سقي الماء للسبيل وعينت لذلك نحو الثلاثين ناضحة ومثلها للزاد واستجلبت لما تختص من الكسوة والأزودة وغير ذلك نحو المائة بعير(٥٩) .

أما بيوت أهل مكة : فهي من حجارة سود ملس وبيض أيضاً وعلوها الأجر كثيرة الأجنحة من خشب الساج وهي طبقات مبيضة نظيفة حارة في الصيف إلا أن ليلها أطيب قد رفع الله عنهم مؤونة الدفء(٦٠) .

وبناء البلد على العموم بالحجر والجص وكل دار تشبه الحصن لأجل إحكامها . وبنى الأمير هاشم مدينة بظاهر مكة ما بين الثنية والمسفل تسمى **(مربعة الأمير)** فكان يسكن بها جنده وخدمه وحشمه وبقي البلد عامراً وخربت في دولة الأمير عيسى بن فليته وبقيت مكة خراب إلى دولة الأمير قتاده بن إدريس بن مطاعم بن عبد الكريم وجدد فيها آثار ومواضع شتى .

وأدار الأمير قتاده بن إدريس ٦٠٨هـ على مكة سوراً من الحجر والطين وذلك على رءوس الجبال وبطون الأودية وركب عليه خمسة أبواب وهي :

باب المعلى : وينفذ إلى عرفات .

وباب درب الثنية : وينفذ إلى مدينة الرسول ﷺ ويسمى باب جدة .

وباب العمرة .

وباب المسفلة : وينفذ إلى اليمن .

وباب الصغير : وينفذ إلى الصفا والمصافي والصحيفة وهو وادٍ ليس على طريق(٦١) .

وأعتقد أن العقبة كان مكانها موقع الربع بين الشبيكة وحارة الباب سميت كذلك لأن باب السور كان فيها(٦٢) .

ولمكة سور زمن المقتدر العباسي .

وأصلحت العقبة التي بني عليها سور باب الشبيكة من جهة المظفر صاحب أربل في ٦٠٧هـ ولعله الذي بنى السور الجديد الذي كان بأعلى مكة(٦٣) .

وبنى بعض خلفاء ووزراء وأمراء بني العباس القصور لهم في مكة المكرمة وفي طريق الحج ينزلونها وأعدوا فيها سائر ما يحتاجون إليه من الستور والأواني والفرش ومنهم السفاح والمنصور والمهدي والرشيد والمنتصر وكان صاحب السلطان يعين (متولي المنازل) ولا يسمح لأحد من الناس الدخول فيها ومنها :

دار جعفر بن يحيى البرمكي : وزير الرشيد وهي واقعة بفوهة أجياد الكبير عمرها جعفر بن يحيى بالحجر المنقوش والساج اشتراها جعفر بن يحيى من أم السايب بنت جميع الأموية بثمانين ألف دينار وكانت هذه الدار لأبي العاص بن الربيع بن عبد العزي بن عبد شمس زوج زينب بنت النبي ﷺ . وفيها ابتنى بزينب ابنة رسول الله ﷺ أهدتها إليها أمها خديجة بنت خويلد وفيها ولدت ابنته إمامة بنت زينب فلما أسلم وهاجر أخذ الدار بنو عمه مع ما أخذوا من رباع المهاجرين[٦٤] .

والدار البيضاء : التي تقع على المروه والتي أصبحت للعباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فقد بنيت بالجص ثم طليت به فكانت كلها بيضاء وجدر الدار الرقطاء إلى جنبها وإنما سميت الرقطاء لأنها بنيت من الآجر الأحمر والجص الأبيض فكانت رقطاء وكانت الدار البيضاء والدار الرقطاء لمعاوية ثم أقطعها للعباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس[٦٥] .

وفي مكة سبعة عشر (**حماماً**) ذكرها الفاكهي الذي عاش في القرن الثالث الهجري وبين مواقعها وأضاف الفاسي أن ليس منها الآن شيء معروف .

وبنى الجوار صاحب الموصل حماماً بمكة[٦٦] .

وذكر ابن جبير حمامين في مكة في القرن السادس الهجري . ويظن أنهما كانا منذ العهد الماضي حسب ما ذكره ناصر خسرو[٦٧] .

وفي مكة (**نوادي**) يعقدون فبها حلقات السير أو يقصون أساطير الأولين أو نوادر تلك القصص التي يمر بها الناس حينما يجولون في الآفاق فيجتمع في هذه النوادي حلقات من الكهول في أقبيتهم الفضفاضة وشبيبهم في ثيابهم الموردة أو المحمرة من أغلى أنواع الحرير المجلوب من البلاد المجاورة[٦٨] .

ومن نواديهم ومتنزهاتهم :

الليط : وهو في رأي بعض المؤرخين يقع أسفل مكة فيما يقرب من (بركة ماجن) ويقول الأستاذ رشدي ملحس وهو يحقق ما ذكره الأزرقي المتوفى في القرن الثالث الهجري أي في العصر العباسي الثاني : يرجح أن الليط يقع خلف القشلاق العسكري أي فيما يلي (جرول) الخلفية ولست أستبعد القولين فإن الوادي بعد بركة (ماجن) يتصل بالجادة التي تنتهي خلف القشلاق فلم لا يكون الليط عبارة عن امتداد من جرول الخلفية إلى أطراف (المسفلة) . وكانت في الليط (أقحوانة) أي عباد الشمس يجلس أهل مكة حولها في العشي وهم يلبسون الثياب المحمرة والموردة .

وشعب خم : ويتصل بالمسفلة اليوم وكان مزروعاً فيه عدة بساتين تتصل بالليط ثم بجرول .

ومنتزه حائط الحمام : بجوار المعلا وفيه نخيل ومزارع وبساتين تمتد إلى الخرمائية بقرب ما نسميه (بالمعابده) ثم تمضي إلى (المحصب) في الطريق المؤدي إلى (منىً) .

وفي المحصب دكة يجتمع المتنزهون بها أصيل كل يوم وهي تشرف على نخيل وبساتين .

وفي وادي (فخ) وما نسميه الشهداء لهم فيها بساتين .

وفي وادي (طوي)في امتداده من الحجون إلى ربع الكحل .

وبساتين غير ما ذكرنا في ضواحي مكة العليا إلى مزدلفة فعرفة(٦٩) .

وفي مجال (**الغناء**) في المجتمع المكي فقد اشتهر الحجاز في العصر الذي سبق ظهور الإسلام بالغناء والموسيقى قال الميداني في مجمع الأمثال : إن العرب تقول في أمثالها (ألحن من جرادتين) وهما قينتان لمعاوية بكر العمليقي سيد العمالقة الذين كانوا نازلين مكة في قديم الزمان واسم إحداهما وردة والأخرى جراد وقيل لهما جرادتان على التغليب، وفي الأغاني لأبي فرج الأصفهاني أن الجرادتين كانتا لعبد الله بن جدعان تغنيان في الجاهلية بمكة ولما جاء الإسلام واستولت العرب على الممالك وصاروا إلى نضارة العيش وافترق المغنون من الفرس والروم فوقعوا بالحجاز وصاروا موالي للعرب عنوا جميعاً بالعيدان والطنابير والمعازف والمزامير وسمع العرب تلحينهم للأصوات فلحنوا عليها

أشعارهم وظهر بالمدينة نشيط الفارسي وطويس وسائب حائر مولى عبد الله بن جعفر وأخذ عنهم معبد المغني وطبقته وابن سريح وتطور فن صناعة الغناء إلى أن كملت في أيام بني العباس عند إبراهيم بن المهدي وإبراهيم الموصلي وابنه إسحاق ببغداد[٧٠] .

وإن إبراهيم الموصلي وهو من أشهر المغنين في العصر العباسي أخذ فنه عن رجل من أهل الحجاز . وهجرة المغنين من الحجاز استدعته حاجتهم للتكسب ويلوح أن هبوط مستوى الثروات في مكة أدى إلى ارتحالهم أو ارتحال الفنانين من مغنين ولاعبين ومترفين وبقي في مكة حلقات العلم والزهد والتقشف وهنا بدأت هجرة معاكسة من العلماء إلى مكة فبنيت التكايا والربط لتكون مأوى لهم وظهر أثر ذلك واضحاً في العصر العباسي الأول[٧١] هكذا نرى تطور فن الغناء وبدايته بمكة قبل الإسلام ثم أثر الموالي حيث أخذ الأمويون كما أخذ العباسيون من بعدهم نظام مجالس الغناء من الفرس . وكان بعض الخلفاء يستمعون في أوقات فراغهم إلى قصائد الشعر ولم يلبث إلا أن حل الغناء محل الشعر . ويلاحظ أن أكثر المغنين والقيان في العصر الأموي هم من غير العرب لأن العرب برعوا في الشعر وخاصة في الغزل[٧٢] .

واشتهر الحجاز في الغناء والفكاهة واستمرت في بدء العصر العباسي فقد أخذ الحجاز يصدر إلى العراق

وحدثنا صاحب الأغاني أن أحمد بن صدقة كان أبوه حجازياً مغنياً قدم على الرشيد . وأن دنانير المغنية الشهيرة في العراق كان أصلها من المدينة وأن يحيى المكي أحد المغنين كان قدم مع الحجازيين الذين قدموا على المهدي في أول خلافته وابن جامع ويزيد صوراء جميعهم مكيون هجروا بلادهم إلى العراق ونقلوا معهم فنونهم[٧٣] . وذكر أن المهدي أمر في ١٥٩هـ بنفي كل من بمكة من المغنين ومنع قيانها من الغناء ومنع لعب الشطرنج وغيره من الأمور التي تجر اللهو والطرب وضعف الغناء لعدم تشجيع خلفاء العصر العباسي الأول له خاصة وأن مكة والمدينة كان فيهما المعارضة للحكم العباسي فقامت الثورات العلوية مما أدى إلى نتائج سيئة على أهل البلاد فانقطعت الأموال والعطاء وانخفض مستوى المعيشة للسكان فضعف الإقبال على الغناء[٧٤] إلا أن الرشيد شجع الغناء من الشعر المغنى فكان يجمع المغنين في زياراته للمدينة ويسمع لغنائهم ويصلهم بالأموال بعد أن يغنوا . ولما حج الرشيد أحضر أبا سعيد مولى قائد وقال له غني قصيدتك : (تقول إمامة لما رأت) فغناه وطرب لها الرشيد[٧٥] ونلاحظ تجاوب ابن جريج

في الميل إلى الشعر المغنى حينما مر به ابن تينون المغني فقد دعاه ابن جريج كما جاء عن داود المكي قال داود والتف عنده جماعة من المغنين[٧٦] .

وهكذا ساد الغناء كافة الطبقات في المجتمع المكي .

وكان بعض النابغين في الغناء يعلمون هذا الفن[٧٧] وقال ابن عيينة لجلسائه يوماً إني أرى جابرنا هذا السهمي (يعني ابن جامع) قد أثرى . فإنه يصير إلى الخليفة فيتغنى له قال فقد أخذت من الرشيد في بيتين غنيت بهما عشرة آلاف دينار[٧٨] .

ولكن يظهر لي أن ازدهار الفن في الحجاز أخذ يضعف ضعفاً بيناً في الدولة العباسية لأسباب منها خروج القسم الأكبر من أهل مكة والمدينة ضد العباسيين وفشلهم سياسياً مما أدى إلى حجب المال عنهم فوقعوا في الفقر، والفقر ولاشك يودي بالفن والفنانين .

ولما كان الغناء مظهر ترف وطرب فالفقر يحجزه .

وسبب آخر كانت الدولة الأموية تغدق المال على غير العرب لكيلا يفكرون بالسياسة وشئونها واتقاء شرهم .

أما العباسيون فالمال والإدارة والوزارة تحولت بأيدي غير العرب فقلما تنصب الأموال إلى جزيرة العرب والحجاز فضعف الفن وتحول إلى العراق حيث المال الكثير والترف .

الخلاصة أن العلم الديني استمر في مكة والمدينة لأن دوافعه الرغبة في الثواب وكلما زاد الفقر زاد طلاب العلم إخلاصاً ورغبة في العلم . أما فن الغناء والموسيقى فتحولا إلى أرض العراق حيث المال الكثير[٧٩] والواقع أن غزارة الأموال أدت إلى ازدهار الفن عند الخلفاء ومواليهم وهذا ما نراه في العصر العباسي ببغداد أكثر منه في مكة والمدينة[٨٠] . أما في عهد الفاطميين فقد كان أمراء مكة من الأشراف يتمثلون بالأبهة في مجالسهم ومواكبهم وحفلاتهم مما لم تعهده مكة من قبل فاتخذوا لهم جوقة موسيقية خاصة تردد أنغاما خاصة أمام قصورهم يسمونها (النوبة) وابتدعوا المواكب التي تمشي بين أيديهم عند خروجهم[٨١] .

أما في حفلات الزواج فيسمع الغناء في مكة في مجالس النساء وخاصة في يوم (النقيعة) وهو يوم الإملاك أو عقد الزواج[٨٢] .

وفي ليلة عيد الفطر تنصب القباب وتضرب الدبادب إلى الصباح بمكة[٨٣] .

وكان أهل مكة يستخدمون البوقات والطبول والدبادب التي تقرع والتي شاهدها ابن جبير حين قدوم سيف الإسلام طقتكين أخ صلاح الدين الأيوبي من مصر(٨٤) .

ويصحب بعض أهل مكة معهم المغنين إلى البساتين المجاورة ومعهم آلات الطرب لولعهم بالغناء(٨٥) .

ومن الألعاب المسلية في الأعياد بمكة لعبة الكرك وكان لكل حارة من حارات مكة كرك تعرف بهم يجتمعون له ويلعبون في حارة ويذهب الناس ينظرون إليه في تلك المواضع إلى الثنية وإلى قيقعان وإلى أجياد وإلى المعلاة والمسفلة فكان ذلك من لعبهم يلعبون به في كل عيد فأقاموا على ذلك ثم ترك زماناً طويلاً بعد ٢١٠هـ ولا يلعبون به كما ذكر ذلك الفاكهي المتوفي في القرن الثالث الهجري(٨٦) .

واهتموا بالصيد وسباق الخيل واللعب بالكرة والصولجان والقلة والمقلاة ذكر ذلك في أيام بني أمية وهي في أيام العباسيين أيضاً .

كما يتسابق الرجال بالخيل في حفلات زواجهم(٨٧) .

واشتهر عن المهدي ولعه بالصيد فقد كانت وفاته وهو يطارد غزالاً دخل في كهف فلحق الجواد ودخل خلفه فدق رأس المهدي ومات .

ومما يذكر أن من الخلفاء العباسيين من كان يعتني بالناحية الصحية للحجاج وأهل مكة عنايتهم بقافلة الحج . ففي ٥٧٣هـ كانت قافلة الخليفة المستضيء التي أرسلها للحج بنحو ستمائة جمل أقام فيها رئيس الرؤساء نحو مائة جمل للمنقطعين وأخرج معه الأدوية ومن يطبب المرضى واصطحب معه جماعة من أهل الخير والعلم(٨٨) .

ويتكون المجتمع المكي بما يشبه الطبقات فهناك :

الأشراف : وهم الأمراء حكام مكة .

ثم التجار : وهم الأغلبية من سكان مكة وفيهم البزازون والعطارون وسوقهم عند باب بني شيبة والحناطون وغيرهم(٨٩) .

أما المزارعون فقليلون بسبب طبيعة أرضها الجبلية وندرة مياهها .

وأصحاب المهن والحرف والصناع وصناعتهم بسيطة وتتمثل في الصياغة والدباغة وصناعة أدوات الحرب والبناء والحياكة والنسيج والخياطة وغيرها(٩٠) .

ولأصحاب المهن ما يشبه النقابات ولكل له عصبيته وربما نشأت تلك العصبيات بين أصحاب المهن والحرف بسبب طائفي فقد وقعت عصبيات وقتال ٢٩٢هـ بين

الخياطين والجزارين بمكة قتل فيهـا سبعة عشـر رجلاً ثم تحاجـزوا إلى أن حج الناس[٩١] .

وكانت مكة تستقبل الصناع وشيوخ الصاغة وممن لهم معرفة بالصناعات من بغداد وسامراء فقد أرسل المتوكل إسحاق بن سلمة الصانع وكان لهم علم بالصناعات ليقوم بتحلية المقام بالذهب والفضة والرخام وآلات تشق الرخام فيشق كل لوح منها لوحين إلى مائة لوح[٩٢] .

أما **(دخل الفرد)** في مكة فيوضحه النص الذي أورده ابن بكار وفيه أن راتب الوالي ألف دينار في الشهر أما القاضي فراتبه مائة دينار يعطي منها عشرة دنانير لكاتبه أيام الواثق العباسي الذي تولى الخلافة ٢٢٧هـ وكانت وفاته ٢٣٢هـ . وهذا يدل على أن متوسط دخل الفرد وهو ما يكفيه للمعيشة عشرة دنانير شهرياً[٩٣] .

وكان في مكة في العهد العباسي **(جاليات)** عديدة من الترك والموالي الذين كانوا يتبعون ولاة بني العباس أحياناً وينضمون إلى الثوار أخرى . قال ابن جرير الطبري : كنت بمكة ٢٤٠هـ فرأيت خراسانياً ينادي : معاشر الحاج، من وجد هميانا فيه ألف دينار فرده على أضعف له الثواب . فقام شيخ من أهل مكة كبير من موالي جعفر بن محمد فقال له : يا خراساني بلدنا فقير أهله، شديد حاله، أيامه معدودة، ومواسمه منتظرة، لعله يقع في يد رجل مؤمن يرغب فيما تبذله لا يأخذه رجل ويرده عليك[٩٤] . هذا النص يدل على وجود الموالي للعباسيين كما وصف حال مكة في القرن الثالث الهجري .

وإلى جانب الترك كان هناك جاليات من الفرس والبربر وبعض الناس من بلاد العرب والمظنون أن أغلب هؤلاء كانوا من أصحاب التقوى الذين يفرون بدينهم بعيداً عن ثورات أشد في فارس والمغرب وبقاع الإسلام .

أو المتوكلون الذين يلذ لهم طيب عيش الصدقات والتكايا وليس في هؤلاء وأولئك من يتقن حرفة أو يزاول عملاً لهذا فترت حركة الصناعة في مكة في هذا العهد وكثر المحتاجون والمتسكعون[٩٥] وكان مستوى المعيشة في مكة لا يختلف عما هو عليه في المدينة من حيث سوء الحالة الاقتصادية نتيجة لموقف الحجاز مع العلويين ضد بني العباس مما أدى إلى قلة الوارد ونتيجة لانقطاع الميرة عن الحجاز واضطراب الأحوال السياسية مما أدى إلى تدهور التجارة ولكن بعض الخلفاء، كالمهدي والرشيد أعطى

الأعطيات لأهل مكة وكان عطاء الرشيد لأهل مكة في سنة ١٨٦هـ ألف ألف دينار ومائتا ألف دينار وكان قد أعطى أهل مكة في هذه السنة عطاءين[٩٦] .

إلا أن المعتصم لم يداوم على تقديم العطاء لأهل مكة فقال الوزير أحمد بن أبي داود للمعتصم يا أمير المؤمنين اجعل الأموال في أهل الحرمين فقد لقوا من غلاء السعر شدة ولكن الواثق قدم الأموال الكثيرة لأهل مكة[٩٧] .

ويبدو أن كان في مكة الأشراف والعرب والعبيد وأهل مكة حين ورد أنه في سنة ٦٠٨هـ لما وثب باطني على أحد الأشراف وقتله ظناً أنه قتادة فنادى قتادة هؤلاء . وقصدوا الحاج بمنى ونزلوا عليهم .

ومن الموالي من كان عبداً ثم أعتق فأصبحوا أحراراً ولكنهم يحملون اسم أسيادهم وأولادهم من بعدهم كما يحملون اسم عساكر مولاهم وكان عليهم نصرتهم في الحروب .

ومن الموالي أيضا المسلمين من غير العرب . قال المقدسي وأكثر أهل جدة من الفرس إلا أن لغتهم عربية[٩٨] .

واستعان بنو العباس بالموالي فولى المنصور مكة الهيثم العتكي سنة ١٤٥هـ وهو من أهل خراسان وعهد الرشيد إلى حماد البربري ولاية مكة . وسليمان بن بلال كان بربرياً وكان يفتي بالبلد ولعله يعني البلد الأمين (مكة)[٩٩] .

واشتهر الموالي بمكة بالعلوم وخاصة علوم الدين والفقه فإن عطاء بن أبي رباح ومجاهد بن جبير وسعيد بن جبير وسليمان بن يسار كلهم موالي[١٠٠] .

واستكثر قتادة سنة ٦١٥هـ من المماليك وخافه العرب هناك وكان أول أمره حسن السيرة وأزال عن مكة المفسدين[١٠١] .

وهنا ظهرت طبقة العبيد وكان أهل مكة في سالف الدهر يشترون العبيد وجملة زواج أهلها الجواري السود من الحبش والنوبة فرجالهم سمر[١٠٢] وبهم برص ولكن السودان كثير وعامتهم السمر ويغلب عليهم الدقة والهزال[١٠٣] .

وكان في المدن سوق للرقيق فقد ذكر التاريخ مصادر الرق في الحجاز منذ العصر الجاهلي فكان في مكة عدد كبير من الأحابيش واستمر في العصر الأموي وزاد عدد الرقيق نظراً لتدفق عدد كبير من الأرقاء نتيجة للفتوح وزيادة الترف وخاصة الجواري في العصر العباسي إذ بيعت جارية إبراهيم بن قتيلة بخمسمائة دينار في سوق الرقيق وعمل بعضهم في حوانيت أسيادهم في الحرف كالحياكة والحدادة والصياغة وأحياناً بالتجارة[١٠٤]

والخدمة في البيوت واشترى المنصور رقيقاً من الأعراب وأعطاهم البعير والبعيرين وفرقهم في طلب محمد بن عبد الله النفس الزكية[١٠٥] وكان الرقيق أقل درجة من غيرهم في المجتمع .

ووصف ابن بطلان الذي عاش في النصف الأول من القرن الخامس الهجري وصف الرقيق كالهنديات والمكيات وفيما قال : إنهن لينات الأرساغ ألوانهن البيض المشرب بالسمرة قدودهن حسنة وأجسامهن ملتفة وثغورهن نقية باردة وشعورهن جعدة وعيونهن مراض فاترة وقد كان للرقيق رئيس أو أكثر وإن كان دورهم في تاريخ الحجاز السياسي وثوراتهم مما يدل على شعورهم بضرورة تحسين أحوالهم المعاشية والاجتماعية[١٠٦] .

ولعب العبيد دوراً في تاريخ مكة فقد أمر الحسين بن علي ١٦٩هـ في ثورته ضد العباسيين منادياً ينادي أيما عبد أتانا فهو حر فأتاه العبيد من مكة وانضموا لحركته ١٦٩هـ فانتهى الخبر إلى الهادي فأرسل إليه وهزمه وقتل[١٠٧] وهذا يدل على وجود العبيد في القرن الثاني الهجري في مكة وسوء حالهم وأنهم يرغبون في الحرية ويلبون نداءها . وفي سنة ٣٦٦هـ لما حجت جميلة بنت ناصر الدولة صاحب الموصل ومعها أخوها وفعلت من الخيرات بمكة ما لم يفعله أحد من الملوك فأعتقت ثلاثمائة عبد وأمة وسقت الناس كلهم بعرفة السويق والسكر وكست المجاورين وتصدقت ولم توقد بمكة مدة إقامتها إلا شمع العنبر إجلالاً للحرم الشريف[١٠٨] .

وفي سنة ٤١٨هـ وقعت فتنة بين أمير الحج العراقي وعبيد مكة كان الظفر فيها للأمير العراقي وكان العبيد قد كبسوا في مكة في بعض دورها ولكنه قتل من هؤلاء العبيد مقتلة عظيمة وهزمهم شر هزيمة[١٠٩] .

وأفسد العبيد حج ٥٥٧هـ بمنى فنفر عليهم بعض أصحاب الحاج فقتلوا منهم جماعة ورجع من سلم إلى مكة وجمعوا جمعاً وأغاروا على جمال الحاج وأخذوا قريباً من ألف جمل فنادى أمير الحاج في جنده فركبوا سلاحهم ووقع القتال بينهم فقتلت جماعة ونهب آخرون من الحاج وأهل مكة فرجع أمير الحاج بعد أن وقف بعرفة ولم يدخل مكة ورجع كثير من الحجاج رجاله لقلة الجمال لأن العبيد أخذوها ولقي الحجاج شدة من ذلك[١١٠] .

وفي ٥٧١هـ قام عبيد من مكة بقتل أولئك الذين هجموا على أموال تجار مكة[١١١] .

ووصف ابن جبير موكب أمير مكة في هلال كل شهر وذكر أن رجاله السودان بالحراب يطوفون أمامه وهو يطوف ويصلي[١١٢] .

فالعبيد يكونون عدداً لا يستهان به في المجتمع المكي يستخدمهم ولاة مكة أحياناً لتحقيق أغراضهم السياسية أو قد يعبثون إذا وجدوا الفرصة سانحة لهم فينهبون ويقتلون فيجد الحجاج وأهل مكة منهم شراً كثيراً .

يلاحظ مما مر عن الحياة الاجتماعية بمكة في أواخر الدولة العباسية أن الطابع الديني كان يطغى على عادات المكيين وتقاليدهم حيث كانوا يخرجون في بعض المناسبات إلى التنعيم ويعودون إلى المسجد الحرام محرمين يطوفون وكانوا يتزاورون فيما بينهم ويستقبل أهل مكة كل شهر في احتفال وإن اهتموا بشهر رمضان ورجب والأعياد بصورة خاصة . حتى الزواج وأفراحه كان لها ارتباط بالمواسم الدينية وموسم الحج .

دكتور : علي أباحسين

الهوامش

١ – أحمد أمين، ضحى الإسلام ١/١٠٥-١٠٦ ط ٥ مصر ١٩٥٢م .

٢ – الأزرقي، ١/١٩٣ مكة ١٣٥٧هـ .

٣ – مرآة الحرمين ١/٦٣ .

٤ – المقدسي، أحسن التقاسيم ١٠٠، ط ٢، ليدن، ١٩٠٦م .

٥ – نفس المصدر، ١٠٥، ط ٢ .

٦ – ابن الجوزي، المنتظم، ١٠/٢٣٠ .

٧ – مرآة الحرمين، ١/٢٠٥ و شفاء الغرام، ١/٧٠، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٦٥، و ابن جبير، ص١١٥ .

٨ – ابن جبير، ص٧٠ .

٩ – ابن جبير، ص١٠٢-١٠٤ .

١٠ – ابن جبير، ص١٠٢ .

١١ – ابن بطوطة، تحفة النظار ١١٩-١٢٠ .

١٢ – ابن جبير، ص١٠٢-١٠٤ وابن بطوطة ١١٨، ١١٩، ١٢٠ .

١٣ – ابن بطوطة، ١١٨ .

١٤ – السباعي، ٢/١٩٦ بتصرف .

١٥ – ابن جبير ص١٠٢، ١٠٤ .

١٦ – ابن المجاور، تاريخ المستبصر، ص٦٥ .

١٧ – ابن المجاور، ص٩ .

١٨ – مرآة الحرمين، ١/٢٠٣-٢٠٥ سنة ١٩٢٥م .

١٩ – ابن المجاور، ص٦ و٧ .

٢٠ – ابن المجاور، ص٨٦ .

٢١ – حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ١/٥٤٦ و٥٤٧ .

٢٢ – مرآة الحرمين، ٢٠٣/١ و٢٠٥ .

٢٣ – ابن بطوطة، ١١٨ .

٢٤ – ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ٣٠٤/١ و٣٠٦ . والأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٦١٩/٢ . والأصبهاني، حلية الأوليـاء، ٢٧٠/٢ . والطبري، ١٨٢/٩ . وابن قتيبـة، عيـون الأخبار، ٢٠٥/٣ . ومتز، ١٨٤/٢، ط٢ ١٩٤٨م . والمسعودي، مروج، ٨٤/٢ .

٢٥ – المسعودي، مروج الذهب، ٨٤/٢ . ومتز، ١٨٤/٢ .

٢٦ – أحسن التقاسيم، ص٩٥، ليدن ١٩٠٦م .

٢٧ – ابن المجاور، ص٥ و٦ .

٢٨ – ابن بطوطة، ٧٨ . وحسن إبراهيم حسن، تاريخ، ٥٤٦/١ و٥٤٧ .

٢٩ – مرآة الحرمين، ٢٠٤/١ .

٣٠ – أحسن التقاسيم، ٩٥ و٩٩ .

٣١ – تاريخ المستبصر، ص٥ و٦ .

٣٢ – الكندي، الولاة وكتاب القضاة، ٣٧٨ . ومتز، ٣٧٣/١ . والسيوطي، ٢٦٢ . وحسن إبراهيم، النظم الإسلامية، ٢٨٣، ط ٣ .

٣٣ – ابن عساكر، التاريخ الكبير، ٤٣٤/٢ . والصباغ، ١٣٨ .

٣٤ – مرآة الحرمين، ٢٠٣/١-٢٠٥ .

٣٥ – مالك، المدونة الكبرى، ٧٨/٢ . والسباعي، تاريخ مكة، ١٩٧/١، ط ٣ مكة، ١٣٨٧هـ .

٣٦ – السباعي، ١٦٣/١ .

٣٧ – ابن بدران، تهذيب تاريخ ابن عساكر، ٣٢٩/٦ .

٣٨ – مالك، المدونة الكبرى، ٧٨/٢ . والصباغ، ص١٤٠ . والوشاء الموشى، ص١٢٥ .

٣٩ – الأغاني، ١٧١/٦ و١٩١ . وابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤٧٩/٥ .

٤٠ – شفاء الغرام، ٣٣٠/١-٣٣٦ . والعقد الثمين، ٩٩-١٠٢ . وتحصيل المرام، ١٩٢-١٩٥، (مخطوط) .

٤١ – آل عمران، آية ٢٠٠ .

٤٢ – الفيروز ابادي، القاموس المحيـط ٢/ ٣٦٠ . والدكتـور خليل سعيد . الربـط الإسلامية، ص٣-٦، بغداد ١٩٧٣م . والفيومي، المصباح المنير، ٣٢٠/١ . والزبيدي، تاج العروس في جواهر القاموس، ١٤٠/٥، ط ١، مصر ١٣٠١هـ .

٤٣ — العقد الثمين، ٩٩-١٠٢ . وشفاء، ٣٣٦/١ . وتحصيل المرام، ١٩٥ .

٤٤ — الأزرقي، ٦٩/١، الماجدية بمكة . وتحصيل المرام، ١٥٥ . وشفاء الغرام، ٣٣٠/١، مصر ١٩٥٦م . والعقد الثمين، ١٩٩/١ و١٢٠، القاهرة ١٣٨٥هـ .

٤٥ — تحصيل المرام، ١٩٢-١٩٧ . والعقد الثمين، ٩٩-١٠٢ . وشفاء، آ/٣٣٠-٣٣٦ .

٤٦ — شفاء الغرام، ٣٣١/١، مصر ١٩٥٦م .

٤٧ — العقد الثمين، ٩٩-١٠٢ . وشفاء، ٣٤٢/١ . وتحصيل المرام، ١٩٢-١٩٧ .

٤٨ — ابن ظهيرة، ٢١٣ . وشفاء الغـرام، ١١٩/١-١٢٠، دار إحيـاء الكتب المصريـة، القاهرة ١٩٥٦م . وتحصيل المرام، ١٩٢-١٩٥، مخطوط، الباب الأربعين .

٤٩ — العقد الثمين، ٩٦-١٠٢. وشفاء، ٣٣٠/١ و٣٣٦ و٣٤٢ .

٥٠ — شفاء الغرام، ٣٣١/١، القاهرة ١٩٥٦م .

٥١ — الأزرقي، ١٢١/١، الماجدية، مكة ١٣٥٢هـ . والعقد الثمين ١١٩/١-١٢٠ . وشفـاء الغرام، ٣٣٣/١، مصر ١٩٥٦م . ودحلان، ص٣٨ .

٥٢ — دحلان، ٣٨ . والأزرقي، ١٢١/١ . والعقد، ١١٩/١-١٢٠ . وشفاء الغرام، ٣٣١/١ .

٥٣ — شفاء الغرام، ٣٣١/١، مصر ١٩٥٦م .

٥٤ — شفاء الغرام، ٣٣٦/١ .

٥٥ — دحلان، ٣٨ . وشفاء الغرام، ٣٣١/١ و٣٣٢ و٣٣٤ . وتحصيل المرام، ١٩٢-١٩٥ . والعقد الثمين، ٩٩-١٠٢ .

٥٦ — العقد الثمين، ٩٩-١٠٢ . وشفاء الغرام، ٣٣١/١-٣٤٢، مصر ١٩٥٦م . ودحلان، ص٣٨ .

٥٧ — شفاء الغرام، ٣٣٩/١، مصر ١٩٥٦م .

٥٨ — شفاء الغرام، ٣٣٨/١، مصر ١٩٥٦م .

٥٩ — المقريزي، الذهب المسبوك، ١٨-١٩ و٣٨-٣٩ . وشفاء الغرام، ٣٩٩/١ . وابن جبير، ١٦١ .

٦٠ — المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٧١، ليدن ١٩٠٦م .

٦١ — ابن المجاور، ص٧ .

٦٢ — السباعي، ٢٢٢/١، ط ٢ .

٦٣ — الشفاء، ١٣/١، مصر ١٩٥٦م .

٦٤ — سبائك الذهب، ١٨-١٩ . و٣٨-٣٩ . والأزرقي، ١٩٦/٢، الماجدية ١٣٥٧هـ .

٦٥ — الأزرقي، ١٩١/٢، الماجدية، ١٣٥٧هـ .

٦٦ — شفاء الغرام، ٢٠/١، مصر ١٩٥٦م .
٦٧ — ابن جبير، ص٩٢ و١٠٢ .
٦٨ — السباعي، ٣٨/١، ط٢ ١٣٨/٢ بتصرف .
٦٩ — السباعي، ٣١/١-٣٢ .
٧٠ — نوفل، نعمة الله جرجيس بن نوفل الطرابلسي، صناجة العرب ص٣٧٩، بيروت بلا ت .
٧١ — السباعي ١٣٤/١-١٣٦ .
٧٢ — حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٣٣٢/١ و٣٣٣ .
٧٣ — السباعي، ١٣٤/١ و ١٣٦ .
٧٤ — نجله . بلاد الحجاز، ص١٤٥-١٤٦ . وابن فهد، أتحاف (مخطوط)، ورقة ٤١٤ .
٧٥ — الأصفهاني، الأغاني، ٣٤١/٤، طبع دار الكتب المصرية بلا ت .
٧٦ — الأغاني، ١٦/٦ .
٧٧ — السبكي، طبقات الشافعية، ٢٤١/١ .
٧٨ — الأغاني، ٢٣/٦ و٢٩٥ . والمبرد الكامل، ٢٥٩/٢ ونجله ١٥٠ .
٧٩ — أحمد أمين، ضحى الإسلام، ٧٦/٢، ط٣، القاهرة ١٩٥٢م .
٨٠ — حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٥٤٦/١ و٥٤٧ .
٨١ — السباعي، ١٩٦/٢ .
٨٢ — حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٥٤٦/١ و٥٤٧ .
٨٣ — المقدسي، أحسن التقاسيم، ١٠٠ ليدن ١٩٠٦م .
٨٤ — ابن جبير، ص١٢٦ .
٨٥ — مرآة الحرمين، ٦٣/١ .
٨٦ — الفاكهي، تاريخ مكة المشرفة، ١١-١٢ (مخطوط) . والمنتقى في أخبار أم القرى، ص١١ .
٨٧ — حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ٥٤٦/١ و ٥٤٩ بتصرف .
٨٨ — ابن الجوزي، المنتظم، ٢٧٣/١٠ .
٨٩ — ابن جبير، ص٨٥ .
٩٠ — طلس، تاريخ الأمة العربية، عصر الانطلاق، ١٦١/٢-١٦٤، بيروت بتصرف .
٩١ — المقدسي، أحسن التقاسيم، ص١٠٢، ط٢ ليدن ١٩٠٦م . والطبري، ٥٢٩/٩ . وابن الأثير ٣٠٦/٧ .

٩٢ — الأزرقي، ٢٠٤/١ و٢٠٥، مكة ١٩٥٧م . والسنجاري، ٢٣٧/١ .

٩٣ — ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١٣٠/١ و١٣٢ و٣٤٧-٤٠٣ . واليعقوبي، ٢١٦/٣ .

٩٤ — ابن فهد، إتحاف الورى، ٣٥٢/١ (مخطوط) .

٩٥ — السباعي، ١٥٩/١-١٦٠ .

٩٦ — ابن بكار، جمهرة نسب قريش، ١١٠/١ و ١٣٢ .

٩٧ — اليعقوبي، ٢١٦/٣ . والسكري، المحبر، ص٣٨ . ونجله ١٣٤ .

٩٨ — المقدسي، أحسن التقاسيم، ص٩٦ .

٩٩ — ابن سعد، الطبقات، ٤٢٠/٥ .

١٠٠ — ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٤١٥/٣ .

١٠١ — ابن الأثير، ٤٠١/١٢ .

١٠٢ — ابن المجاور، ص٥-٧ .

١٠٣ — أحسن التقاسيم، ص٩٥، ليدن ١٩٠٦م .

١٠٤ — وكيع، محمد بن خلف بن حيان، أخبار القضاة، ١٩٥/١، ونجله ١١٩ . ومالك بن أنس، المدونة الكبرى، ٢٤/٩ و١٢٤/٤، ونجله ١٢٠ .

١٠٥ — الطبري، ١٨١/٩ .

١٠٦ — متز، ص٢٢٨ و٢٣٠، ط٢ . والطبري، تاريخ الرسل، ٢٣٧/٩ .

١٠٧ — ابن الأثير، ٩٠/٦ .

١٠٨ — السنجاري، ٢٤٦/١ وما بعدها .

١٠٩ — ابن كثير، ١١٣/١٢ .

١١٠ — ابن الأثير، ٢٨٨/١١ . وابن الجوزي، المنتظم، ٢٠٥/١٠ .

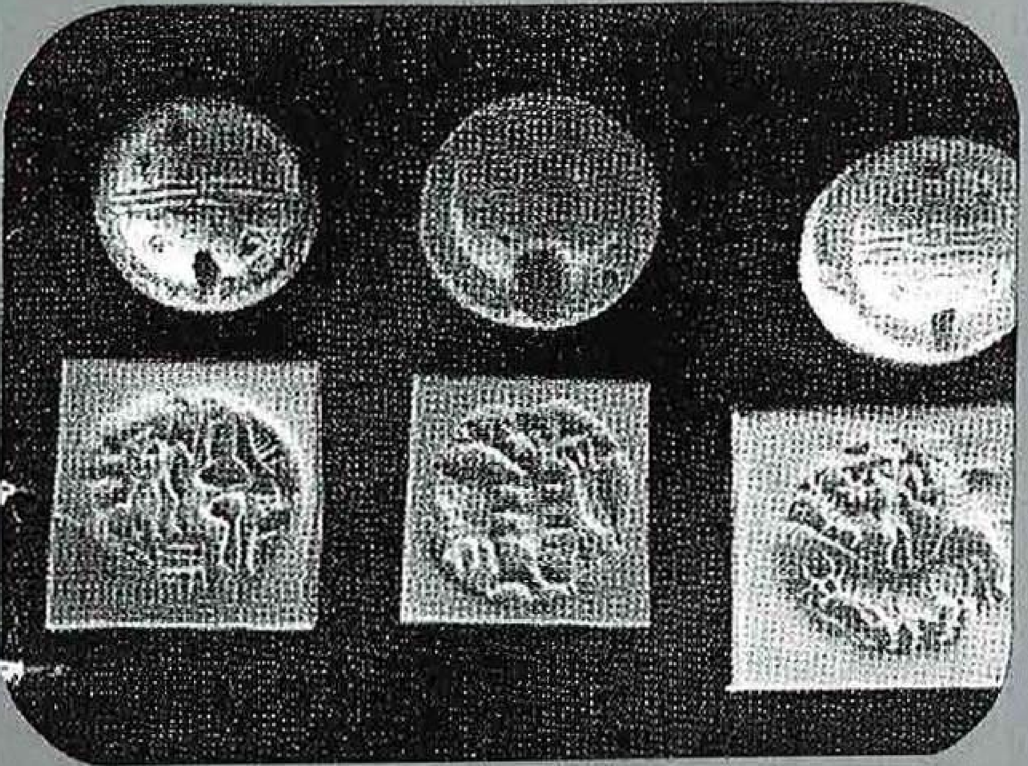
١١١ — المنتظم، ٢٦٠/١٠ .

١١٢ — ابن جبير، ص٧٤ .

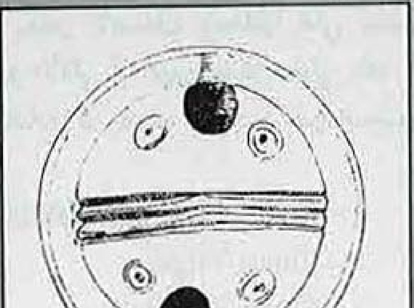
الأختام الصدفية

إن الإنسان بطبعه مقلد للطبيعة، قلد الطبيعة فزرع البذور كي يتوفر له الغذاء على مدار السنة وبذلك توصل إلى الثورة الزراعية، وتوصل إلى معرفة النار والتحكم فيها وكان المصدر الطبيعي الذي استوحاه هو الشمس، ولو طرحنا مثل هذا السؤال : ما هي المصادر الطبيعية التي استوحاها الإنسان للدلالة على ملكيته الشخصية قبل اختراع الكتابة ؟ إن الجواب يأخذنا رأساً إلى الأختام، ولكن ما هي المصادر الطبيعية التي قلدها الإنسان للحصول على هذه الأختام ؟ إنها في رأيي الأصداف .

في عام ١٩٧٧م . قامت إدارة الآثار والمتاحف في البحرين بالاشتراك مع بعثة الآثار العربية الموفدة من قبل جامعة الدول العربية بالتنقيب في موقع مدافن سار – طريق الجسر بين المملكة العربية السعودية والبحرين . في القبر رقم ١١٦ عثرنا على أحد هذه الأختام الصدفية ولكنه صنف كحلية من الأصداف .



بقلم : الشيخة هيا بنت علي بن عبد الله آل خليفة





(الوثيقة ٤١

في الموسم التالي عثرت بعثة الآثار العربية في موقع مدافن (سار) على أختام صدفية حفرت عليها مواضيع مختلفة بالإضافة إلى الشكل الحلزوني الطبيعي وبذلك تأكدت لنا هويتها . وبالرجوع إلى ما بحوزة إدارة الآثار والمتاحف من أصداف تم العثور عليها من تنقيبات سابقة في قبور (الحجر) تبين أن بعضها صنف كـ (حلية من الأصداف) والبعض الآخر كـ (تقليد لأختام ديلمون) . بعد ذلك توالى اكتشاف مثل هذه الأختام من مدافن في مواقع أخرى مثل المقشع – كرزكان – سار[١] – مدينة عيسى – مدينة حمد – حتى بلغ عددها تسعة وعشرين ختماً، وإذا أضفنا لها خاتمين من مدافن عالي (حفريات البعثة الدنماركية[٢]، وخاتماً واحداً من حفريات أم جدر (البعثة الفرنسية[٣]) يصبح عدد ما هو معروف منها اثنين وثلاثين ختماً، هذا بالإضافة إلى ثلاثة لم نتأكد من هويتها وسيأتي ذكرها بالتفصيل فيما بعد، وتم استبعاد الأشكال الصدفية الأخرى التي تشبه هذه الأختام مع وجود ثقب طولي واحد نافذ في أعلاها، على اعتبار أنها حلي صدفية وليست أختاما، عثر على مجموعة منها في بعض المدافن التي ذكرتها سابقاً وكذلك عثر كلوزيو في مدافن هيلي على أربعة منها[٤] .

لقد وفق الصانع في اختيار أصداف من عائلة Conidae لصناعة أختامه فهي تتميز بتعددها وبجمالها الفريد الملفت للنظر وألوانها البراقة ونعومة سطحها الأملس وحجم وسمك قاعدتها، هذا بالإضافة إلى الشكل الحلزوني الداخلي ذي الأطراف الحادة والذي يحصل عليه صانع الختم في قاعدة الصدفة من الداخل عندما يتم نشرها بدقة ليصبح صالحاً للاستخدام كختم، كما وفرت له الطبيعة زخرفة أخرى على ظهر الختم هي عبارة عن شكل حلزوني آخر يكون بارزاً على بعض الأصداف ومختفياً على بعضها الآخر، وأضاف الصانع إلى ظهر الختم ثقب التعليق الأفقي أو ثقبين بشكل طولي نافذ .

أمـا أنـواع الأصـداف التي استعملها الصانع من هـذه العائلـة فمن المحتمل أن تكون[٥] :

1 – Conus Generalis Maldivus.

2 – Conus Virgo.

3 – Conus Flavidus.

4 – Conus Terebera Thomasi.

بما أنه يصعب حالياً تصنيف هذه الأختام تصنيفاً منهجياً تبعاً لتسلسلها الزمني لذلك قمت بمحاولة لتصنيفها على حسب تطور أسلوب الزخارف المنحوتة على وجه الختم وظهره وعلى هذا تم تقسيمها إلى مجموعتين . المجموعة الأولى تنقسم إلى فئتين والمجموعة الثانية تنقسم إلى ثلاث فئات . إن هذا التصنيف ليس قاطعاً وإنما هو الخطوة الأولى التي ستقودنا للتعرف عليها، ومستقبلاً ربما يتم نقل ختم من فئة إلى أخرى أو نقل مجموعة من هذه الأختام لتأتي بعد أخرى أو سابقة لها .

ولاشك أن التنقيبات الأثرية الجارية الآن في تلال المدافن ستطرح المزيد مما سيمدنا بمعلومات أوفر عن التميزات النمطية لهذه الأختام .

صنفت المجموعة الأولى إلى فئتين :

خصائص الفئة الأولى :

قام الصانع بنشر الصدفة إلى ما قبل القاعدة بقليل حيث يختلف السمك من صدفة إلى أخرى، ثم صقل وجه وظهر وجوانب الصدفة على أحجار ملساء وبذلك ظهر وجه الختم وعليه الشكل الحلزوني منحوتاً نحتاً طبيعياً . وقد لاحظ الصانع بذكائه الفطري أن هذا الشكل الحلزوني الطبيعي يختلف في تفاصيله الدقيقة من صدفة إلى أخرى، هذه السمة المميزة هي التي جعلته يختار هذا النوع من الأصداف بالذات لاستخدامها في صناعة الأختام، كما لاحظ الصانع أيضاً أنه أحياناً توجد طبقة طبيعية لامعة تشبه الطلاء تغطي وجه الختم كله بما في ذلك الشكل الحلزوني الداخلي حيث تبرز أطراف حوافه الحادة وتحفظها من التلف عند الاستعمال .

حافة الختم :

قام الصانع بحك وسحن حافة الختم الجانبية إلى أن تأخذ شكلها الدائري المطلوب ولكن هناك تفصيلات دقيقة يستحسن ذكرها : يختلف سمك الحافة الجانبية من ختم إلى آخر وليس شرطاً أن يكون ذلك تبعاً لحجم الصدفة فبعض الأختام الكبيرة حوافها الجانبية صغيرة الحجم وبعض الأختام الصغيرة حوافها الجانبية كبيرة الحجم .

إن نهاية الحافة الجانبية القريبة من وجه الختم تكون أحياناً مائلة إلى الداخل أو الخارج أو مستقيمة من أعلى إلى أسفل، أو تكون منحنية أحياناً في وسط الحافة الجانبية على شكل أخدود أو على شكل قوسين معكوسين باتجاه الخارج .

إن هذه الاختلافات في الحافة الجانبية للأختام الصدفية لها ما يشابهها في أختام الكلورايت .

ظهر الختم :

يختلف ظهر الختم الصدفي على حسب نوع الصدفة المستخدمة لعمل الختم، وحسب ما أضافه لها الصانع من تعديلات بواسطة سحنها على الأحجار الملساء حتى تكتسب الشكل المطلوب لذلك ظهرت لدينا عدة فئات من ظهر الختم الصدفي نوجز فيما يلي وصف بعض منها :

الفئة الأولى :

يتألف ظهر الختم الصدفي لهذه الفئة من نصف دائرة تغطي ظهر الختم كله وترتفع قليلا من الحافة إلى نقطة الوسط ويكون ظهر الختم مزخرفاً بشكل حلزوني طبيعي مختفٍ غير بارز ينتهي عند القمة على شكل دائرة على جانبيها ثقبان طوليان نافذان .

الفئة الثانية :

يتألف ظهر الختم الصدفي لهذه الفئة من قبة هرمية الشكل تغطي ظهر الختم كله وتنتهي عند القمة برأس حاد يثقب بشكل أفقي هذا الرأس عليه زخرفة طبيعية بارزة وغالباً ما يكون هذا الرأس مفقوداً .

الفئة الثالثة :

يتألف ظهر الختم الصدفي لهذه الفئة من حدبة صغيرة في الوسط مسطحة أحياناً وعلى شكل نصف دائرة أحياناً أخرى ثقبت أفقياً من كلا الجانبين وفي حالة واحدة يوجد ثقبان أفقيان متعاكسان .

الفئة الرابعة :

يتألف ظهر الختم الصدفي لهذه الفئة من شكل هرمي صغير في الوسط يبتعد عن الحافة الجانبية عدة مليمترات، قاعدته مثقوبة أفقياً ورأسه مرتفع بشكل حاد .

الفئة الخامسة :

ظهر الختم الصدفي لهذه الفئة مسطح تماماً على شكل قرص يوجد به ثقبان طوليان نافذان .

عدد أختام هذه المجموعة الموجودة لدى الإدارة سبعة عشر ختماً .

خصائص الفئة الثانية :

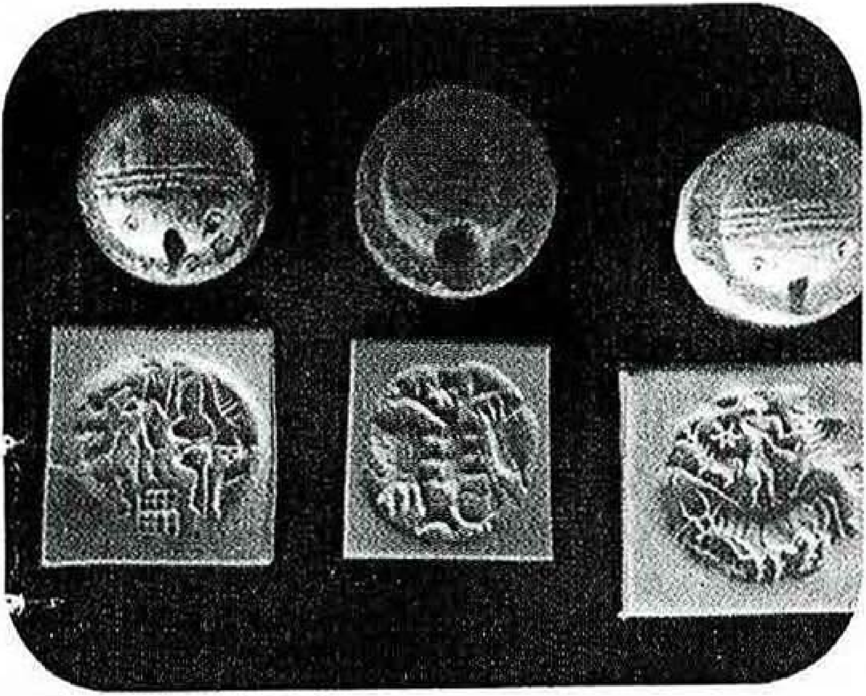
اختار الصانع أصدافاً صغيرة أقل حجماً من الفئة الأولى واستعمل نفس الطريقة السابقة لإعداد الصدفة كختم، فوجه الختم ظهر به الشكل الحلزوني الطبيعي بارزاً أطرافه حادة، أما الحافة الجانبية فمستديرة قليلة السمك بها ثقبان أفقيان وظهر الختم مسطح يرتفع قليلاً عند القمة، وربما كان لهذه الصدفة رأس حاد قطع حتى ظهر الشكل الحلزوني الداخلي على شكل دائرة صغيرة في وسط ظهر الختم من أعلى ونحتت أربع حفر نحتاً غائراً يحيط بها أربع دوائر في كل زاوية دائرة ويحيط بهذه الدوائر إطار مكون من نقط محفورة على شكل عقد من اللؤلؤ .

وبما أنه لا يوجد غير ثلاثة أختام فقط من هذه الفئة لذا يصعب الحكم على طبيعتها، فربما كان هذا هو التصنيف المناسب لها أو أنها تمثل آخر مرحلة من مراحل الختم الصدفي ويحتمل عدم تصنيفها كأختام صدفية واعتبارها حلية للأذن أو جزءاً من قلادة، ومما يرجح ذلك العثور على اثنين منها في قبر واحد .

المجموعة الثانية :

تنقسم هذه المجموعة من ناحية أسلوب النحت إلى ثلاث فئات .





أختام دلمونية ٢٣٠٠ ق. م

الفئة الأولى :

ظهر الختم وحوافه تطابق تماماً الفئة الأولى من المجموعة الأولى، أما الوجه فقام الصانع بترك جزء بسيط من الشكل الحلزوني الطبيعي في وسط الختم والباقي عبارة عن مساحة مسطحة بذل الصانع مجهوداً في حفر مواضيع بسيطة غير معقدة، فمثلاً خطوط تمتد من الشكل الحلزوني إلى حافة الختم تقريباً تشبه أشعة الشمس وفي ختم آخر حفرت عشر حفر غائرة تحيط بالشكل الحلزوني، أما النموذج التالي فقد ظهرت عليه ست حفر غائرة وجمعت الأربع حفر الباقية لتشكل حيواناً له أربعة أرجل .

الفئة الثانية :

هي تقريباً نفس تفصيلات الفئة الأولى غير أنه حفر على الوجه اثنين أو ثلاثة حيوانات أحدها مقلوب رأساً على عقب، حفرت أجسام هذه الحيوانات على شكل كرات متقاربة والأيدي والأرجل والقرون على شكل خطوط مستقيمة إلا أنه من الصعب تحديد نوع هذه الحيوانات أما موضوع الختم فإن له استمرارية في أختام الكلورايت مع الفارق في أسلوب النحت .

عدد أختام هذه الفئة أربعة .

الفئة الثالثة :

أختام هذه الفئة تمثل قمة الجودة الفنية للأختام الصدفية، حجمها إما كبير أو متوسط، الظهر له قبة نصف دائرية أو مسطحة مثقوبة أفقياً والحافة الجانبية مائلة للخارج أما الوجه فقام الصانع باستخدام الجزء الأوسط فقط من الشكل الحلزوني الطبيعي كموضوع رئيسي للختم كما استخدم طريقة الكرات المتقاربة التي شكل منها أجسام الحيوانات، ففي الختم رقم (٢٣) بالإضافة للشكل الحلزوني الطبيعي يوجد حيوانان اتجاههما متعاكس بينهما حفرة ربما تمثل القمر الكامل كما يوجد هلال وشمس أو نجم ساطع وثلاث حفر قد تمثل ثلاثة نجوم .

الختم (٢٩) هناك خطوط تخرج من الشكل الحلزوني الطبيعي ربما تمثل أشعة الشمس وثلاثة حيوانات أحدها رأساً على عقب .

الختم رقم (١) تخرج من الشكل الحلزوني الطبيعي ستة خطوط أفقية أسقط عليها خطاً عمودياً ثم حيوان وشمس أو نجم ساطع .

الختم رقم (١٥) بذل الصانع جهداً واضحاً في نحت هذا الختم فأضافه للشكل الحلزوني الطبيعي الذي تخرج منه خطوط أفقية يقطعها خط عمودي نجد نحتاً لحيوان نرجح أنه لغزال له قرنان طويلان توجد أمامه حفرة ربما تمثل القمر الكامل .

إن التكامل الفني الذي ظهرت يه أختام الكلورايت المنبسطة الدائرية قد سبقه هذا التدرج والتطور في الأختام الصدفية على الرغم من وجود تشابه عام واستمرارية لمواضيع الأختام الصدفية في أختام الكلورايت .

المناقشة :

▪ لم يتم العثور إلى الآن على الأختام الصدفية في المستوطنات أو المعابد وإنما عثر عليها في المدافن فقط . كما أنه لم يعثر عليها في المدينة الأولى ولا في الطبقات التي تحتها مما يرجح أنها تعود لفترة سابقة لها .

▪ عثر على الأختام الصدفية في أنواع متعددة من المدافن، مثلاً مدافن مدينة حمد القريبة الشبه بمدافن أم النار وهيلي — مدافن منطقة (B.S) في مدينة حمد والتي اعتبرت فترة انتقالية بين المدافن السابقة ومدافن فترة باربار الفردية في سار — مدينة حمد — مدينة عيسى — عالي، أم جدر كرزكان — المدافن المتشابكة في سار ومدافن الحجر والمقشع المنحوتة في الصخر الطبيعي على شكل سراديب والتي أعيد استعمال غرفة الدفن فيها لعدة فترات تاريخية مختلفة، فهل يعني ذلك استمرارية استعمال هذه الأختام الصدفية لمدة طويلة من الزمن ؟ أم أنه أعيد استعمالها والاحتفاظ بها في فترات متأخرة عن فترة استخدامها .

▪ عثر على هذه الأختام في غرف الدفن لمدافن عُبث بها أو مدافن أعيد استعمالها لذلك يصعب الجزم بتحديد تاريخها أو حتى مقارنتها بمحتويات المدافن من اللقى الأثرية التي وجدت معها كالفخار مثلاً، كما أنه ليس من السهل تجاهل

المقارنات لعناصر الأختام الصدفية سواء الطبيعية منها أو التي أضافها الإنسان وذلك لاستنتاج تطور زمني في أسلوب الحفر الموجود عليها .

■ استعمل الصانع المزرف ذي الرأس المحدب في حفر الأختام الصدفية لذلك ظهرت الحيوانات محورة ومجردة عن الشكل الطبيعي فهي مؤلفة من كرات متراصة متصلة ببعضها البعض، هذا الأسلوب الفني كان شائعاً في ثقافات الشرق الأدنى المبكرة مثل (جمدة نصر) .

■ ربما وجد الصانع أن التفصيلات الطبيعية المنحوتة على الختم الصدفي لا تفي بالغرض المطلوب لتحديد الملكية الشخصية نظراً لمحدودية زخارفها الطبيعية وزيادة الطلب عليها ربما بسبب التوسع في التجارة الإقليمية المتداخلة للمسافات القصيرة ويحتمل الطويلة أيضاً، لذلك قام الصانع بإضافة مواضيع أخرى استمدها من الطبيعة والمعتقد .

■ قد تمثل هذه النقوش مشاهد دينية أو رموزاً قبلية أي ما يسمى عند البدو (بالوسم) الذي استعملوه هم أيضاً للدلالة على الملكية الخاصة .

■ ربما أوحى الشكل الحلزوني لصانع الفخار باستخدامه في تزيين فخار فترة باربار ذي الحلقات الدائرية البارزة والمختفية .

■ نلاحظ أن صانع الختم الصدفي اتخذ من الشكل الحلزوني الطبيعي الذي يتوسط الجزء الداخلي من الصدفة موضوعاً رئيسياً للختم ثم أضاف له فيما بعد مواضيع أخرى مختلفة . نفس هذه الظاهرة نجدها في بعض أختام الكلورايت المنبسطة الدائرية حيث اختار الصانع مواضيع رئيسية نحتها في وسط الختم وأحاطها بمواضيع أخرى جانبية .

■ اختار صانع الأختام الصدفية الأشكال الحيوانية والأجرام السماوية لنقشها على هذه الأختام واستبعد الكائنات البشرية .

■ من الملاحظ أيضاً أن نقش حيوانين أو ثلاثة أحدها مقلوبا رأساً على عقب (وعول – بقر – ثيران – ماعز – غزلان) له استمرارية أيضاً في أختام الكلورايت المنبسطة الدائرية والأمثلة على ذلك كثيرة نورد منها ختماً من فيلكة[٦] وختمين من سار[٧] أختام ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٤٠ – متحف البحرين الوطني . والشواهد على هذه الاستمرارية متعددة . فمثلاً ثمان أو عشرة نجوم منقوشة بشكل دائري،

ورسم العجَلة الدوارة على شكل رءوس غزلان ربما تمثل الجهات الأصلية والفرعية أو شمس أشعتها على شكل رءوس غزلان .

■ اختار الصانع بعض العناصر الخاصة لحفرها على الأختام الصدفية مثل الهلال، الكرات أو الحفر التي ربما تمثل النجوم، الشكل الحلزوني الذي ربما يمثل المجرة أو الشمس، ولا أستبعد أن تكون الغزالة رمزاً للشمس إذ أننا كنا ومازلنا في اللغة العربية نكني عن الشمس بالغزالة، كما أنه تأكد لنا من خلال التنقيب في تلال المدافن الأثرية أنه كانت لأصحابها عقيدة شمسية واضحة بحيث أنهم كانوا باستمرار يحاولون أن يجعلوا قبورهم تتجه ناحية – شرق غرب مع انحرافات بسيطة نحو شمال شرق أو جنوب شرق حسب انحراف الشمس في بعض فصول السنة، وبذلك أمكننا تحديد الفصل الذي بني فيه كل مدفن . بل إن بعض المدافن صممت على شكل شمس لها أشعة (مدينة حمد : B.S مدفن رقم ١٦٨٤)[٨] لذلك لعبت الأجرام السماوية بصفة عامة والشمس بصفة خاصة دوراً رئيسياً في حياة أصحاب هذه الأختام وأمدتنا بفكرة لا بأس بها عن المواضيع والأفكار التي كانت تشغل بالهم .

ويخطئ من ينسب الفكر الديني لهذه المنطقة إلى الفكر الديني لبلاد ما بين النهرين إذ أن هذه الشواهد الأثرية تشير جميعها إلى مجتمع محلي يسير نحو استقلالية فكرية خاصة أملتها عليه قدراته الذاتية وتطور ظروفه .

الخلاصة :

إن دراسة الأختام الصدفية التي وجدت في مدافن البحرين ستلقي الضوء على التطور التاريخي والفني للأختام في البحرين بصفة خاصة، وفي منطقة الشرق الأوسط في الفترات القديمة بصفة عامة، حيث يرجح أن تكون هذه المنطقة واحدة من أهم مراكز إنتاج الأختام .

وإذا افترضنا بأن هذه الأختام الصدفية هي المصدر والأساس لأختام الكلورايت المنبسطة الدائرية التي تتشابه بعض من عناصر مواضيعها مع أختام وادي الرافدين أو وادي السند أو سوريا وكيدوكيا أو حتى الجعارين المصرية . إذن فإن نقوش الأختام

الصدفية تمثل الصفة المميزة لأصحابها قبل تأثر منطقتهم بمؤثرات خارجية . هذه المخلفات الأثرية تشير إلى مجتمع محلي سار في طريق التطور معتمداً على ظروفه وتطور قدراته الذاتية وخاصة تطور خطوط التجارة البحرية القديمة . كما أن خصائص مواضيع الأختام الصدفية وأسلوب تنفيذها واختيار الأصداف المناسبة المتوفرة في البيئة الخليجية قد نجحت إلى حد ما في تكوين شخصية فنية وفكرية ذات طابع مستقل .

أرجو أن أكون قد وفقت إلى إلقاء الضوء على أهمية دراسة فن النحت على الأصداف ليعامل كفن قائم بذاته كي يأخذ مكانته المميزة بين الفنون القديمة، بل ربما كان هو الأصول الأولى للفن بشكل عام، الذي استوحى منه الإنسان الشكل والنحت والنقش .

الشيخة هيا بنت علي بن عبد الله آل خليفة

وكيل وزارة مساعد للثقافة والتراث الوطني

BIBLIOGRAPHY

1 – Ibrahim, M., 1982 : Excavations of The Arab Expedition at Sar El-Jisr, Bahrain 157 No. 1-4.

2 – Bibby, T.G., 1964: Arabian Archaeology, Kuml.107.

3 – Cleuziou, S.: Fouilles A. Umm Jidr (Bahrain) Edition A.D.P.F.; Paris 27-28.

4 – Cleuziou, S., P. Lombard, J.F. Salles. 1977/79: The French Archeological Mission 1976/77, Archaeology in the United Arab Emirates. Vol. II and III, Department of Antiquities and Tourism Al-Ain. (Arab edition). (fig. 17:1).

5 – Bosch, D & E, 1982, Seashells of Oman, 127, 129-130.

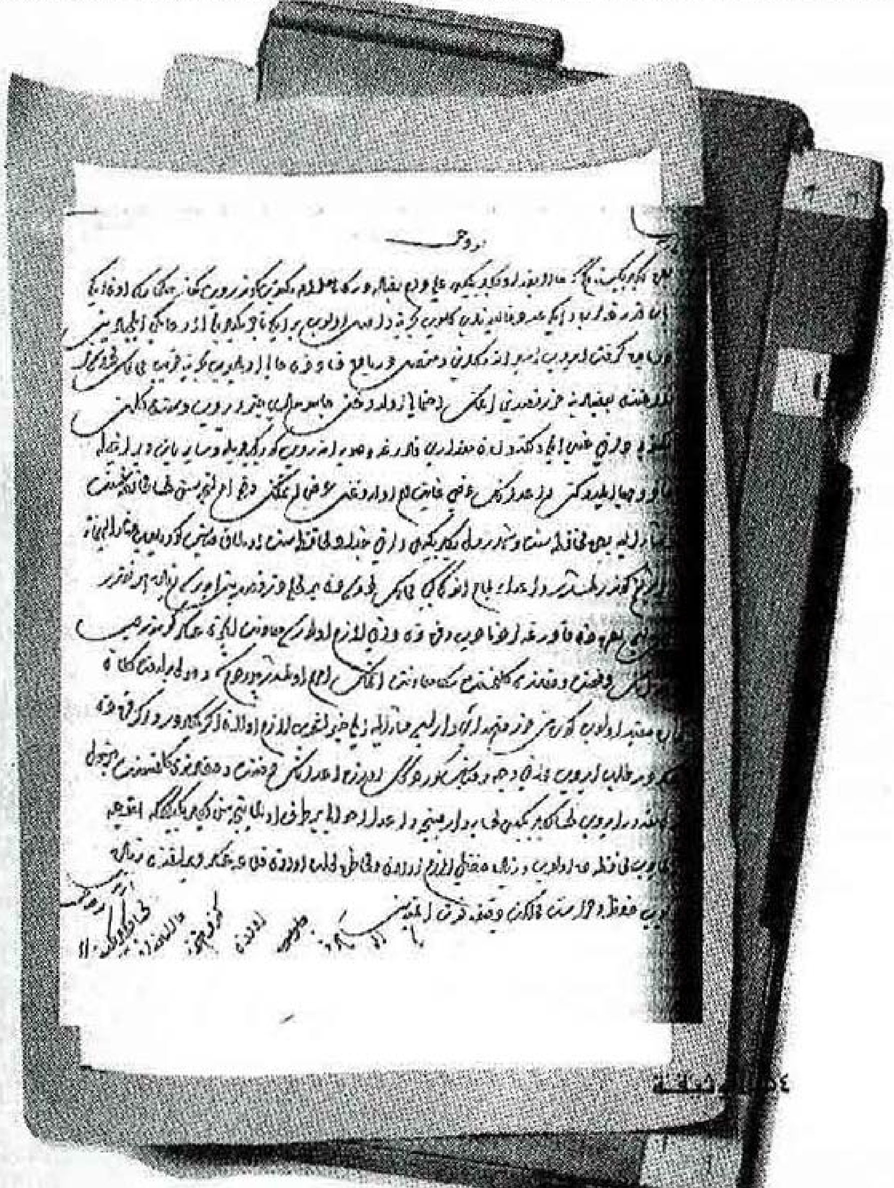
6 – Kjaerum, P. 1980, The Stamp and Cylinder Seals, (Failaka), Journal of Archaeological Society, Denmark publication XVII, Vol. II 1983, P. 123, No. 294.

7a – Ibrahim, M., 1982. Excavations of the Arab Expedition at Sar Al-Jisr.

7b – Mughal, M.R., 1983. The Dilmun Burial Complex at Sar, 1980-82, No. 3, Directorate of Archaeology & Museums (Bahrain).

8 – Directorate of Antiquities and Museums, 1981/3, Unpublished report from Hamad Town, (Bahrain), Directorate of Antiquities and Museums.

البحرين في الوثا



...رن السادس عشر

طبقاً للمصادر العثمانية والبرتغالية

بقلم : الدكتور صالح أوزبران - اسطنبول

"يجدر لأسلافنا تقديرنا لما بذلوه من مجهود للحفاظ على أرشيفاتنا القيمة . لو اعتمدنا على مؤرخينا وعلى مؤلفاتهم فقط لما استطعنا أن نقرأ أو نكتب عن أي موضوع بصورة صحيحة"[1] .

أعرب صفوت بك المؤرخ العثماني البحري عن هذا الرأي في ١٩١٠م حول الأرشيفات العثمانية وكتب التاريخ المتعلقة بفترة الغزو العثماني للبحرين في ١٥٥٩م وفي الواقع يثبت المؤرخون العثمانيون للقرن السادس عشر من العجب بأن مؤلفاتهم أقل إفادة مما كان متوقعاً منهم . إن أرشيفات اسطنبول بالمقارنة، تتضمن معلومات أكثر لأن الحكام العثمانيين (بيلربك) في البصرة والاحساء قاموا بأخبار الحكومة المركزية عن شئون الخليج بانتظام، إما عن البحرين نفسها أو عن البرتغاليين الذين استقروا في هرمز .

هذا وإنه لأسهل لمن يتابع التطورات في الخليج وخاصة في البحرين لأن المؤرخين البرتغاليين كتبوا بالتفصيل في القرن السادس عشر كما أخبر حكام هرمز وجوا ملك البرتغال عن سير الأحداث من وجهة نظرهم .

كان جو دي باروس من كبار المؤرخين البرتغاليين في القرن السادس عشر وعلى الرغم من أنه لم يزر الهند قط إلا أن المراسلات والوثائق الرسمية كانت في متناول يده في "دار الهند) . كتب باروس في كتابه "آسيا" بالتفصيل سرداً للنفوذ البرتغالي الكثيف في كل من البحرين والاحساء في ١٥٢١م . ضم مقرن بن زامل حفيد أجود جزيرة البحرين إلى أقاليمه آنذاك ورفض دفع الخراج إلى سلطات هرمز خلاف ما كان يتوقع منه، وحسب باروس فإنه تعرض للسفن التي كانت تمر بين البصرة وهرمز واكتسب لهذا الغرض بعض السفن ذات مجاديف صنعها له الأتراك[٢] فأرسل ديوجو لوبيز دي سكيرا، الحاكم البرتغالي آنذاك للهند، ابن عمه أنطونيو كوريا إلى البحرين ومعه أسطول بحري وكان من بين قوات مقرن ضد البرتغاليين ٣٠٠ فارس عربي و ٤٠٠ رامي للسهام من الفرس و٢٠ متخصصاً عثمانياً في الأسلحة النارية وقد استخدموا ليس للقتال فحسب بل لتدريب السكان المحليين أيضاً على استخدام الأسلحة النارية[٣] . لم تكن هذه القوة كافية للدفاع عن الجزيرة .

قتل مقرن في القتال وأعلن حميد ابن أخته بأن سكان البحرين والقطيف وهو نفسه مطيعون لملك البرتغال[٤] . وهكذا أصبحت البحرين تابعة بصفة رسمية إلى سيطرة البرتغاليين لمدة قرن تقريباً واعتمد البرتغاليون على حكام هرمز الذين عينوا محافظين محليين من قبلهم .

هنا يدلي باروس بوصف جغرافي للبحرين والخليج تصريحاً لما حدث في الماضي وتطلعاً لما يحدث في المستقبل[٥] .

لم يزر باروس منطقة الخليج قط واستند على علماء الجغرافية. وكان منهم اثنان من العرب وثلاثة من الفرس[٦] فيقول : "بسبب وضعها الجغرافي وأرضها المنخفضة تكثر بها

النخيل وطقسها حار ورطب وتربتها خصبة ويكثر فيها الماء الجوفي تحت السطح لكنه ملح ويسبب الأمراض خاصة بين شهري سبتمبر وفبراير . وفيها تكثر التمور المتنوعة مما يصدر إلى أماكن مختلفة . إضافة إلى ذلك تزرع فيها الفواكه المختلفة مثل أسبانيا كالرمان والتين بصفة خاصة كما توجد فيها حدائق الفواكه بكثرة . ويسكن الجزيرة المسلمون العرب . إن البحرين هي مدينة واقعة في الجزيرة وتعرف الجزيرة بأسرها باسم المدينة . . ومبانيها رائعة مبنية بالحجر والكلس ولها طوابق وأسطح وشرفات ونوافذ . وأهميتها الرئيسية تتجلى في صيد السمك . وتعتبر لآلئهـا من أكثر الأنواع جودة في المنطقة الشرقية(٧) .

تقع الجزيرة بين الاحساء وقطر على الطريق البحري بين هرمز والبصرة ومن هذه الناحية لفتت أنظار جيرانها الأقوياء .

وقد بدأ اهتمام تركيا بالبحرين في ١٥٤٦م فور فتح البصرة . بعثت تركيا في العام التالي بسفير لها إلى هرمز لإقامة الأمن والسلام مستهدفاً الانفتاح التجاري مع الخليج . لقد ورد في خطاب بعث به مانويل دي ليما حاكم هرمز آنذاك إلى الحاكم البرتغالي في الهند في ٢٧ سبتمبر ١٥٤٧م ما يلي : "يريد الأتراك الاقتراب من البحرين إما بالأساليب السلمية وإما بالقوة . إذا فازوا في خطتهم سيصلون إلى مقربة هرمز يلفت صيد اللؤلؤ أنظارهم"(٨) .

احتل العثمانيون القطيف في ١٥٥٠م وهي مدينة ساحلية هامة مما جعل موقف البحرين خطيراً أكثر(٩) .

عندما غادر بيري بك القائد البحري العثماني ميناء السويس بهدف محاصرة هرمز في ١٥٥٢م، تلقى الأوامر من السلطان بأنه يجب على الأسطول العثماني أن يسيطر على البحرين إن أمكن بالإضافة إلى احتلال هرمز(١٠) . إلا أنه لم يستطع تنفيذ هذا الأمر .

بعد مرور سنتين من مهمة بيري بك، حاول قائد بحري عثماني آخر جلب الأسطول العثماني إلى السويس من البصرة وتلقى سيدي علي وهو في طريقه إلى السويس خبراً من حاكم البحرين مراد شاه قائلاً بأن مضيق هرمز مفتوح وليس هناك ما يمنعه من

المرور به . أورد سيدي علي وهو عالم الجغرافية العثماني الشهير، وصفاً موجزاً للبحرين في كتابه "مرآة الممالك" كما يلي :

". . . وسافرنا إلى البحرين ولاقينا حاكمه رئيس مراد إنه أخبرنا بأنه ليس هناك أياً من المتمردين في البحر، وشاهدنا عمليات غريبة في البحرين . رأينا الغواصين يغوصون إلى عمق حوالي ٥٠ قدماً ويجلبون معهم أكياس الماء العذب . هذا الماء لذيذ الطعم وبارد ويستخدم للشرب . أرسل الحاكم لنا كميةً من هذا الماء ولا يشرب رئيس مراد إلا هذا الماء . وهذا هو سبب تسمية البحرين"(١١) .

تعرضت البحرين في عام ١٥٥٩م للاقتحام من قبل كل من العثمانيين والبرتغاليين وتوجد تفاصيله في المصادر التركية والبرتغالية على السواء . من ناحية العثمانيين توجد الأوامر السلطانية التي صدرت بشأن هذه العمليات كما يوجد تقرير لضابط تركي شارك في هذا الغزو(١٢) . من ناحية البرتغاليين يوجد لدينا كتاب باسم "ديكاداس" لـ "ديوجو دي كوتو" . إن تاريخ كوتو في الحقيقة مواصلة لتاريخ باروس . سافر كوتو إلى الهند في ١٥٥٩م ومكث هناك لأكثر من ٥٠ سنة حيث خدم الجيش ثم عين أميناً للأرشيفات في جوا . وهكذا اكتسب بعض المعلومات من الضباط والعساكر البرتغاليين . لذلك تحمل كتابات كوتو أهمية بالغةً ليس بخصوص مهمة ١٥٥٩م فقط بل بشأن الأحداث التي تلت عام ١٥٣٨م أيضاً(١٣) .

تولى مصطفى باشا المحافظ العثماني لولاية الاحساء مهمة الغزوة في ١٥٥٩م وطبقاً لما يقوله كوتو إنه أعد للغزو بالتعاون مع محافظ البصرة(١٤) تذكر الوثيقة المذكورة بأنه قد سبق إرسال ٢٠٠ فارس و ٤٠٠ جندي مع أسلحة نارية إمداداً من البصرة إلى الاحساء . توجد رسالة مؤرخة ٢٨ ذي الحجة ٩٦٦هـ/أول أكتوبر ١٥٥٩م أرسلت إلى حاكم البحرين من السلطان سليمان قائلــة بأن الغزوة انطلقت دون إذن مسبق من السلطان(١٥) .

إننا نعرف حق المعرفة اليوم بأن الحكومة العثمانية كانت حريصة أشد الحرص على الخليج والبحرين . إن كان الغزو ناجحاً لكان السلطان يرحب به . أدت المحاولة من سوء الحظ إلى كارثة . اضطر العثمانيون لمقاومة ظروف الطقس القاسية إضافة إلى

محاربة البرتغاليين والسكان المحليين . وعلى الرغم من أن البرتغاليين مارسوا نفوذاً بالغاً في الجزيرة إلا أنهم واجهوا معاناة بليغة بسبب مقاومة العثمانيين أو بسبب الظروف الجغرافية في البحرين[١٦] . يأتي تفصيلها في رسالة كتبها الأخ لوئي فروا من جوا إلى لشبونة في أول ديسمبر ١٥٦٠م . تقول الرسالة : "جاء الأب بيري برودو هذا العام من هرمز . . وقام أسطول برتغالي ضخم بهجوم ضد البحرين حيث كان قد لجأ إليها الأتراك . . ومرض الجيش البرتغالي والجيش العثماني على حد سواء بسبب الطقس . . على الرغم من أن الجزيرة تتمتع بهواء بارد وأرض خصبة وتراب جميل إلا أنها تتعرض لرداءة الطقس في شهرين من السنة ويندر أن ينجو من أثره السيئ أي أجنبي كان ما كان . ."[١٧] .

لم تجذب البحرين أنظار العثمانيين فيما بعد حتى عام ١٥٧٣م . حاول العثمانيون حتى ذلك الحين إقامة سلام انطلاقا من قناعتهم بأن السلام يستعيد إنعاش البصرة عن طريق التجارة . لم يتمكن البرتغاليون من النزول على شواطئ البصرة والاحساء . تفيد الأوامر السلطانية بأن البحرين أصبحت موضع اهتمام العثمانيين في عام ١٥٧٣م حين صدر أمر سلطاني إلى حاكم شيراز في ١٢ سبتمبر من ذلك العام الموافق ١٥ جمادى الأولى ٩٨١هـ وجاء فيه بأن البرتغاليين أبحروا إلى البحرين وألقوا القبض على بعض السكان كما حجزوا على سفينة أو سفينتين"[١٨] . ويأتي أمر سلطاني آخر مرسل من اسطنبول إلى حاكم البصرة بنفس التاريخ بالنص التالي :

"أمر صادر إلى حاكم البصرة :

أرسل "علي" حاكم بغداد رسالة لنا تخبرنا عن وصول ١٤ سفينة متنوعة للكفار إلى البحرين وعن حجزها لسفينة أو سفينتين وأسر سفير حاكم لار في البحر . يسبب هؤلاء الكفار إزعاجاً مستمراً في البحر ويخبرنا وكلاؤنا عن احتمال تخريب منشآتنا في البحرين . لقد علمنا من رسالتك بأنك أرسلت ١٠ سفن مجهزة بالمجاديف والأسلحة واللوازم الأخرى .



صورة لأمر سلطاني بعث به من اسطمبول إلى حاكم البصرة في ١٢ سبتمبر ١٥٧٣م

أرشيفات اسطمبول، دفاتر مهمة – ٢٢ – ص٣٢٢

أنت قدمت التماساً لنا بأنه يجب طرد العدو من موقعه فأصدرت الأوامر إلى "علي" ليقوم به ولقد اتخذت خطوات أخرى لطرد الكفار من البحرين . وبصفتك حاكماً على البصرة عليك مراقبة شئون الاحساء كما يجب على "علي" أن يراقب شئون البصرة وعلى حاكم شيراز أن يشرف على شئون البلاد . أصدرت الأوامر أيضاً بأنه إذا حصل أي ضرر لأقاليمنا المحروسة من قبل الكفار فترسل السفن من البصرة مع المعدات والذخائر كما أمرت بتجهيزك بالمساعدة في الجنود والتعزيزات الأخرى إذا دعت الحاجة عن طريق البر . آمرك بهذا أن تكون حذراً بشأن الكفار الذين جاءوا إلى البحرين . إذا ألحق العدو بك أي ضرر، عليك أن تفيد "علي" بذلك واطلب منه السفن أو الجنود حسب الحاجة . وعليك أن تنظم الدفاعات والتحصينات والإمدادات والذخائر حيثما كان ضرورياً في مدافعة أقاليمنا"[١٩] .

تبدي هاتان الوثيقتان لعام ١٥٧٣م بأن الحكومة العثمانية اعتبرت فكرة النزول على الأقاليم بالقرب من البحرين كالقطيف والاحساء فكرة عملية . لذلك، كان من الضروري لولايتي بغداد والبصرة أن تراقبا أنشطة البرتغاليين في الخليج .

كانت البحرين موضع انتباه العثمانيين . كانت الحاجة الأولى هي حشد الجنود والمعدات والعتاد الحربي اللازم في الاحساء بالقرب من البحرين . تتضمن إحدى الوثائق الأمر السلطاني المؤرخ ٢٥ مايو ١٥٧٣م جاء فيها استفسار من حاكم الاحساء عما إذا كان غزو البحرين أمراً قابلاً للتنفيذ والاستعدادات المطلوبة لهذا الغرض والوقت المناسب للاقتحام[٢٠] . كما استفسر من حاكم ديار بكر[٢١] إذا كان باستطاعته تزويد حاكم الاحساء باللوازم التي اعتبرها حتمية للغزو مثل ٣٠٠ وحدة قنطر من الحديد والذخائر والمؤن و١٥ وحدة للمدفعية[٢٢] .

استمر اهتمام العثمانيين بالبحرين في عام ١٥٧٥م . جاء في أمر سلطاني بأن بعض العناصر في الجزيرة كانوا من مؤيدي العثمانيين لدرجة استعدادهم لتسليم القلعة لهم عند الغزو . هناك أمر سلطاني آخر[٢٣] موجه إلى حاكم بغداد بتاريخ ٢٠ مايو ١٥٧٥م الموافق

٩ صفر ٩٨٣هـ . تذكر هذه الوثيقة بأن حاكم الاحساء أخبر السلطان في اسطنبول قائلاً بأن السفن الموجودة في البصرة وعدد الجنود المتوفر فيها تكفي لاقتحام الجزيرة . رغم ذلك استفسرت السلطات العثمانية في اسطنبول من حاكم بغداد عن العدد المطلوب من حيث الجنود والسفن والمدافع لغزو البحرين ومتطلبات الذخائر والتموين . إن أمراً قد أرسل من اسطنبول في يونيو ١٥٧٥ إلى حاكم البصرة بما يتضمن بعض التفاصيل للاستعدادات العثمانية لغزو الجزيرة . تعكس هذه الوثيقة الأوضاع بالنسبة إلى تواجد المدافع والذخائر في كل من الاحساء والبصرة[٢٤] ولم تكن في الاحساء مدافع كبيرة لفرض الحصار . كان مدفعان كبيران في البصرة ومدفع آخر في "رمنة" في ولاية البصرة و٣ مدافع أخرى أي ٦ مدافع من حيث الكل . امتلكت البصرة ١٤ سفينة والتموينات وكميات من الحديد والفئوس والمعاول والبارود والبنادق .

لم تفلح هذه الاستعدادات إطلاقاً . وصل أمر من السلطة المركزية إلى حاكم البصرة في ١٥٧٦م (٩٨٤هـ) بأنه لا يقوم بأي هجوم في ذلك الوقت وعليه أن يراقب ساحل الاحساء فقط بواسطة سفينتين من عنده[٢٥] .

حدثت أحداث هامة في نفس الوقت في البحرين ويتضمن خطاب أرسل من اسطنبول إلى حاكم الاحساء في ٣ فبراير ١٥٧٧م (٦ من ذي الحجة ٩٨٥هـ) المعلومات التالية : "مات محمود شاه حاكم البحرين وحل وزير شاه محله وهو ابنه . نزل نور الدين على البحرين وهو أحد وزراء هرمز وقبض على الحاكم الجديد . صدرت الأوامر إلى حاكم الاحساء ليسلم سفينتين مجهزتين بالذخائر والمعدات إلى حاكم البصرة"[٢٦] .

يبدو بأن حكومة اسطنبول تخلت عن جميع المشاريع لغزو البحرين في بداية عام ١٥٧٧م . رغم ذلك ورد اسم البحرين مراراً في المراسلات فيما بعد . وتتركز المراسلات على النشاطات الضارة للسكان العرب المحليين على شواطئ الاحساء[٢٧] .

احتلت البحرين مكاناً أقل أهمية بعد حرب طويلة وغالية دارت مع الصفويين . أُذِن حاكم الاحساء في ١٥٩١م بغزو الجزيرة ولكن دون أي دعم مادي مساعدةً لتنفيذ المشروع .

على كل حال لم يسكت البرتغاليون في هذه الأثناء وبعث الملك البرتغالي برسالة إلى الحاكم العام في ١٥٨٩م حذره فيها من هجوم عثماني محتمل على الجزيرة وأشاد بالخطوات التي اتخذها بهذا الشأن[٢٨] .

د. صالح أوزبران – اسطنبول

الهوامش

١ — صفوت بك، "بحرين دي بيرواكا" في تاريخ عثماني (اسطنبول، ١٣٢٦هـ/١٩١٠م)، ص١١٣٩ .

٢ — جوو ودي باروس، دا آسيا، لشبوآ ١٧٧٧-١٧٧٨ ديكاد ١١١، ليفرو في ١، كابيتولـو، ٢، ص٢٧ . تشير كلمة "الأتراك" هنا إلى العثمانيين الذين عاشوا في الأقاليم التي كانت تحت حكم السلطان العثماني . يذكر باروس أيضاً بأن مقرن سافر إلى مكة ليجيء ببعض الفنيين الأتراك المتخصصين في صنع المراكب الصغيرة المسيرة بالمجداف مستهدفاً فرض سيطرة على مضيق الخليج .

٣ — باروس، دك ٣، ليف ٦، كاب ٣، ص٣٣ .

٤ — للتفاصيل أنظر : باروس، دك ٣، ليف ٦، كاب ٥ ؛ جاسبار كوريا، لينداس دا إنديا، لشبوا ١٨٥٨-١٨٦١م، مجلد ٢، ص٦٤٨-٦٤٩ .

٥ — باروس، دك ٣، ليف ٦، كاب ٥، ص٣٣ .

٦ — نفس المصدر ص٣٩ .

٧ — نفس المصدر، قد جاء ذكر البحرين من ضمن أسفار أنطونيو تنريرو الذي سافر من هرمز إلى البرتغال عن طريق البر في ١٥٢٣م، أنظر كونمبرا ١٩٢٨م، ص١٠٨-١٠٩ .

٨ — كارتاس دا أورمز، جوو دي كاسترو، ١٢١ ب .

٩ — بالنسبة إلى التطورات في الخليج بعد احتلال العثمانيين للبصرة أنظر المقال : "الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج، ١٥٣٤-١٥٨١" الذي نشر في مجلة التاريخ الآسيوي ١/٦ (ويس بادن ١٩٧٢)، ص٥٠-٥٦ للدكتور أوزبران ؛ و "تاريخ الستي تيوسو درجسي ٩ (اسطنبول ١٩٧٨)، ص٢٤١-٢٩٢ ؛ ومنداقيل "الولاية العثمانية (الاحساء) في القرن السادس عشر والسابع عشر"، في مجلة "الجمعية الأمريكية الشرقية" ٣/٩٠، ١٩٧٠، ص٤٨٦-٥١٣، وخاصة ص٤٨٨ .

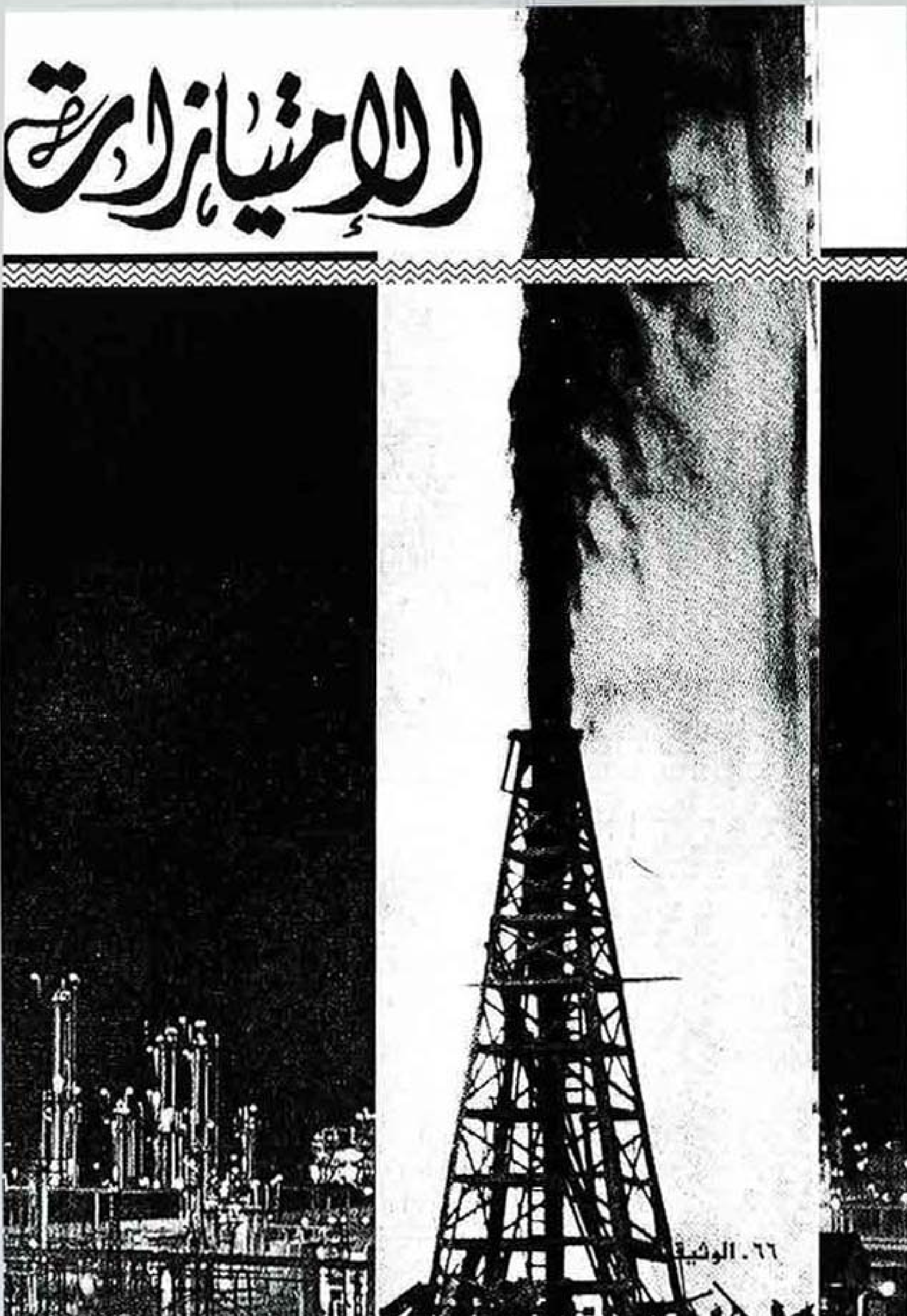
١٠ — بليتين ١٣٤/٣٤ (أنقرة ١٩٧٠م)، ص٢٤٩ .

١١ — سيدي ريس "مرآة المالك" اسطنبول، ١٣١٣هـ/١٨٩٥م، ص١٨ .

١٢ — تاريخ درجيسي ٢٢/١٧ (اسطنبول ١٩٦٧م) ص١-١٦ ؛ أنظر أيضاً : د. أوزبران، "البحرين في ١٥٥٩م : قصة الصراع التركي البرتغالي في الخليج" في "مجلة الدراسات العثمانية" ٣ (اسطنبول ١٩٨٢)، ص٩١-١٠٤ .

١٣ – سي.آر. بوكسر، "٣ مؤرخون/ آسيا البرتغالية" (باروس،كوتو وبوكارو) .
١٤ – دك ٧، ليف ٧، كاب ٧، ص١١٠ .
١٥ – دفتر الأمور المهمة، ١١١ ص١٤٠، يقول السلطان في الرسالة المذكورة بأنه منح محافظ البحرين بمنصب الحاكم "سنجك بك" ؛ أنظر أيضاً صفوت بك "بحرين دي بيرواكا"، ص١١٤٠–١١٤١ .
١٦ – لتفاصيل القصة أنظر : كوتو، دك٧، ليف ٧، كابس ٧–٩ ؛ و "وصف عـــن البحـــرين" كاب ٩، ص١٥٢–١٥٤ .
١٧ – " دوكومنتوس سوبر برتغالي موزنبيق" مجلد ٧، ص٥٤٦ .
١٨ – دفاتر مهمة ٢٢، ص٣١٧ .
١٩ – نفس المصدر، ص٣٢٢ .
٢٠ – نفس المصدر، ص٤٣ .
طبقاً لقول قاضي الاحساء كانت البحرين تشمل أكثر من ٣٠٠ قرية .
٢١ – دفاتر مهمة، ٢٧، ص٨١ ؛ ص. أوزبران، "الأتراك العثمانيون والبرتغاليون"، ص٨٦–٨٧ .
٢٢ – دفاتر مهمة، ٣، ١٢٨ .
٢٣ – نفس المصدر، ٢٧، ص٨١ .
كان دخل البحرين حسب تقديرات حاكم الاحساء ٤٠,٠٠٠ فلوري (وكان فلوري هو الاسم العثماني للعملة الذهبية المستخدمة في أوروبا وكانت تساوي ٤٥ أسبر في ١٤٦٨م و٥٠ أسبر في ١٥٦٨م) .
٢٤ – دفاتر مهمة، ٢٧، ص٧٦ .
٢٥ – نفس المصدر، ٣، ص١٦٦ .
٢٦ – نفس المصدر، ٣٠، ص٣٥٣ .
٢٧ – نفس المصدر، ص٤٨١ .
٢٨ – المتحف البريطاني (لندن)، ٢٠٨٦١/١١٧ف .

الامتيازات



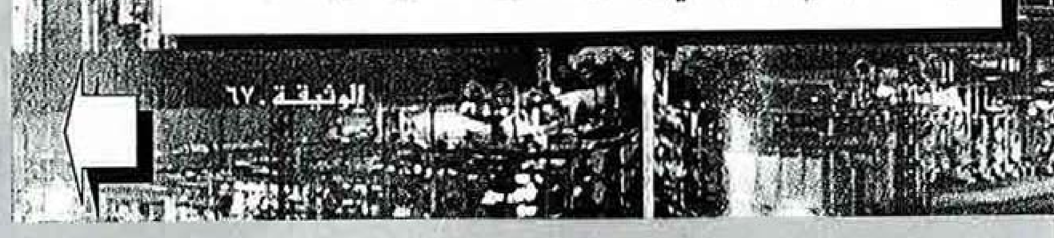
النفطية فى سلطنة عمان

[القسم الأول] ١٩٤٥ - ١٩٨٠م

بداية اهتمام المصالح البريطانية النفطية بالسلطنة

بقلم : سبلة طلال ياسين

سبق للبريطانيين أن حصلوا على تعهد من السلطان فيصل بن تركي (١٨٨٨-١٩١٣م) بشأن استثمار حقول الفحم الحجري بمدينة صور عام ١٩٠٢م . كما عقدت شركة بريطانية هي شركة استكشاف الإسفنج المحدودة اتفاقية مع السلطان في ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٠٥م يحق لبريطانيا بموجبها أن تستأثر بصيد الإسفنج في المياه الإقليمية العمانية لخمسة عشر عاما[١] مما أثار غضب القبائل العمانية ضد السلطان لإضراره بمصالحها وبدأت تنتشر الأخبار بينها من أن السلطان (قد باع البلاد إلى الإنجليز) كما أنه تلقى بعض الرسائل من زعماء القبائل تصفه (بالخائن) وهددت بقتل أي أجنبي يدخل المناطق الداخلية من عمان[٢] .



وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى حاولت الحكومة البريطانية الحصول على تعهد من السلطان تيمور بن فيصل(١٩١٣-١٩٣٢م) يمنحها بموجبه امتيازاً للتنقيب عن النفط في عمان[٣] . ولم يكن حرص الحكومة البريطانية في الحصول على امتياز للتنقيب عن النفط مقتصراً على عمان فحسب، بل سبق لها أن بادرت إلى أخذ تعهدات من شيوخ الخليج العربي بأن لا يمنحوا أي امتياز للتنقيب عن النفط في بلادهم إلى أية جهة أو شخص دون مشاورتها[٤] .

وفي الواقع أن أول ذكر لوجود النفط في الساحل الغربي للخليج العربي ورد في رسالة بعث بها الشيخ مبارك الصباح إلى المقيم السياسي في الخليج العربي في ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩١٣م يخبره فيها باستعداده التام بتسهيل اطلاع من سيرسله للتنقيب عن النفط ويخبره بأن لا يعطي الامتياز لأيــة جهة دون موافقة الحكومة البريطانية[٥] وتجدر الإشارة إلى أن حماس بريطانيا للحصول على امتيازات النفط تصاعد بعد التحول الذي طرأ على استخدام أسطولها للنفط كوقود بدل الفحم، حيث أصدر رئيس بحريتها عام ١٩١٣م قراراً يقضي بالتحول النهائي إلى استخدام النفط في تسيير الأساطيل البحرية[٦] .

أما عن امتياز النفط في عمان، فقد بعث الميجور راي (Ray) القنصل والوكيل البريطاني في مسقط برسالة إلى سلطان عمان تيمور بن فيصل في ١٦ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٢٢م يستفسر منه فيها عن موقفه من استثمار النفط في بلاده[٧] وقد أجابه السلطان تيمور في العاشر من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٢٣م برسالة جاء فيها : "إننا نوافق على ألا نستغل البترول الذي قد يعثر عليه في أية بقعة قد تدخل في نطاق أراضينا وإننا لن نمنح أحداً إذناً باستغلاله دون استشارة الوكيل السياسي في مسقط وبغير موافقة حكومة الهند وأن ما وصل إلى مسامعنا عن وجود الزيت المعدني في أراضينا (بمصيره) لم يتحقق صحته بعد وقد بدأنا التحري عن وجود هذا المعدن، وبعد أن نقف على حقيقته سنبحث معكم في أمر استغلاله واتخاذ التدابير اللازمة، وتنظيم العمل، وفرض الشروط اللازمة، وسيكون العمل بطبيعة الحال احتكاراً ونحن نثق بالمساعدة الكاملة التي ستمدنا بها حكومة الهند السامية . في هذا الشأن كما سبق أن عاونتنا على

الدوام"[٨] وقد عُدّت هذه الرسالة بمثابة تعهد من السلطان تيمور بأنه لن يمنح أياً من الدول الأجنبية حقوقاً للتنقيب عن النفط دون استشارة بريطانيا أولاً .

وفي عام ١٩٢٥م منح السلطان تيمور شركة دارسي (Darcy)[٩] امتيازاً للتنقيب عن النفط والغاز الطبيعي وغيرهما من المنتجات[١٠] وتنفيذاً لهذا الاتفاق قامت بعثة جيولوجية بريطانية بإجراء المسح الأولي ووصل إلى عمان الدكتور جورج ليز (G.M. Lees) وواشنطن جراي (K.W.Gray) وقاما بدراسة جيولوجية للمناطق المحيطة بالعاصمة . وقد أعدت ترتيبات لقيامهما برحلة برية على طول ساحل الباطنة وإلى جبال الحجر . وقد غادر الفريق بيت الفلج في الثالث من أيلول (سبتمبر) يرافقهما الكابتن سي.جي. إكلس (C.G.Eccles) الضابط في الجيش البريطاني الهندي والمعار لحكومة السلطان تيمور بن فيصل كقائد لمجندي مسقط كما رافقهما أيضاً جوزيف فرناندس (Joseph Fernandes) عن جمعية بومباي للتاريخ الطبيعي . وكان دليل البعثة والمسئول عنها عبد الله ويليمسون[١١] . وتجدر الإشارة هنا إلى أن البعثة حصلت على موافقة لإجراء عمليات التنقيب في المناطق الساحلية فقط إذ لم يسمح لهم بالتنقيب في المناطق الداخلية من عمان لأنها كانت خارج سيطرة السلطان بسبب الانفصال القائم بين الإمامة والسلطنة على وفق اتفاقية (السيب) التي عقدت في ٢٥ أيلول (سبتمبر) ١٩٢٠ بين حكومة السلطان تيمور بن فيصل والشيخ عيسى بن صالح الحارثي نيابة عن الإمام محمد بن عبد الله الخليلي بواسطة المستر ونجيب باليوز القنصل البريطاني[١٢] .

وأكد ذلك كوكس إذ ذكر "إنه من العسير جداً على الأجنبي التنقل في داخل عمان لأن السلطان لا يسيطر عملياً على المناطق خارج أسوار مسقط، والشخص الذي يرغب في السفر إلى الداخل عليه أخذ موافقة زعماء القبائل التي يمر بها"[١٣] . وفي تقرير للمقيم البريطاني في الخليج العربي الكولونيل تريفور (Trevor) إلى حكومة الهند أكد فيه أن العمانيين في الداخل يعتبرون أنفسهم غير ملزمين بالتعهد الذي أعطاه السلطان تيمور للحكومة البريطانية ويرون بوجوب دخول الحكومة البريطانية في مفاوضات معهم للتوصل إلى اتفاق بهذا الخصوص، وقد اقترح المقيم البريطاني على حكومته أن تصاحب ذلك بتقديم عروض مالية لهم[١٤] .

لم توفق البعثة الجيولوجية في اكتشاف أي شيء ذي قيمة من الوجهة التجارية وقد انتهت مدة الامتياز بصورة تلقائية بعد ثلاثة أعوام من تاريخ إبرامه[١٥] . وعلى أية

حال عدت اكتشافات بعثة (ليـــن) فيما بعد حافزاً بعث الاهتمام في إمكانات وجود النفط في أراضي السلطنة .

في الخامس من تموز (يوليو) عام ١٩٣٤م كتب السلطان سعيد بن تيمور رسالة إلى القنصل البريطاني بريمر (Bremer) في مسقط يطلب منه الاتصال بإحدى شركات النفط البريطانية للعمل في بلاده بدلاً من الشركة السابقة التي لم تتوصل إلى أية نتيجة . وأشار إلى أنه في حالة عدم مقدرة القنصل البريطاني على تحقيق ذلك فعليه أن يفسح المجال للسلطنة للاتصال بصورة مباشرة مع شركات النفط العاملة في المنطقة[١٦] . وتجدر الإشارة هنا إلى أن فترة الثلاثينيات تميزت بنشاط واسع لشركات النفط الأمريكية التي استطاعت أن تحقق تفوقاً كبيراً في منطقة الخليج العربي بعد أن تمكنت من الحصول على الامتياز الكامل لها في البحرين عام ١٩٣٢م والسعودية عام ١٩٣٣م وأخيراً حصلت على نصف امتياز الكويت عام ١٩٣٤م[١٧] . ويبدو أن السلطان كان يرغب بإعطاء الامتياز إلى شركة أمريكية فقد جاء في أحد التقارير الأمريكية أن السلطان سعيد بن تيمور كان يتابع باهتمام نشاط شركات النفط الأمريكية في المنطقة[١٨] .

ولما عرض طلب السلطان على حكومة الهند أبدى المقيم السياسي البريطاني في بوشهر تخوفه من امتداد نشاط المصالح الأمريكية إلى عمان وأكد أن الطريقة المثلى هي في تشجيع شركة النفط الأنجلوفارسية على الاستمرار في التنقيب وأشار إلى أنه في حالة فشلها يمكن التعاقد مع شركات بريطانية أخرى[١٩] . ولكن رغم مساعي الحكومة البريطانية لإبعاد شركات النفط الأمريكية عن السلطنة فقد اتضح أن هناك اتصالاً بين شركة نفط كاليفورنيا (California Oil Company)، وسلطان مسقط بصدد امتياز النفط في بلاده . ففي كانون الثاني (يناير) عام ١٩٣٧م بعث السلطان إلى الشركة الأمريكية بنماذج من نضوح نفطي لدراسة الاحتمالات النفطية في بلاده[٢٠] وقد فسرت بريطانيا عرض السلطان بأنه دعوة لشركة نفط كاليفورنيا الأمريكية للعمل في عمان وليس من المعقول أن يتجاهلها الأمريكان فاتصل بلانتين (Blantin) ممثل الشركة الأمريكية في لندن بالسيد كلسن (Clauson) أحد المسئولين في وزارة الهند واستأذن منه للاتصال بالسلطان بناءً على طلب الأخير وطلب من الوزارة تزويد هاملتون (Hamelton) ممثل شركة نفط البحرين، بتأشيرة سفر إلى مسقط إلا أن كلسن رفض الطلب بحجة أن ذلك

يتم عن طريق المسئولين في الخليج العربي واقترح على بلانتين انتظار رد الحكومة البريطانية بشأن ما تم بين شركة نفط كاليفورنيا وسلطان مسقط[٢١] .

مما يلاحظ بوضوح أن الحكومة البريطانية كانت ترفض أي خطوة تتخذها المصالح الأمريكية في الخليج العربي وكذلك في سلطنة عمان وهذا ما أوضحه الرد الذي تقدمت به وزارة الهند البريطانية فقد رفضت ذلك موضحة في ردها بأن السلطان العماني مرتبط بتعهد مع بريطانيا الأمر الذي لا يسمح له بمنح أي امتياز نفطي دون استشارة المقيم البريطاني أو موافقة الحكومة البريطانية[٢٢] وقد تذرعت وزارة الهند بحجتها التقليدية فأوضحت أن شركة امتيازات النفط المحدودة (Petroleum Concession Limited)[٢٣] أبدت رغبتها في التفاوض مع السلطان وقد أجيبت إلى طلبها ووافق السلطان على دعوتها أيضاً . إلا أن غياب السلطان المتواصل عن العاصمة حال دون تحقيق ذلك[٢٤] لذا فإن الحكومة البريطانية في مثل هذه الظروف تعد شركة امتيازات النفط المحدودة ذات أسبقية ولا يمكنها أن توافق على دخول أية شركة منافسة إلى المنطقة[٢٥] غير أن شركات النفط الأمريكية لم تترك الأمر عند رفض وزارة الهند البريطانية بل سعت إلى إعادة الاتصال مرة أخرى مع السلطان ولكن بطريقة سرية وبالتعاون مع مصالح نفطية إيطالية .

ففي نيسان (أبريل)عام ١٩٣٧م زار أحد الرعايا الإيطاليين ويدعى باستوري (Pastori) مسقط[٢٦] تحت ذريعة التعاقد على عمال لبناء الطرق في مستعمرة إريتريا الإيطالية في شرق أفريقيا وكان يصحب باستوري في هذه الزيارة الكونت برورك (Prork) وهو رجل أعمال بولندي بحجة القيام بأبحاث أثرية في مسقط، وقد عرض مبالغ كبيرة على سلطان مسقط وشيوخ الداخل لتسهيل مهمته .

إلا أن الوكيل البريطاني في مسقط الكولونيل وات (Watt) تشكك من نشاط برورك ولذلك رفض التصريح له بالإقامة في مسقط بالرغم من ادعائه : بأن لقاءه مع باستوري كان أمراً بمحض الصدفة[٢٧] ولعله كان على حق بإبعاده فقد تبين أن برورك كان يعمل عميلاً لشركة نفط كاليفورنيا . أما باستوري فقد كان يعمل هو الآخر لحساب بعثة إيطالية أمريكية مهتمة بالتنقيب عن النفط[٢٨] .

على أية حال فإن السلطات البريطانية قد خبرت هذه الأساليب للشركات الأمريكية في محاولاتها المتعددة للحصول على امتيازات لاستثمار النفط في عموم منطقة الخليج العربي وكانت دائمة الحيطة والحذر من النشاطات العربية لصائدي الامتيازات .

وأخيراً ارتأت بريطانيا أن تسلك أفضل السبل في سد الطرق أمام الشركات الأمريكية إلى عمان، وذلك من خلال اهتمامها بالسلطان نفسه فأكدت الحكومة البريطانية في برقيتها للمقيم السياسي في الأول من حزيران (يونيو) عام ١٩٣٧م على ضرورة تنبيه السلطان العماني وتحميله مسئولية تزايد النشاط الأمريكي في بلاده جراء اتصالاته المتكررة مع الشركات النفطية الأمريكية وأوصت بتذكير السلطان بالتزاماته التي أبداها حيال بريطانيا منذ عام ١٩٢٣م التي تحول دون منحه أي امتياز دون مشاورة الحكومة البريطانية وموافقتها[٢٩] .

وقد رد السلطان برسالة مؤرخة في الحادي عشر من حزيران (يونيو) عام ١٩٣٧م جاء فيها : "سابقاً كلفناكم والتمسنا منكم أن تحصلوا لنا على شركة لإعطائها امتياز الاستكشاف لإخراج البترول في مملكتنا وفي زيارتكم الأخيرة لنا عندما كنا في ظفار أخبرتمونا بحصول الشركة التي ترغب بأخذ ذلك الامتياز وبعد رجوعنا من البلاد المذكورة إلى مسقط وفي أول مقابلتنا لكم في شهر مارس الماضي أشعرتمونا بأن رجل يسمى الميجور (هولن) سيصل إلى مسقط عن طريق تلك الشركة لأجل المخابرة والمقاولة معنا . . ." وأضاف السلطان في رسالته بقوله "لقد مضت ثلاثة أشهر تقريباً ولم نحصل على رد . . ." وختم السلطان رسالته بقوله "إننا لا ننوي أن نعطي هذه الشركة امتياز لكل ممالكنا بل لقسم منها والذي سنعينه وما بقي من ممالكنا سنجعل الامتياز لشركات أخرى الذين يرغبون في أخذ الامتياز وكل شركة تكون شروطها سهلة علينا ودفعها أكثر المبالغ تكون مرغوبة من قبلنا فبعد أن نتفق مع الرجل القادم سوف نسعى على تحصيل شركات ثانية لأجل إعطائها الامتيازات . ."[٣٠] .

حصول شركة امتيازات النفط المحدودة على امتياز عمان وظفار

في الوقت الذي كانت فيه الاتصالات تدور بين الجانبين وصل ممثل شركة نفط العراق (I.P.C.) (Iraq Petroleum)[٣١] إلى مسقط وبدأ المفاوضات مع السلطان . وفي الرابع والعشرين من حزيران (يونيو) عام ١٩٣٧م حصلت شركة امتيازات النفط

المحدودة، وهي إحدى الشركات في مجموعة شركات نفط العراق على الامتياز كما أنشأت شركة جديدة هي شركة تنمية نفط عمان وظفار المحدودة (Petroleum Development Oman and Dhofar Limited) لتعمل في منطقة الامتياز التي شملت عمان وظفار لخمسة وسبعين عاما[٣٢] . ومن أهم ما جاء في شروط الامتياز بالنسبة لظفار : "إن مساحة الامتياز تشمل مقاطعة ظفار بما في ذلك جميع الجزر والمياه الإقليمية التابعة لها" . ونصت أيضاً على منح السلطان بموجب هذا الامتياز للشركة لمدة خمسة أعوام من تاريخ التوقيع عليه "يشار إليه فيما بعد بمدة الخيار حقاً منحصراً فيها لتستكشف وتبحث عن النفط الخام ومنتجاتها ضمن المنطقة المؤجرة" .

ويلاحظ في الأسلوب الذي اتبعته الشركة لأول مرة في تحديد المدة الزمنية ليكون للشركة بعدها حق مواصلة التنقيب أو سحبه جاء نتيجة الأوضاع غير المستقرة في المناطق الداخلية وحتى لا تتحمل الشركة دفع نفقات كبيرة . ومن ضمن الاتفاق أيضاً أن تدفع الشركة مبلغ ثلاثين ألف روبية عند التوقيـــع وثلاثة آلاف روبية شهرياً خلال مدة الخيار[٣٣] .

أما بالنسبة لامتياز مسقط وعمان فقد شمل جميع أراضي مسقط وعمان، وبالرغم من أن الامتياز شمل الأجزاء الداخلية من عمان إلا أن نشاطات الشركة حددت لأن السلطان لم يكن يسيطر على ما هو أكثر من ثلث عمان[٣٤] فقد احتج الإمام محمد بن عبد الله الخليلي على هذا الامتياز على اعتبار أن السلطان منح امتيازا في أراض لا يملكها . فرد القنصل البريطاني مؤكداً للإمام بأنه يمكن إعادة النظر في هذا الموضوع حينما يتم اكتشاف النفط[٣٥] . والجدير بالذكر أن قادة الإمامة بالرغم من معارضتهم للامتياز الذي منحه السلطان إلى بريطانيا، فإنهم بعد أن تأكدوا من وجود النفط في أراضيهم وصعوبة إجراء عمليات التنقيب عنه دون موافقتهم حاولوا الاستفادة من هذا الأمر لصالحهم . واعتبرت زيارة الشيخ عيسى بن صالح أحد أبرز قادة الإمامة إلى مسقط في عام ١٩٣٧م ضمن هذا الاتجاه، إذ أنها الزيارة الأولى منذ هجومه على العاصمة في كانون الثاني (يناير) عام ١٩١٥م[٣٦] . ومما لاشك فيه أنه كان يهدف لو أتيحت له فرصة المشـــاركة في أرباح النفط . ونتيجة توقيع الاتفاقية قام ستيفن لونكريك (S.H.Longrigg) المدير العام للشركة في الثامن عشر من تشرين الأول عام ١٩٣٨م بزيارة لمسقط واجتمع بالسلطان سعيد

بن تيمور وبدأ مفاوضات حول المسح الجيولوجي، وقد أسفرت المفاوضات عن موافقة السلطان على بدء العمل في المسح المطلوب ورحب بمجيء الفريق المكلف بذلك(٣٧) .

وفي الوقت نفسه قام السلطان بتقديم بعض المعونات والهدايا إلى قبائل منطقة الظاهرة(٣٨) لتسهل عملية مرور الجيولوجيين(٣٩) . وفي الأول من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨م وصل السيد ثومبسون (Thompson) والسيد هوجكيس (Hotchkiss) وهما جيولوجيان في الشركة إلى مسقط والتحق بهم المترجم حسن محمد صالح من عدن(٤٠) .

غادرت البعثة الجيولوجية مسقط في الرابع من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨م بواسطة قارب إلى خبر حيث بدأوا من هناك رحلة استكشافية في الداخل وزاروا مدينة ينقل وضنك وأخيراً وصلوا إلى البريمي(٤١)، حيث التقوا بفريق من شركة نفط العراق (I.P.C.) الذي جاء من أبوظبي كما تمت أيضاً زيارات قصيرة إلى أجزاء من ساحل الباطنة وظفار(٤٢) . وجاءت نتائج عمليات المسح الجيولوجي مخيبة للآمال فأوقف الفريق عمليات البحث الجيولوجي وغادر مسقط إلى الشارقة لإجراء المشاورات مع المدير العام حول الخطط المستقبلية للشركة وقد اقترح تمبسون بعد لقائه بلونكريك ضرورة إجراء مسح جوي في ظفار في بداية السنة القادمة(٤٣) .

في عام ١٩٣٩م عادت الشركة واستأنفت عمليات المسح الجيولوجي في ظفار ولكن اندلاع الحرب العالمية الثانية حال دون الاستمرار في عملية التنقيب مما جعل الشركة تقرر إيقاف أعمال المسح الجيولوجي(٤٤) .

استئناف شركة امتيازات نفط عمان وظفار أعمالها الاستكشافية

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت شركة نفط عمان وظفار المحدودة عمليات البحث عن النفط في مناطق البريمي وساحل عمان وهي المناطق التي لم تكن قد عينت حدودها بشكل واضح(٤٥) . ففي نيسان (أبريل) عام ١٩٤٦م استلم السلطان سعيد بن تيمور رسالة من القنصل البريطاني في مسقط آر.آي. هالوز (R.I. Hallows) يخبره فيها برغبة السيد بيكر (Baker) رئيس الجيولوجيين والسيد ليرمت (Lermitte) ممثل شركة

الامتيازات النفطية المحدودة بزيارة مسقط في العاشر من نيسان (أبريل) لمناقشة القضايا النفطية[٤٦] .

وفي الوقت الذي كانت فيه الاتصالات تدور بين الجانبين وصل كل من السيد بيكر ولرمت إلى مسقط في العاشر من نيسان للتأكد من السلطان عن المساحات التي يمكن التنقيب فيها والوصول إليها وقد حصل الوفد على موافقة السلطان في استئناف أعمال المسح الجيولوجي في منطقة الظاهرة وبلاد بنو بو علي والأراضي إلى جنوبها وغربها ومقاطعة ظفار . فضلاً على ذلك وافق السلطان على القيام برحلات جوية فوق كل أراضيه بشرط أن يكون الطيران على أراضي الداخل عالياً بصورة كافية[٤٧] .

وفي ٣٠ نيسان (أبريل) عام ١٩٤٦م عقد اجتماع في مكتب حكومة الهند برئاسة دونالدسون (Donaldson) رئيساً والسيد هارسين (Harrison) ممثل حكومة الهند، ولونكريك والسيد وتلي (Wheatly) والسيد بيكر (Baker) عن شركة امتيازات النفط المحدودة، والسيد ستوك (Stock) وغوس (Goss) . قدم فيه السيد بيكر تقريراً عن المباحثات التي أجراها هو والسيد ليرمت مع السلطان سعيد بن تيمور أشار فيه إلى أن السلطان وعدهم بالوصول إلى أراضي على خط ٢٠ كيلومتر من الساحل وإلى رأس الحد في الجنوب الشرقي ومن هناك إلى شريط جنوبي غربي قدره ٥٠ كيلومتراً من الساحل . وأضاف بيكر في تقريره أن الشركة تتوقع وجود النفط في منطقة الفهود . وختم تقريره بالقول : "إن السلطان لم يستطع أن يعدهم بالوصول الآمن إلى هناك ولكن سيكون بمثابة العون للشركة لو قامت بمسح جوي للجانب الغربي من عمان، وأكد أن الطيران يكون عالياً"[٤٨] .

وقدم ممثلو الشركة تقريراً عن برنامج الاستكشاف الذي تود الشركة القيام به الذي يبدأ في خريف عام ١٩٤٦م وهو كالآتي :

١ = الفحص الجيولوجي للأرض من :

- الخابورة إلى ينقل وضنك وعبري .
- الجبل الأخضر .
- مسقط إلى أزكي من خلال وادي سمائل .

٢ = جرودات ومسوحات جيولوجية . إما عن طريق البر وإذا كان ممكناً عملياً عن طريق الجو .

- الجبهة الغربية لعمان من الساحل جنوب رأس الحد إلى الخليج العربي .
- الساحل والأراضي الخلفية بين رأس الحد وظفار إلى أي مدى سوف تشير إليه النتائج الجيولوجية التركيبية لرحلات الطيران .
- ساحل الباطنة بين مسقط وصحار[٤٩] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كثيراً من المناطق التي وردت في التقرير وشملها المسح الجيولوجي، كانت تابعة لمنطقة الإمامة التي أقيمت في داخل عمان بعد معاهدة السيب وكان تنافس كل من الإمام والسلطان على بسط نفوذهما على إقليم الظاهرة سبباً في تشجيع روح الاستقلال لدى القبائل وخاصة في منطقة البريمي التي كانت تقطنها قبائل البو شميس والنعيم وجماعة من بني قتب وبني كعب . وقد زاد اهتمام السلطان سعيد بن تيمور بتركز سلطانه في هذه المنطقة من أراضيه ففي عام ١٩٤٥م زار شقيق السلطان السيد طارق بن تيمور منطقة الظاهرة وتفقد أحوال قرية البريمي[٥٠] ولذلك لم يستطع السلطان أن يعد ممثلي الشركة بالوصول إلى معظم المناطق التي تود الشركة التنقيب فيها .

وفي ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٤٦م عقد اجتماع آخر في مكتب حكومة الهند لمناقشة استكشاف موارد النفط في مسقط وعمان[٥١] أشار فيها روبرت هاي(Robert Hay) المقيم السياسي في الخليج العربي بأنه ليس للسلطان اعتراض على أن تتفاوض الشركة مباشرة مع القبائل شريطة أن يقتصر الموضوع على عمليات الاستكشاف في الأراضي المتفق عليها فقط كما أبدى السلطان موافقته على زيارة وادي الحواسنة[٥٢] .

من الواضح أن الشركة كانت تطلب من السلطان أو شيوخ القبائل منحها رخصة للمسح الجيولوجي فقط دون التنقيب عن النفط . ويبدو أن الحكومة البريطانية هي التي كانت توعز لشركاتها النفطية بأن تضع امتيازات (تجميدية) توحي في ظاهرها بأنها لمجرد الكشف والمسح الجيولوجي، وأن الأمل في الحصول على النفط مازال بعيداً[٥٣] وهذا ما يدعونا إلى الاعتقاد في عدم رغبة الحكومة البريطانية في استغلال نفط هذه المناطق في ذلك الوقت وإنما هدفها الوحيد هو سد الطريق على الشركات الأجنبية وبخاصة الأمريكية من الحصول على أي امتياز من السلطنة[٥٤] .

حاول ممثل شركة نفط العراق (.I.P.C) وهو ر.ي.ر.بيرد (R.E.R.Bird) أن يتفاوض مع القبائل كلاً على حدة ولكنه واجه صعوبة بسبب نظرة القبائل التي اتسمت بالشك والريبة وعدم الارتياح[٥٥] . على أية حال استطاع بيرد في صيف عام ١٩٤٨م في

محاولة منه للحصول على امتيازات أن يوقع في هذا الشأن اتفاقاً مع زعيم قبائل بني شميس مقابل ١٥ ألف سنت ملكي كل سنة، ومع شيخ قبيلة النعيم (البو خريبان) مقابل ٣ آلاف سنت ملكي، ومع بني كعب مقابل ٨ آلاف سنت ملكي . وكانت كل هذه الاتفاقيات الثلاث لترخيص الاستكشاف لثلاث سـنوات مع الحق في التمديد لسنتين .

أثار اتفاق (بيرد) مع القبائل حفيظة السلطان سعيد بن تيمور فقام بتنبيه جماعات من شركة النفط بأنه لابد لهم من مراجعته هو شخصياً وليس مراجعة القبائل مما دعا بيرد في أثناء زيارته لمسقط في حزيران (يونيو) ١٩٤٨م إلى تذكير السلطان بأن الشركة كانت قد حصلت على الموافقة من حكومته[٥٦] .

اعترفت القبائل بالسلطان وأصبح في ظل هذه الظروف لابد للشركة العمل من خلال السلطان، ولتأكيد سلطانه أرسل وزير داخليته أحمد بن إبراهيم مع مجموعة من الشيوخ إلى واحة البريمي، حيث قوبل بالترحيب في عام ١٩٤٩م[٥٧] ولاشك أن ما قوبل به أحمد بن إبراهيم من حفاوة يدل على مدى ولاء هذه القبائل للسلطان في ذلك الوقت . وكانت النتيجة إرسال رسائل الولاء للسلطان مقابل هبات مناسبة وتكوين اتحاد بين البو شميس (البوشامش أو الشوامس) والنعيم وبني كعب وعدة شيوخ آخرين في الظاهرة بقيادة صقر بن سلطان في البريمي وكان السلطان فخوراً بهذا[٥٨] .

ولما كانت شركة الزيت العربية الأمريكية لا تريد أن تحرم نفسها من نفط بعض المناطق التي لم يتعين حدود السيادة فيها فقد بعثت بفرق البحث التابعة لها إلى المناطق الواقعة على حدود الربع الخالي والقريبة من سـاحل عمان في نيسان (أبريل) عام ١٩٤٩م[٥٩] فأصدر الضابط السياسي البريطاني المستر ستوبارت (Sto Bart) في عمان الساحلية مذكرة احتجاج إلى المستر هولم (Holm) كبير جيولوجيي فرقة أرامكو يقول فيها : "إن وجود ممثلي شركة أرامكو في نقطة شمال الصفق يعد تعدياً على حقوق المنطقة. . " ولعل أكثر ما أثار السلطات البريطانية في المنطقة أن البعثة الأمريكية كانت تضم بعض الجنود السعوديين[٦٠] . وفي ٢٦ نيسان (أبريل) عام ١٩٤٩م تقدمت الحكومة السعودية إلى السفارة البريطانية في جدة بمذكرة احتجاج أكدت فيها أن المنطقة التي طردت منها البعثة الأمريكية هي جزء من الأراضي السعودية . ومنذ ذلك اليوم بدأ النزاع حول البريمي[٦١] .

أثر النفط في تطور النزاع بين السلطنة والإمامة

لم تكن سلطنة عمان في الخمسينات مكاناً يسهل التنقيب عن النفط فيه . فبغض النظر عن غياب البنى التحتية الكافية التي تساعد على البقاء في الصحراء القاحلة والتضاريس الصعبة والبيئة غير المواتية، كانت القلاقل السياسية سائدة في تلك الفترة . ففجوة سمائل التي تمثل الممر الوحيد بين الجبال إلى المنطقة الداخلية كان من الصعب عبورها في كثير من الأحيان بسبب المواجهات بين القبائل المتحاربة الأمر الذي تعذر معه وصول الإمدادات إلى مواقع العمل[٦٢] .

لقد شكل بدء أعمال التنقيب في المناطق الداخلية من عمان تحدياً لإرادة الإمام الذي بعث سنة ١٩٥٣م رسالة إلى روبرت هاي (Robert Hay) المقيم السياسي في الخليج العربي حول إمكانية تحديد نصيب لعمان من مدفوعات الشركة نظير التنقيب . وقد كان رد المقيم البريطاني الرفض على أساس أن "اتفاقية السيب لا تتضمن تلك الحقوق، وأنه ليس مستعداً للنظر في هذا الموضوع"[٦٣] .

بدأت بريطانيا منذ عام ١٩٥٣م، وعلى ضوء إحساسها بأهمية المناطق الداخلية بعد اكتشاف النفط بتنفيذ سياسة جديدة تهدف لتأكيد اندماج مسقط وعمان وعلى هذا الأساس قدمت المساعدات العسكرية لسلطان مسقط للقضاء على الإمامة[٦٤] . أما في الداخل فبالإضافة إلى تدخلها العسكري فقد عملت على تفريق القبائل وتكريس التقسيمات فيه وأثارت المشاكل بين هذه التقسيمات بشكل مستمر بما يخدم مصالحها[٦٥] . ويذكر جيمس موريس في كتابه سلطان في عمان :

"إن تركيز رجال التخطيط الحربي في وزارة الحرب البريطانية على عمان يكمن في أهمية بترول عمان، إذ يمكن نقله عبر الأنابيب إلى المحيط الهندي" وبذلك يمكن تفادي الأخطار الاستراتيجية للخليج شبه المغلق[٦٦] .

في عام ١٩٥١م تخلت شركة تنمية نفط عمان وظفار عن امتياز ظفار وتغير اسمها إلى شركة تنمية نفط عمان (Petroleum Development Oman) (P.D.O.) نظراً لأن نتائج المسح لم تكن مشجعة[٦٧] . ففي شباط (فبراير) عام ١٩٥٤م أرسلت شركة تنمية نفط عمان فرقة من مساحيها وجيولوجييها إلى المناطق الداخلية من عمان، وبما أن الحالة

المضطربة لمنطقة البريمي كانت تجعل الوصول إليها من الشمال أمراً متعذراً، فقد قررت الشركة العمل من الجنوب، لذا أنزلت بعثة في منطقة الدقم[٦٨] . وبعد قضاء الشهور التالية في مسح المناطق باتجاه الجنوب الغربي حولت اتجاهها إلى جهة الشمال بهدف القيام بمسح سلسلة جبال الدروع[٦٩] .

في هذه الظروف توفي في أيار (مايو) ١٩٥٤م الإمام محمد بن عبد الله الخليلي وقد كان هذا الإمام بالرغم من استقلاله الذاتي في الداخل متفاهماً مع السلطان سعيد بن تيمور[٧٠] وقد تم انتخاب غالب بن علي الهنائي[٧١] إماماً جديداً وهو الذي أعلن الاستقلال الكامل للإمامة في الداخل[٧٢] . وما إن وصل فريق استكشاف تابع لشركة تنمية نفط عمان بهدف البحث عن النفط في منطقة قبيلة الدروع في غربي مرتفعات عمان حتى منح شيخ قبيلة الدروع الإذن للفريق بدخول منطقتهم، إلا أن طالب بن علي شقيق الإمام تدخل من أجل استغلال النفط لصالح الإمامة وليس لصالح سعيد بن تيمور وأعلن أن الامتياز الممنوح للشركة عام ١٩٣٧م غير ساري المفعول لأنه موقع من السلطان سعيد بن تيمور بدون معرفة الإمام[٧٣] . ولغرض إجبار الدروع على منع فريق الاستكشاف من التنقيب في منطقتهم، أرسل طالب مجموعة مسلحة للاستيلاء على بساتين النخيل في عبري[٧٤] التي تعد المصدر الرئيسي لعيشهم[٧٥] وكان رد قبيلة الدروع قيادة فريق الاستكشاف وحراستهم مع قوة ميدان مسقط وعمان[٧٦] الحديثة التكوين إلى خليج مصيره . وبعد توقف قصير في منطقة الفهود تمكنت في تشرين أول (أكتوبر) ١٩٥٤ من احتلال قرية عبري وطرد قوة طالب منها[٧٧] وبعد ذلك بشهر قام السلطان بتعزيز القوات في عبري وعين والياً للمدينة وجعلها مرة أخرى تحت سلطته المباشرة[٧٨] .

إن بريطانيا نظرت باستياء إلى موقف الإمامة من مسألة التنقيب عن النفط فوجدت أن الفرصة مواتية للتخلص من الإمامة[٧٩] وفي الوقت نفسه أثارت العلاقة بين الإمام والسعوديين مخاوف بريطانيا من أن تنفيذ امتيازات التنقيب عن النفط سيصبح من الأمور الصعبة وقد يؤدي إلى ضياعه وتسليمه إلى أيدي الأمريكيين فيما لو استمرت هذه العلاقة قائمة[٨٠] . كل ذلك كان دافعاً قوياً لحكومة مسقط بالاتفاق مع الإنجليز ومع شركات النفط البريطانية لإعداد جيش قوي لاكتساح الإمامة وضم مقاطعاتها إلى السلطنة[٨١] .

ففي ١٥ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٥٥م احتل جنود السلطان سعيد بن تيمور قلعة نزوى[٨٢] وانسحب الإمام غالب إلى الجبل للإعداد للثورة وبعد أن تمت هذه

الإجراءات قام سعيد بن تيمور بأول رحلة له داخل بلاده بعد مرور ٢٣ عاماً على حكمه وقد وصل إلى نزوى في ٢٤ كانون الأول (ديسمبر) وانتهت رحلته في واحة البريمي . ويذكر فيليبس[٨٣] (Phillips) أن معظم قبائل الداخل العماني كانت مؤيدة للسلطان وكانت الفرحة تعم نزوى لوصوله وقد حصل على اعتراف من قبائل الداخل بسيادته عليهم[٨٤] وقد نظمت شركة تنمية نفط عمان مستلزمات الحملة كافة على نزوى أولاً وعبري ثانياً، وعند عودته إلى مسقط اجتمع بالشيخ شخبوط بن سلطان (١٩٢٨-١٩٦٦م) حاكم إمارة أبوظبي في واحة البريمي واتفقا على تقسيمها بإشراف بريطانيا[٨٥] .

الاستكشافات النفطية

في المنطقة الشمالية والوسطى من السلطنة

على أثر خضوع الداخل العماني لسيادة السلطان عم هدوء نسبي في المنطقة، بدأت شركات النفط بممارسة أعمالها التنقيبية ففي عام ١٩٥٦م باشرت شركة نفط العراق حفر أول بئر لها في منطقة الفهود[٨٦] ونظراً إلى تعقيدات جيولوجية عمان والمخاطر الكبيرة المرتبطة بالصناعة النفطية فقد أخفق الحفارون في اكتشاف حقل فهود المنتج للنفط مسافة لم تتعد بضع مئات من الأمتار ولم يتم اكتشاف هذا الحقل المنتج إلا بعد مضي ثمانية أعوام على هذا الإخفاق[٨٧] وتوقفت بعدها الشركة عن التنقيب بسبب تطور الصراع المسلح بين الإمامة والسلطنة[٨٨] . بعد ذلك انتقلت الشركة إلى حفر ثلاث آبار في كل من هيما وغابا وعفار ما بين عام ١٩٥٨-١٩٦٠م وكانت جميعها جافة[٨٩] وأدى هذا الفشل إلى جانب تفاقم المشاكل الداخلية ووجود فائض من النفط في الأسواق العالمية في تلك الفترة إلى انسحاب بعض شركاء شركة نفط العراق من المشروع إذ انسحبت في ٢٤ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٠م كل من شركة النفط الفرنسية (France Petroleum Company) وشركة النفط البريطانية (B.P.C.) وشركة تطوير الشرق الأدنى (Lower East Development Company)[٩٠] وهكذا لم يبق من الشركاء في شركة نفط العراق غير شركة شل العالمية (Shell) محتفظة لنفسها بنسبة ٨٥٪ وتاركة ١٥٪ الباقية لشركة بارتكس (Partex)، فقط اللتين قررتا مواصلة العمل[٩١] وتواصلت عمليات الاستكشاف

فلقد حددت المسوح تكويناً بمنطقة جبال شمال عمان على بعد ٤٥ كيلومتراً في منطقة الفهود . كما أثبت المسح الزلزالي احتمالات وجود النفط فيها وتوجت الجهود عندما أعلن المهندس إف.آر.تي. بلوك (F.R.T.Block) في الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) ١٩٦٢م عن تدفق النفط(٩٢) وبرغم أن الاكتشافات الأخيرة كانت مشجعة فإنها لم تكن بالكميات التجارية الكافية التي تبرر التكاليف الضخمة اللازمة لإنشاء خطوط الأنابيب ومرافق التصدير .

في عام ١٩٦٣م تم اكتشاف حقل ناطح . وفي بداية عام ١٩٦٤م جرت محاولة استكشاف أخرى في منطقة الفهود فحفرت بئر ثانية على بعد كيلومتر ونصف فقط من موقع البئر الأولى(٩٣) . وقد كان لنجاح هذه المحاولة التي اكتشف خلالها وجود النفط الأثر الكبير في إنشاء خطوط أنابيب إلى الساحل مع توفير المعدات الأخرى اللازمة لنقل النفط من مراكز الإنتاج إلى ميناء الفحل(٩٤) لتصديره . وفي سبيل تنفيذ ذلك كان أمام الشركة خياران لتحديد الطريق التي يجب أن تمر منه خطوط الأنابيب . فالخط الأول يمتد من المناطق الداخلية إلى الساحل الشرقي، أما الثاني فيمتد عبر الجبال إلى ساحل الباطنة ومنه إلى منطقة مسقط(٩٥) .

وفي آذار (مارس) ١٩٦٦م بدأت شركة وليام برذرز الأمريكية (William Brothers Company) العمل لمد أول خط لأنابيب النفط في السلطنة وذلك من منطقة الفهود إلى ميناء الفحل . وقد وظفت شركة وليام برذرز خلال ذروة نشاط عملياتها الإنشائية ١١٥٠ عاملاً بينهم ٧٠٠ عماني في جوانب المشروع كافة(٩٦) .

وتجدر الإشارة إلى أن شركة تنمية نفط عمان تخلت عن ثلث منطقة امتيازها طبقاً لأحكام الاتفاقية التي عقدت مع السلطان سعيد بن تيمور في السابع من آذار عام ١٩٦٧م "إذ نصت المادة الأولى منها على أنها تحل محل اتفاقية الامتياز الأصلية المبرمة في الرابع والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٣٧م، والمادة الأصلية المتفق عليها في الامتياز هي ٧٥ عاماً أي حتى ٢٤ حزيران (يونيو) ٢٠١٢م وتشمل منطقة الامتياز كل أراضي مسقط وعمان والجزر الملحقة بها والمياه الإقليمية حتى عرض ٨ أميال بحرية . ويتم التخلي طبقاً للمادة ٣/٢ على أساس ٦٠ ألف ميل مربع في الأول من كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٧٠م ثم ٤٠ ألف ميل مربع في الأول من كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٨٠م ثم

٢٠ ألف ميل مربع في الأول من كانون الثاني (يناير) لعام ١٩٩٠م، واشترطت المادة ٤/٢ أن تكون المناطق المتخلى عنها في الأول من كانون الثاني (يناير)١٩٧٠م من قطع لا يقل طول الواحدة منها عن ٥٠٠ كيلومتر وألا يزيد أقصى طول لأي قطعة عن ستة أمثال متوسط عرضها[٩٧] .

وفي السابع والعشرين من تموز (يوليو) عام ١٩٦٧م تم تحميل الناقلة موس برنس (Mos Prince) في ميناء الفحل بأول شحنة من خام النفط العماني للتصدير[٩٨] أي قبل الموعد المقرر بثلاثة أشهر مستفيدة من توقف شحن النفط من بقية مناطق الشرق الأوسط بسبب حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧م[٩٩]، وفي العام نفسه كانت شركة النفط الفرنسية قد عادت إلى الشراكة في المشروع بعد أن اشترت جزءاً من حصة شركة بارتكس، وبذلك أصبحت حصص الشركة موزعة على النحو التالي في حزيران (يونيو) ١٩٦٧م :

شركة شل العالمية ٨٥٪، وشركة النفط الفرنسية ١٠٪، وشركة بارتكس ٥٪[١٠٠] .

وقد بدأت شركة شل والمشاركون الفرعيون بالدفع للحكومة مستحقاتها من عائدات النفط ابتداءً من آب (أغسطس) ١٩٦٧م وكانت هذه المستحقات تتكون من الأتاوى المفروضة على القيمة الإجمالية للإنتاج النفطي بالإضافة إلى حصيلة ضريبة الدخل المفروضة على الأرباح الصافية[١٠١] علماً أن موارد السلطنة قبل اكتشاف النفط كانت تستحصل بشكل رئيسي من الرسوم الجمركية وإيجار الأراضي إضافة إلى الإعانات المالية والزكاة[١٠٢] . وفي نهاية عام ١٩٦٧م وصل الإنتاج إلى ١٦٢ ألف برميل في اليوم ومع مواصلة تطوير مرافق الإنتاج في الحقول الثلاثة الرئيسية ارتفع في نهاية عام ١٩٦٨م إلى حوالي ٣٠٠ ألف برميل في اليوم، حتى وصل في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٦٩م إلى ٣٦٠ ألف برميل في اليوم[١٠٣] .

واصلت شركة تنمية نفط عمان أعمال الاستكشاف في السلطنة بحثاً عن النفط في شمال البلاد ووسطها وهما منطقتان مثلتا فيما بعد المرحلة الثانية من سلسلة النجاح التي حققتها الشركة . فقد قامت الشركة بحفر آبار استكشافية في مكحول الواقعة على بعد نحو ٥٠ كيلومتراً شمال غرب حقل الفهود، وفي منطقة الغبر على بعد ١٥٠ كيلومتراً

جنوب الفهود حيث صادفت التجارب السابقة آثار نفط تبدو غير تجارية[١٠٤] . ولكن في عام ١٩٦٩ اكتشف النفط في حقل الهويسة الذي يقع في الجنوب الغربي من الفهود[١٠٥] .

الاكتشافات النفطية في المنطقة الجنوبية (ظفار) ودور وندل فيليبس

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قام فريق من شركة تنمية نفط عمان المحدودة ببعض العمليات الاستكشافية في المنطقة الجنوبية . ويبدو أن السلطان كان غير راض عن أعمال الفريق، وقد جاء في التقرير الذي رفعه روبرت هاي المقيم السياسي في الخليج العربي إلى حكومة الهند في ١٥ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٤٦م أن السلطان سأله هل شركة نفط عمان وظفار لا تنوي القيام بعمليات مسح جديدة في ظفار للتأكد من وجود معادن أخرى غير النفط[١٠٦] .

وفي كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٤٦م زار السيد ألتونيان (Altounyan) ممثل شركة الامتيازات النفطية المحدودة سلطان مسقط وكان موضوع الزيارة لمناقشة مشاريع استكشاف نفط ظفار طبقاً لمواد اتفاقية ظفار الموقعة مع السلطان في ٢٤ حزيران (يونيو) عام ١٩٣٧م . علماً أن السلطان كان متلهفاً لأن يبدأ مسح فوري لمنطقة ظفار، وأن يكون أشمل من المسح الذي جرى في عام ١٩٣٨م، ومن جانبه أكد ممثل الشركة ألتونيان للسلطان نية الشركة في أن يمتد المسح باتجاه الشمال إلى حد الصحراء، لاسيما لو تحقق لفرق المسح الحماية عندئذ ستقوم الشركة بجهود كبيرة لإرسال فرقة إلى ظفار خلال الفترة ١٩٤٧-١٩٤٨م[١٠٧] . وكان المطلوب من هذا المسح الاستطلاعي الجيولوجي هو تأمين معلومات كافية عن طبقات وتضاريس وتركيبة الإقليم بحيث يمكن تكوين رأي حاسم وشامل حول إمكانية وجود النفط فيه[١٠٨] .

يبدو أن العمليات الاستكشافية التي قامت بها الشركة في المنطقة الجنوبية من عام ١٩٤٦م وحتى عام ١٩٥٠م لم تسفر عن أي نتائج . ففي ٢٠ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٠م أعلنت الشركة عن رغبتها في إنهاء أعمالها الخاصة بالبحث والاستكشاف عن النفط في ظفار قبل ستة أشهر من انتهاء الامتياز[١٠٩] .

في ٢ كانون الثاني(يناير) ١٩٥١م تلقى السلطان سعيد بن تيمور إشعاراً بإنهاء الامتياز، وبسرعة رد السلطان موافقاً على هذه الرغبة[١١٠]، ولم يلبث أن أعلن عن دعوة شركات النفط الأمريكية للحصول على امتياز ظفار . وتشير الوثائق الأمريكية إلى مراسلات عديدة جرت مع القنصلية الأمريكية في الظهران وعدد من شركات النفط الأمريكية تطلب فيها الأخيرة معلومات حول امتياز ظفار[١١١] .

وفي عام ١٩٤٩م قابل السلطان سعيد بن تيمور وندل فيليبس في أثناء عبور جنوب شرق الجزيرة بعد تعرض بعثته الآثارية في اليمن إلى مهاجمة مجموعة من القبائل فاضطروا للفرار إلى ظفار عندئذ طلب سعيد بن تيمور من فيليبس ومجموعته أن يستمروا بالبحث في ظفار وقدم لهم المال لدفع تكاليف معدات جديدة وهيأ له عمالاً محليين في مواقع الحفر[١١٢] .

وفي عام ١٩٥٢م كان السلطان يحدث وندل فيليبس عن تجربته مع شركة تنمية نفط عمان وظفار ومسيرتها في عمان، واعتقادها عدم وجود النفط في ظفار[١١٣] وفوجئ وندل فيليبس - حسب ادعائه - عندما قال له السلطان "بمشيئة الله سنحصل على النفط وأمنحك حق امتياز ظفار" . وتساءل وندل هل من الممكن أن تكون حقوق عائدات النفط لمقاطعة بنفس حجم ولاية إنديانا، قد ضمنت بهذه السهولة[١١٤] .

وقد شكر فيليبس السلطان على هذه المنحة، بالرغم من ادعائه أنه لا يعرف أي شيء عن الامتيازات بشكل عام، وعن امتيازات النفط العربي بالتحديد . وأجابني السلطان بأنه متأكد من أنه سوف يتعلم بسرعة إذا ما حاول ذلك بجد"[١١٥] . وفي اليوم ذاته وضع الرجلان مسودة الاتفاق معاً وقام السلطان شخصياً بطباعته ووعد فيليبس بإرسال الامتياز في أقرب وقت، فسافر فيليبس إلى نيويورك وهو مقتنع بأن هناك ثروة بين يديه وكل ما يحتاجه هو الاتصال مع شركة نفط من أجل ترتيب الإجراءات المادية للاستخراج[١١٦] .

وفي الوقت نفسه تسلم فيليبس رسالة ودية من السلطان مؤرخة في ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٥٢م وذكر فيها : "عزيزي وندل، أنا أرسل لك مع هذه الرسالة منحتين إحداهما تخص النفط والأخرى تخص المعادن"[١١٧] . وقد كان الوضع الذي ينتظر فيليبس صعباً . "لأن هذه المنطقة من الجزيرة العربية كانت بعيدة عن تفكير الأمريكان الذين كان ينصب اهتمامهم على المملكة العربية السعودية . كما أن الكلفة الأولية للاستكشاف قد

تصل وحدها إلى ملايين الدولارات، حيث تفتقر منطقة الامتياز إلى وجود موانئ لرسو السفن أو أية تسهيلات أخرى . . . ولم تكن هناك طرق، الطريق الوحيد كان عبر جبال قرة"[١١٨] .

وبالرغم من الصعوبات التي كان يواجهها فيليبس، فإنه كان يرى أن كل شيء على ما يرام بسبب اعتقاده [أن لديه في عمان صديق ذكي ومتعاون وحاكم متعاطف مع الغرب][١١٩] ولذلك سار في عملية ترتيب الإنتاج فاتصل ببعض المهتمين باستثمار النفط من أصحابه وأقنعهم بالحصول على امتياز نفط ظفار . وبعد اجتماع سريع مع صديقه سام براير (Sam Pryor) نائب رئيس شركة بان أميريكان الجوية، وألتون جونس (Alton Jones) رئيس شركة خـدمات المدن (Cities Service) من أجـل إقامة شركة مساهمة[١٢٠] . وفي ١٧ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٣ تم توقيع معاهدة الامتياز بين السلطان سعيد بن تيمور وشـركة فيبـرايوكوريش الأمريكيـة (Phibrayokorish American)[١٢١] . ويعد هذا العقد من أقصر العقود في تاريخ النفط، وقد شمل هذا العقد منطقة مساحتها ٤٨٢٥٠ كيلومتراً مربعاً هي منطقة ظفار كلها ونص على أن تسترد جميع نفقات البحث والتطوير . غير أن المادة ٢٤ من هذا العقد قضت بأن "يعاد النظر في الامتياز حالما يكتشف النفط بكميات تجارية[١٢٢] . وكانت مدة الامتياز ٢٥ سنة مع خيار للتجديد لـ ٢٥ سنة إضافية"[١٢٣] .

باعت شركة فيلبرايوكوريش الأمريكية الامتياز الذي حصلت عليه من السلطان إلى شركة نفط خدمات مدن ظفار (Dhofar Cities Service) وهي فرع من شركة خدمات المدن الأمريكية (Cities Service of America) غير أن هذه الشركة حولت عمليات التنقيب إلى شركة نفط ريتشفيلد (Richfield Oil) كشريك مساوٍ لها[١٢٤] .

وعلى ذلك فقد حصل فيليبس على نسبة ٢,٥ ٪ من حصة جميع النفط المنتج في ظفار والمباع كحصة له لأنه كان على شركة نفط خدمات المدن وريتشفيلد أن تنفق العديد من الملايين من أجل البحث عن النفط[١٢٥] .

من الواضح أن شركات النفط الكبرى كانت تحول عمليات التنقيب إلى شركات النفط الفرعية . وفي ٢٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٥٤م تسلم فيليبس رسالة من السلطان جاء فيها : "عزيزي وندل، أنا مرفقاً لك في هذا المغلف حق منح توزيع حصص امتياز النفط لشركة نفط خدمات مدن ظفار"[١٢٦] . وبعد شهر سافر فيليبس ونائب رئيس الشركة

إلى مسقط لتهيئة مقر رئيسي لإدارة الشركة(١٢٧) وعندما تأكد للسلطان بأن الشركة كانت جادة في البحث أمر مهندسيه العرب والعمال من القبائل لشق طريق عبر جبال قرة التي ترتفع أربعة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر كما قامت الشركة بعمليات الاستكشاف جواً، وحددت عدداً من المواقع لإجراء عمليات الحفر(١٢٨) .

وفي عام ١٩٥٥م حفرت الشركة أول بئر استكشافية في منطقة الدكل(١٢٩) إلى عمق ١٢ ألف قدم ولكن تبين أن البئر جافة(١٣٠) وبعد ذلك بعامين من الحفر والتنقيب عثرت شركة ستي سيرفس على النفط وبشكل مفاجئ عام ١٩٥٧م بحقل مرمول في ظفار غير أنه لم يكن ذا صفة تجارية ونوعيته كانت ثقيلة وغير مطلوبة في الأسواق العالمية آنذاك(١٣١) .

واستمرت شركة خدمات المدن وريتشفيلد في حفر آبار استكشافية أخرى في المنطقة نفسها وحتى عام ١٩٦١م كانت الشركتان قد حفرتا ٢٣ بئراً ست منها يصل عمقها إلى ١٠ آلاف قدم . وقد أنفقت الشركتان ما يقارب ٣٠ — ٤٠ مليون دولار في محاولاتهما لاستخراج النفط للإنتاج التجاري(١٣٢) . مما دفع الشركة إلى التنازل عن هذا الامتياز عام ١٩٦٢م لمجموعة من الشركات المستقلة التي كانت تتكون من كونسورتيوم مؤلف من شركة جون دبليو ميكوم(١٣٣) (Mecom) وشركة النفط الصافي (Pure Oil Company) ومن ثم دمج الكونسورتيوم عام ١٩٦٥م بشركة النفط العالمية (World Oil Company)(١٣٤)، وقامت الشركة بحفر خمس آبار في ظفار يتراوح عمقها بين ٣٠٠ قدم إلى ١١,٦٠٠ قدم وظهر النفط في ثلاث منها(١٣٥)، وفي عام ١٩٦٥م دخلت شركة النفط العالمية كشريك ثالث في الامتياز . وكانت هذه الشركات النفطية قد استبعدت من مناطق الشرق الأدنى بسبب هيمنة الشركات الكبرى، ولم يكن أمامها إلا أن تراهن على وجود النفط في ظفار بشكل تجاري(١٣٦) غير أن الحظ لم يحالفها بسبب بدء النشاط المسلح الذي قامت به جبهة تحرير ظفار(١٣٧) اليسارية، في الوقت الذي بدأت فيه الشركة نشاطاتها، مما أدى إلى عدم سير أعمالها بشكل مشجع خاصة بعد قيام الثوار بتفجير إحدى شاحنات الفريق النفطي التابع لها منذ الأيام الأولى الذي تفجر فيها نشاط ثوار ظفار مما أدى إلى تخلي الشركة عن هذا الامتياز(١٣٨) .

وأعيدت منطقة ظفار إلى شركة تنمية نفط عمان بعد أن عقدت الشركة اتفاقية مع السلطان سعيد بن تيمور في ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٩م وتضمنت إدخال بعض

التعديلات على الاتفاقية التي عقدتها الشركة عام ١٩٦٧م . وأهم التعديلات جعل الاتفاقية تشمل منطقة ظفار . وقد نصت المادة ٦/٣ على أنه إذا اكتشف الزيت بكميات تجارية في منطقة ظفار خلال ٦ أعوام فإن الشركة تتخلى في أول كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠م عن ١٥ ألف ميل مربع . ونصت المادة ٧/٣ على أنه إذا لم يتم الاكتشاف التجاري خلال ستة أعوام من تاريخ النفاذ فإن الشركة تتخلى عن كامل المنطقة . ونصت المادة ٩/أ على أن تدفع الشركة خلال ١٤ يوماً من تاريخ النفاذ مبلغ ١٥٠ ألف جنيه إسترليني، كما تدفع إيجاراً خلال ١٤ يوماً من تاريخ النفاذ وكل عام بعد ذلك بالنسبة لمنطقة ظفار قدره ١٠٠ ألف جنيه إسترليني حتى تاريخ الاكتشاف التجاري(١٣٩) وقدره ٥٠٠ ألف جنيه إسترليني في العام على أساس معدل يومي خلال الفترة من تاريخ الاكتشاف التجاري حتى بدء التصدير، ثم يتوقف الإيجار بعد ذلك . ونصت المادة ٩/ب أن تدفع الشركة عند بلوغ معدل التصدير لمدة ٣٠ يوماً متتابعة ١٠٠ ألف برميل يومياً مبلغ مليون جنيه إسترليني وعند بلوغه معدل ٢٠٠ ألف برميل في اليوم مبلغ مليون جنيه إسترليني، وعند بلوغ معدل ٣٠٠ ألف برميل في اليوم مبلغ مليون جنيه استرليني كذلك(١٤٠) .

الامتيازات في المنطقة المغمورة

في ١٢ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٥م أعطى السلطان وندل فيليبس امتيازاً يمتد على طول ٣٠٠ميل على طول السواحل العمانية من خطمة ملاحة التي تتاخم مشيخة الفجيرة، حيث يلتقي خليج عمان بالبحر العربي إلى رأس الحد، بينما يمتد عرضاً تحت عمق ١٠٠٠ قدم تحت الماء(١٤١) . وفي الثاني عشر من كانون الأول عام ١٩٦٥م قام فيليبس بمنح الامتياز إلى واحدة من شركات النفط الألمانية الغربية هي شركة ونترشال اكتين جسل شافت في كاسل (Wintershail Aktien Gesell Schaft of Kassel) لقـــاء ٥٪ من الامتياز(١٤٢) .

وفي العام نفسه حصل على امتياز آخر يغطي ٤٥٠ ميلاً من رأس الحد إلى رأس منجي المقابل للمحيط الهندي(١٤٣)، وفي عام ١٩٦٧م وسعت هذه الرقعة لتشمل المياه الإقليمية التي تخلت عنها شركة تنمية نفط عمان(١٤٤) . وقد أجرت ونترشال في العام

نفسه مسحاً زلزالياً لجميع المنطقة المغمورة ولكنها بسبب تناقص دعم الحكومة الألمانية للمخاطر الخارجية اضطرت للبحث عن شركاء فباعت ٢٠ ٪ من ملكيتها إلى شركة يونيون كاربيد (Unyoun Kirbeaide)[١٤٥] . كما باعت ٢٠٪ إلى شركة شل وتولت شركة النفط الفرنسية ملكية ما كان يخص شركة دوتش أبردويل Aabrudil Dotch (Company وهكذا أصبحت ملكية الأسهم على النحو التالي : ونتر شال ٢٥٪، ويونيون كاربيد ٢٠٪، وشل ٢٠٪ وشركة النفط الفرنسية ١٢,٥٪ والشريكان الألمانيان الأصليـــان جلنسبرج (Guilnispurg) ودوتش شـــختباو (Dotsh, Shiktibaw) ١٢,٥٪ و١٠٪ على التوالي[١٤٦] .

وبدأت أول عملية حفر تنقيبية عام ١٩٦٨م على منصة عائمة في المنطقة المغمورة على بعد ٣٠٠قدم من شاطئ الباطنة[١٤٧] .

سبلة طلال ياسين

الهوامش

١ – سي. يو. أتجيسون بي.سي.إس.، مجموعة المعاهدات والتعهدات والسندات ذات العلاقة بالهند البريطانية والخليج والجزيرة العربية، ترجمة عبد الوهاب عبد الستار القصاب، بغداد، ٢٠٠١، ص٣٤٠ .

٢ – خليل إبراهيم صالح المشهداني، التطورات السياسية في عمان وعلاقاتها الخارجية ١٩١٣-١٩٣٢، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد ١٩٨٦، ص١٣٢ .

٣ – طالب محمد وهيم، التنافس البريطاني – الأمريكي على نفط الخليج العربي وموقف العرب في الخليج منه ١٩٢٨-١٩٣٩م، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٢م، ص٣٣٣ .

٤ – فقد حصلت بريطانيا على تعهد من شيخ البحرين عام ١٩١٤م وحاكم قطر عام ١٩١٦م . للمزيد من التفصيل راجع خالد بن محمد القاسمي، الخليج العربي في السياسات الدولية قضايا ومشكلات، الطبعة الأولى، الكويت ١٩٨٦م، ص٤٣ .

٥ – سي.يو. أتجيسون، بي.سي.إس.، المصدر السابق، ص٣١٧-٣١٨ .

٦ – فاضل محمد الحسيني، التنافس البريطاني الأمريكي حول امتياز النفط في عمان ١٩٢٢-١٩٣٧، مجلة الوثيقة البحرينية، العدد السابع والثلاثون، السنة التاسعة عشرة، كانون الثاني (يناير) ٢٠٠٠، ص١٥٨ .

٧ – المصدر نفسه، ص١٦٠ .

٨ – جمال زكريا قاسم، الخليج العربي – دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٩١٤-١٩٤٥، دار الفكر العربي، ط ١، القاهرة ١٩٧٣م، ص٥٠٧ .

٩ – وليم نوكس دارسي : رجل أعمال استرالي منحه شاه فارس مظفر الدين أول امتياز نفط في الشرق الأوسط ووقع الاتفاق في ٢٠ أيار (مايو) ١٩٠١م وتضمن الامتياز بلاد فارس كافة عدا المقاطعات الشمالية القريبة من روسيا . وفي عام ١٩٠٨م في مسجد سليمان تم اكتشاف النفط وبعد ثلاثة أشهر أعيد تنظيم مصالح دارسي ضمن شركة أطلق عليها شركة النفط الأنجلو فارسية Anglo-Persian Oil Company . عبد الحميد الأحدب، المصدر السابق، ص٣٦ .

١٠ — شركة الزيت العربية الأمريكية، إدارة العلاقات — شعبة البحث، عمان والساحل الجنوبي للخليج العربي، القاهرة ١٩٥٢م، ص١٠٢ .

١١ — عبد الله وليمسون : هو إنجليزي اعتنق الدين الإسلامي في عدن وتزوج من إحدى نساء قبيلة بدوية عراقية . ظل يتنقل في أرجاء الجزيرة العربية وأدى فريضة الحج مرتين . للمزيد من التفاصيل عن الرحلة راجع مجلة أخبار شركتنا، مجلة فصلية تصدر عن دائرة العلاقات العامة والإعلام لموظفي شركة تنمية نفط عمان، العددان الثالث والرابع لعام ١٩٩٠م، ص٧-٨ .

١٢ — حول نص الاتفاقية أنظر : خليل إبراهيم صالح المشهداني، المصدر السابق، ملحق رقم ٦، ص١٦٤-١٦٦ .

١٣ — المصدر نفسه، ص١٣٤ .

١٤ — جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص٥٠٨ .

١٥ — روبرت جيران لاندن، المصدر السابق، ص٣٦١ .

١٦ — 16 - R.W. Bailey, Records of Oman 1867-1947-Vol. VII, Economic Affairs. Archive editions England, 1988, P.228.

١٧ — طيبة خلف عبد الله، العلاقات العمانية الأمريكية ١٩٣٠-١٩٥٨، أطروحة دكتوراة غير منشورة، البصرة ١٩٩٦م، ص٤٧ .

١٨ — 18 - R.W. Bailey, Historical Affairs, 1913-1947, Vol. II, P. 446.

١٩ — 19 - Bailey, Economic Affairs, Confidential British Residency, Consulate General, Vol. VII, Bushire, date 20th July1934, P.230-232.

٢٠ — 20 - The "Persian" Gulf Historical Summaries 1907-1953, Historical Summary of Events in the "Persian" Gulf Sheikhdoms and the Sultanate of Muscat and Oman 1928-1953, Archive editions, England, 1987, P.190.

٢١ — طالب محمد وهيم، المصدر السابق، ص٣٣٤ .

٢٢ — فاضل محمد الحسيني، التنافس البريطاني الأمريكي، المصدر السابق، ص١٦٠ .

٢٣ — شركة امتيازات النفط المحدودة : وهي شركة متفرعة من شركة نفط العراق .

٢٤ — 24 - The "Persian" Gulf Administration reports 1873-1947, Vol. IX, 1931-1940. Administration report of the "Persian" Gulf for the year 1936. Archived editions. England, 1986, review Arab side retro retrospect, 1926-1936, P.3.

٢٥ — طالب محمد وهيم، المصدر السابق، ص٣٣٥ .

٢٦ - 26 - The "Persian" Gulf Administration reports, 1931-1940, Vol. IX, Administration report of the Kerman and Bader Abbass Conculates for year 1937, Chapter IV, P.31.

٢٧ – جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص٥٠٩ .

٢٨ – طالب محمد وهيم، المصدر السابق، ص٢٣٥-٢٣٦ .

٢٩ – طالب محمد وهيم، المصدر نفسه، ص٢٣٦ ؛ وفاضل محمد عبد الحسين، العلاقات البريطانية العمانية ١٩١٣-١٩٣٩، أطروحة دكتوراه غير منشورة، الرباط، ١٩٩٥، ص١٥١ .

٣٠ – للاطلاع على النص الكامل لرسالة السلطان سعيد بن تيمور إلى الميجر أ.ر.بي. واش القنصل البريطاني في مسقط مؤرخة في ١١ حزيران (يونيو) عام ١٩٣٧م ينظر : Bailey, Economic Affairs, Vol. VII, P.237.

٣١ – شركة نفط العراق : .I.P.C تأسست في عام ١٩٣٥م وأصبحت تمثل المصالح البريطانية والأمريكية والفرنسية والهولندية، وكونت هذه الشركة شركة فرعية لاستغلال نفط الساحل العماني وسميت شركة الامتيازات النفطية المحدودة، محمد الرميحي، البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، الكويت ١٩٧٥، ص٢٦ .

٣٢ - 32 - The "Persian" Gulf Historical Summaries 1907-1953, Vol. II, Historical Summary of Events in the "Persian" Gulf Sheikhdoms and the Sultanate of Muscat and Oman 1928-1953, P. 191.

٣٣ – للمزيد من التفاصيل حول النص الكامل للاتفاق ينظر : إبراهيم محمد إبراهيم شهداد، تطور العلاقة بين شركات النفط ودول الخليج العربية منذ عقود الامتياز الأولى وحتى عام ١٩٧٣م، ط ١، قطر ١٩٨٥، ص١٦٠-١٦١ .

٣٤ – فرد هوليداي، الصراع السياسي في شبه الجزيرة العربية، ترجمة سعيد محيو وحازم صاغية، ط ٣، ١٩٨١م، ص٤٣٢ .

٣٥ – جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص٤٣٢ .

٣٦ – قاد الإمام سالم الخروصي والشيخ عيسى بن صالح في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩١٥م قوة تألفت من ٣٠٠ مقاتل وقابلهم السلطان سعيد بن تيمور على رأس قوة ضمت ٧٠٠ جندي . وكان لانعدام التكتيك من جانب قوات الإمام سبباً في هزيمتهم وعودتهم إلى المرتفعات الداخلية دون التفكير في إعادة الكرة مرة ثانية، روبرت جيران لاندن، المصدر السابق، ص٣٥٢ .

٣٧ - 37 - The "Persian" Gulf Administration reports 1873-1947, Vol. IX, 1931-1940, Administration Report of the Political Agency Muscat for 1938, Chapter VII, Archive Editions, England, 1989,P.39.

٣٨ – الظاهرة : تقع إلى شمال غرب عمان وهي مهمة لسببين : أولهما أن حقول النفط المهمة وحقل الفهود ويبال تقع فيها، وثانيهما أنها معبر بين عمان وبقية أنحاء شبه الجزيرة العربية . وبالتالي فإنها عرضة للتأثيرات الخارجية والهجمات من المنطقة الساحلية وتقع خارج سلطة الإمامة، لازم لفتة ذياب، المعارضة السياسية في سلطنة عمان ١٩٥٥-١٩٧٥، رسالة ماجستير غير منشورة، البصرة، ١٩٨٤، ص١٧ .

٣٩ – 39 - John C. Wilkinson, The Imamate Tradition of Oman, Cambridge University, first published 1947,P. 277.

٤٠ - 40 - The "Persian" Gulf Administration report 1873-1947 Vol. IX, 1931-1940 Administration report of the Political Agency Muscat for 1938, Chapter VII, Archive editions, 1989, P.39.

٤١ – تقع البريمي جنوب الخليج العربي بين شبه جزيرة قطر غرباً وشبه جزيرة رؤوس الجبال شرقاً وتتكون واحة البريمي من تسع قرى وهي قرية الهيلي، قرية القطارة، قرية الجيمي، قرية المعترض، قرية العين، قرية صعرا، قرية حماسة، قرية البريمي، قرية الجاهلي . للمزيد من التفاصيل حول موقع وأهمية البريمي ينظر أمير علي حسين، الخلاف الحدودي حول واحة البريمي بين السعودية وعمان وأبوظبي، رسالة ماجستير غير منشورة، البصرة، ٢٠٠١، ص٧ وما بعدها .

٤٢ – 42 - John C. Wilkinson, Op. Cit., P. 277-278.

٤٣ - 43 - The "Persian" Gulf Administration report 1873-1947 Vol. IX, 1931-1940, Administration Report of the Political Agency Muscat for 1938, Chapter VII, P.39.

٤٤ – مجلة أخبار شركتنا، العددين ٣-٤ لعام ١٩٩٠م، ص٩ .

٤٥ – روبرت جيران لاندن، المصدر السابق، ص٣٦٨ .

٤٦ – 46 - Arabian Gulf Oil Concessions 1911-1953, Documents from the India Office, London Receding The Negotiations and Agreements for the first land-based oil concession in Kuwait, Bahrain, Qatar, The Trucial States and Muscat and

Oman. Archive editions, 1989, Letter from Saiyid bin Taimur Sultan of Muscat and Oman to Britannic Majesty's Consulate Muscat, Dated 7th April, 1946, P. 558.

47 - Arabian Gulf Oil Concessions 1911-1953, letter from R.I.Hallows, Esquire Political Agent Muscat to the Honb'le the Political Resident Persian Gulf Bushire, Dated 13th April, 1946, P. 560. — ٤٧

48 - A.G.C. Note of Meeting held at the India Office on 30th April 1946,to Exploration of Muscat / Trucial Coast hinterland by Petroleum Concessions Limited. P. 562. — ٤٨

49 - A.G.O.C. Telegram S6, from Secretary of State for Indian Office, London to Political Resident, "Persian" Gulf, Bushire dated at the 5th May, 1946, P. 560. — ٤٩

٥٠ — محمد مرسي عبد الله، دولة الإمارات المتحدة وجيرانها، ط ١، الكويت، ١٩٨١م، ص٢٨٤–٤١٨ .

51 - A.G.O.C. Note of Meeting held at the Indian Office on 15th October, 1946, to Exploitation of oil resources Muscat and Oman, P. 575. — ٥١

52 - Ibid., P. 575. — ٥٢

٥٣ — ناصر العثمان، السواعد السمر – قصة النفط في قطر، قطر ١٩٨٢م، ص٥٤ .

٥٤ — إبراهيم محمد إبراهيم شهداد، تطور العلاقة بين شركات النفط ودول الخليج . . . ، المصدر السابق، ص١٣٣ .

55 - John C. Wilkinson, Op. Cit., P. 283. — ٥٥

56 - Ibid, P. 284. — ٥٦

٥٧ — محمد مرسي عبد الله، المصدر السابق، ص٢٨٤ .

58 - John C. Wilkinson, Op. Cit., P. 285. — ٥٨

٥٩ — روبرت جيراى لاندن، المصدر السابق، ص٣٦٨ .

٦٠ — عرض حكومة الملكة العربية السعودية، المجلد الأول (الأساس) التحكيم لتسوية النزاع الإقليمي بين مسقط وأبوظبي والملكة العربية السعودية في ٣١ تموز (يوليو) ١٩٥٥، ص٣٩٧ .

٦١ — للمزيد من التفصيل حول نزاع البريمي ينظر : أمير علي حسين، المصدر السابق، ص٥٧ .

٦٢ – مجلة أخبار شركتنا، العددان ٣ و٤ لعام ١٩٩٠م، ص٩ .

٦٣ – صلاح العقاد، معالم التغير في دول الخليج العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢م، ص٩٦-٩٧ .

٦٤ – علية السيسي، مسقط وعمان والتطورات السياسية الأخيرة، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣، المجلد السابع، كانون الثاني (يناير) ١٩٧١، ص١١٦ .

٦٥ – لمزيد من التفصيل لتدخل البريطانيين في عمان ينظر : علي الفياض، حرب الشعب في عمان، ط ١، بيروت، ١٩٧٥م، ص٣٥ وما بعدها .

٦٦ – جيمس موريس، سلطان في عمان، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت.، ص١٢ .

٦٧ – دائرة العلاقات العامة والإعلام، شركة تنمية نفط عمان، قصة شركة تنمية نفط عمان، ص٦ .

٦٨ – الدقم : وتقع على الساحل الجنوبي وقد أقيمت قاعدة التموين فيها .

٦٩ – جي بي كلي، شبه الجزيرة العربية والخليج والغرب، ترجمة مركز البحوث والمعلومات، الجزء الأول، بغداد، ١٩٨٤م، ص٢٢٢ .

٧٠ – محمد مرسي عبد الله، المصدر السابق، ص٢٩٣ .

٧١ – غالب بن علي الهنائي : تسلم الإمامة في ٤ تموز (يوليو) ١٩٥٤م بعد الإمام الخليلي وكان يرى أن الوقت قد حان للخروج من سياسة العزلة التقليدية التي سار عليها الأئمة من قبله ودعا الإمام إلى استقلال عمان عن مسقط، وأعلن عدم مشروعية التنقيب عن النفط في المناطق التابعة للإمامة . للمزيد من التفصيل ينظر : باسمة عبد العزيز العثمان، الموقف العراقي من التطورات السياسية في عمان ١٩٦٤-١٩٦٨، رسالة ماجستير غير منشورة، البصرة، ٢٠٠١م، ص٣٩ .

٧٢ – رياض نجيب الريس، صراع الواحات والنفط – هموم الخليج العربي بين ١٩٦٨ و ١٩٧١م، بيروت ط ١، ١٩٧٣، ص٢٨٧ .

٧٣ – 73 - Clement, F. A., Oman The Reborn land, Longmans Group ltd. 1980, P. 52.

٧٤ – عبري : وهي بلدة هامة تقع إلى الجنوب الشرقي من البريمي وكانت خاضعة للإمامة منذ عام ١٩٢٥م حيث كان يعين والياً عليها من قبل الإمام ولم يكن للسلطان أي نفوذ فعلي عليها . وثائق الحكومة السعودية، جـ ١، المصدر السابق. ص٣٥٦ .

٧٥ – جي. بي. كلي، المصدر السابق، ص٢٢٣ .

٧٦ – قوة ميدان مسقط وعمان : هو الجيش الذي أقامته شركة النفط من أجل حماية مصالح الشركة في مواصلة عمليات التنقيب في منطقة الظاهرة وهذه المنطقة محاطة بجبال وهي تحت سيطرة الإمام . جيمس موريس، المصدر السابق، ص١١-١٢ .

٧٧ – 77 - Peterson, J. E., Oman in the 20th Century, London, 1978, P. 182.

٧٨ – 78 - Clements, F. A., Op. Cit., P. 53.

٧٩ – جيمس موريس، المصدر السابق، ص١٣ .

٨٠ – المصدر نفسه، ص١٢ .

٨١ – جمال زكريا قاسم، الخليج العربي – دراسة لتاريخه المعاصر ١٩٤٥-١٩٧١م، القاهرة، ١٩٧٤، ص٢٧٠ .

٨٢ – نزوى : عاصمة عمان الداخل، تقع تحت سطح الجبل الأخضر وتحيط بها سلسلة جبال من جميع الجهات، عادل رضا، عمان والخليج – قضايا ومناقشات، مصر ١٩٦٩م ص٢٠٢ .

٨٣ – وندل فيليبس : وهو أحد المغامرين الأمريكان الذين شكلوا مع أشباههم من الأوروبيين ظاهرة ارتبطت باكتشاف النفط ومحاولاتهم للحصول على امتيازات من شيوخ المنطقة لكي يبيعوها بأعلى الأثمان على الشركات الكبرى العاملة في مجال النفط بأوروبا وأمريكا، وكان يبدي اهتماماً بالآثار واتخذ ذلك غطاءً لاهتماماته النفطية . ولفيليبس كتابان هما : تاريخ عمان وعمان المجهولة الذي يروي فيه قصة لقائه بالسلطان سعيد بن تيمور، مركز البحوث والمعلومات، أمريكا في عمان ١٨٣٣-١٩٨٠، دور عمان في استراتيجيتي نيكسون وكارتر، بغداد، بدون تاريخ، ص٨٤-٨٥ .

٨٤ – وندل فيليبس، تاريخ عمان، ترجمة محمد أمين عبد الله، ط ٢، ١٩٨٣، ص١٨٨-١٨٩ .

٨٥ – جيمس موريس، المصدر السابق، ص٢٠ .

٨٦ – الفهود : تقع هذه المنطقة في الجهة الشمالية الغربية من السلطنة، وحفر فيها أول بئر فهود ١ إلى عمق ثلاثة آلاف متر إلا أنه لم يكن منتجاً، وفي عام ١٩٦٤م تم اكتشاف حقل الفهود (وهو أول حقل يتم ربطه بخط الإنتاج عام ١٩٦٧م) . مجلة أخبار شركتنا، العددان الثالث والرابع لسنة ١٩٩٠م، ص١٢ .

٨٧ – دائرة العلاقات العامة والإعلام، شركة تنمية نفط عمان، المصدر السابق، ص٦ .

٨٨ – للتفاصيل عن تجدد الصراع بين الإمامة والسلطنة أنظر : لازم لفته ذياب، المصدر السابق، ص٤٦-٥٦ .

٨٩ – مجلة أخبار شركتنا، العدد الرابع، ١٩٩٥م، ص٢٩ .

٩٠ – إبراهيم محمد إبراهيم شهداد، تطور العلاقة بين شركات النفط . . . ، المصدر السابق، ص١٦٥ .

٩١ – 91 - Benjamin Shwadran, The Middle East Oil and Great Powers, (Israel) Universities Press, 1973, P. 437. ; John Towsend, Op. Cit., P. 20.

٩٢ – مجلة أخبار شركتنا، العددان ٣-٤ لعام ١٩٩٠، ص١٤ .

٩٣ – 93 - Mohamed Bin Musa Al-Yousef, Oil and the Transformation of Oman (1970-1995), London, 1995. P. 27.

٩٤ – ميناء الفحل : كان ميناء الفحل يعرف قبل عام ١٩٦٧م بسيح المالح دلالة على السبخات التي كانت تنتشر في المنطقة لكن مع تصدير أول شحنة من النفط الخام العماني في تموز (يوليو) ١٩٦٧م رأى السلطان سعيد بن تيمور أملاً في مستقبل عمان فاقترح اسم سيح الحلو في كانون الثاني (يناير) عام ١٩٦٨م غير أن ميناء الفحل أصبح هو الاسم الرسمي فيما بعد وسجل فيه كميناء خاص في الجهات الرسمية . للمزيد من التفاصيل حول الميناء ينظر : مجلة أخبار شركتنا، العدد الثالث لعام ١٩٩٨م، ص١٩-٢٠ .

٩٥ – مجلة أخبار شركتنا، العددان الثالث والرابع لعام ١٩٩٠م، ص١٤ .

٩٦ – المصدر نفسه، ص١٥-١٦ .

٩٧ – سعد علام، موسوعة التشريعات البترولية للدول العربية – منطقة الخليج، ط ١، الدوحة، ١٩٧٨م، ص ٦١٥-٦١٦ .

٩٨ – بلغت حمولة الناقلة حوالي ٥٤٣,٨٠٠ برميل من النفط العماني الخام بسعر ١,٤٢ دولار أمريكي للبرميل الواحد، مجلة أخبار شركتنا، العدد الرابع لسنة ١٩٩٥م، ص٣٢ .

٩٩ – ففي الرابع من حزيران (يونيو) اجتمع وزراء بعض الدول المنتجة للنفط في بغداد وحضر الاجتماع ممثلون من كل من مصر والعراق والجزائر وليبيا والكويت والسعودية ولبنان وسوريا وقطر والبحرين وأبوظبي، واتخذ في اليوم التالي قرار عام بالإجماع بإيقاف ضخ النفط العربي ومنع بيعه لأي دولة ترتبط بالاعتداء على أي دولة عربية، أو تتخذ موقفاً إيجابياً من ذلك الاعتداء، للمزيد من التفاصيل ينظر : أحمد يوسف أحمد، تأثير الثروة النفطية على العلاقات السياسية العربية، ط ١، ١٩٨٥م، ص٨٤ .

١٠٠ – وزارة النفط والمعادن، أهم المنجزات للعشر سنوات الماضية ١٩٧٠-١٩٨٠، المطابع العالية، روي، سلطنة عمان، ص١٩ .

١٠١ – وزارة التجارة والصناعة، الاقتصاد العماني في عشر سنوات ١٩٧٠-١٩٨٠، المطابع العالية ١٩٨٠، ص ١٣٤-١٣٥ .

١٠٢ – ناطق السكوني، نظرة مركزة في أوضاع سلطنة عمان الاقتصادية، بغداد، ١٩٧١م، ص١٧٠ .

١٠٣ – مجلة أخبار شركتنا، العددان ٣–٤، ١٩٩٠، ص١٦ .

١٠٤ – مجلة عالم النفط، المجلد الأول، العدد السادس عشر في ٧ كانون الأول (ديسمبر) عام ١٩٦٨م، ص٦ .

١٠٥ – وزارة التجارة والصناعة، المصدر السابق، ص١٣٧ .

106 - A.G.O.C. Note of Meeting held at the Indian Office on 15th October, 1946, to Exploitation of oil resources Muscat and Oman, P. 575-576. – ١٠٦

107 - A.G.O.C. Memorandum about the visit of Mr. Altounian to the Sultan of Muscat, Oman and Dhofar, P. 579. – ١٠٧

108 - A.G.O.C.Instructions to field Party for Geological Reconnaissance of Southeastern Hadhramaut, the Mahra and Dhofar, P. 618. – ١٠٨

109 - The "Persian" Gulf Historical Summaries 1907-1953, Vol. II, Historical Summary of Events in the "Persian" Gulf Shaikhdoms and the Sultanate of Muscat and Oman 1928-1953, P. 192. – ١٠٩

١١٠ – أمريكا في عمان، المصدر السابق، ص٨٥ .

111 - Confidential U.S. State Department, Centra files. Saudi Arabia 1950-1945, Internal Affairs Decimal Number, 186A.886A and 986A and foreign affairs Decimal Number 68A and 611. 86A Rell 8 of 10, P. 38-40. – ١١١

112 - Leonard Mosley, Power play, the Tumultuous world of Middle East Oil 1890-1973, Great Britain, 1973, P. 199. – ١١٢

113 - Wen Dell Phillips, Unknown Oman, Great Britain. 1960. P. 240. – ١١٣

114 - Richard O'Connor, The Oil Barons Men of Greed and Grabdeur, United States of America, 1971, P. 351. – ١١٤

115 - Ibid., P.351. – ١١٥

116 - Wendell Phillips, Op. Cit., P.241. – ١١٦

117 - Ibid., P. 242. – ١١٧

118 - Ibid., P. 243. – ١١٨

119 - Ibid., P. 243. – ١١٩

١٢٠ — 120 - Ibid., P. 243.

١٢١ — 121 - Confidential U.S. State Department Saudi Arabia, Internal foreign affairs 1950-1954m rell 7 of 10, P. 981.

١٢٢ — لعقد الامتياز ينظر : إبراهيم محمد إبراهيم شهداد، تطور العلاقة بين شركات النفط . . .، المصدر السابق، ص٢٠٣ .

١٢٣ — 123 - Benjamin Shwadrn, Op. Cit., P.437.

١٢٤ — 124 - Wendell Phillips, Op. Cit., P. 243.

١٢٥ — 125 - Richard O'connor, Op. Cit., P. 352.

١٢٦ — 126 - Wendell Phillips, Op. Cit., P. 244.

١٢٧ — 127 - Ibid., P. 245.

١٢٨ — طيبة خلف عبد الله، المصدر السابق، ص١١٦ .

١٢٩ — الذكل : تبعد حوالي ١٤٠ ميلاً إلى الداخل من صلالة .

١٣٠ — 130 - Pauline Searle, Dawn Over Oman, London, 1979, P. 35.

١٣١ — دائرة العلاقات العامة — شركة تنمية نفط عمان، النفط والغاز في عمان، ص٤ .

١٣٢ — 132 - Richard O'connor, Op. Cit., P. 355.

١٣٣ — جون ميكوم، هو أحد أكبر خمسة مستقلين بإنتاج النفط في العالم، وقد فتح ميكوم آبار تكساس ولويزيانا وحصل على امتيازات في كولومبيا والشارقة وعجمان واليمن Wendell Phillips, Op. Cit., P. 246.

١٣٤ — فرد هوليداي، المصدر السابق، ص٢٢٩ .

١٣٥ — 135 - Richard O'connor, Op. Cit., P. 356.

١٣٦ — إبراهيم محمد إبراهيم شهداد، تطور العلاقة . . . ، المصدر السابق، ص١٦٤ .

١٣٧ — جبهة تحرير ظفار : نشأت جبهة تحرير ظفار عن تنظيمي "الجنود الظفاريين والجمعية الخيرية الظفارية" حيث اتخذت الأخيرة طابعاً إصلاحياً اجتماعياً، وتعد كلا الحركتين امتداداً لحركة القوميين العرب التي بدأت بتأسيس فروع لها في مختلف أنحاء الوطن العربي . عبد الله فهد النفيسي، تثمين الصراع في ظفار، ١٩٦٥–١٩٧٥ (د.ت.)، ص٥٣ .

١٣٨ — فرد هوليداي، المصدر السابق، ص٢٢٩ .

١٣٩ — سعد علام، المصدر السابق، ص٦١٦–٦١٧ .

١٤٠ – المصدر نفسه، ص٦١٦–٦١٧ .

141 - Wendell Phillips, Op. Cit., P. 247. – ١٤١

142 - Richard O'connor, Op. Cit., P. 356. – ١٤٢

143 - Ibid., P. 357. – ١٤٣

144 - Benjamin Shwadran, Op. Cit., P.438. – ١٤٤

١٤٥ – يونيون كاربيد : وهي شركة أمريكية كبيرة للكيماويات تقوم بتوظيف أموالها في مشاريع متنوعة .

١٤٦ – مجلة عـــالم النفــط، المجلد الأول، العــدد ١٣ في ١٦ تشرين الثــاني (نوفمبر)، ١٩٦٨م ص٥ .

١٤٧ – مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٣ في ٧ كانون الثاني، ١٩٧١م، ص١١٧ .

نشاط البحرين

أوضاع البحرين العامة



١٠٠ : الوثيقة

الملاحة ومؤثراتها في النشاط الملاحي

١٧٨٣ — ١٩١٤

القسم الأول

بقلم :
عماد جاسم حسن الموسوي

موقع البحرين وأثره في النشاط الملاحي

تقع البحرين في الجانب الغربي من الخليج العربي وإلى الغرب من شبه جزيرة قطر وإلى الشرق من ساحل الإحساء(١) وأرخبيل(٢) البحرين هو مجموعة من الجزر يبلغ عددها ٣٣ جزيرة تقع في خليج يسمى بخليج البحرين أو (بحر سلوى أو خليج سلوى) بالقرب من الساحل الغربي للخليج العربي(٣) وأهم هذه الجزر هي البحرين والمحرق وسِترة وأم النعسان والنبي صالح(٤). وكذلك من أهم جزرها أيضا جِدة وأم الصبان(٥) وحوار. وتبلغ مساحة جزر البحرين أرضا حوالي ٧١٢ كيلومترا مربعا ومساحة البحرين برا وبحرا ٨٢٦٩ كيلومترا مربعا(٦).

وتقع هذه المجموعة الجزرية[٧] على بعد ١٦ كيلومتراً من رأس البر إلى الدمام على الساحل السعودي الشرقي[٨] وعلى بعد ١٥٠ ميلا من الساحل الشرقي للخليج العربي و١٨ ميلا من شبه جزيرة قطر[٩] . وتوسطها هذا جعلها طريقا بحريا نشطا للحركة التجارية .

كمـا تقع البحـرين بين دائرتي عـرض ٠٦َ ,٣٢ً ,٢٥ْ و ٠٧َ ,١٠ً ,٢٧ْ شمالاً وبين خطي طول ١٣ً ,١٦َ ,٥٠ْ و ١١ً ,٠٧َ ,٥١ْ شرقاً[١٠] . وأهم هذه الجزر وأكبرها جزيرة البحرين التي يبلغ طولها بين ٢٧ – ٣٠ ميلاً وعرضها بين ٨ – ١٢ ميلاً التي تقع فيها المنامة في الوقت الحاضر، وتليها من حيث الأهمية جزيرة المحرق وسترة[١١] . وتقسم هذه الجزر إلى مجموعتين جزريتين : أولاهما جزيرة البحرين وتوابعها وعددها سبع عشرة جزيرة، والثانية مجموعة جزر حوار وعددها ست عشرة جزيرة[١٢] . وإذا أخذنا هذه الجزر مع بعضها فإنها تكون مجموعة مندمجة تقريباً وسط خليج البحرين وخليج سلوى الذي يفصل بين ساحل القطيف وشبه جزيرة قطر وأنها تشكل أكبر مجموعة جزرية في وسط الخليج العربي[١٣] وهذا ما ساعدها على قيام نشاط ملاحي .

أما بالنسبة إلى تسميتها فإنها ارتبطت بالبحر والنشاط الملاحي، إذ أن المؤرخ الروماني (بليني)[١٤] ، هو الذي أطلق عليها اسم (تيلوس)[١٥] . مشيراً في ذلك إلى لآلئها وأحجارها الكريمة[١٦] ، وهذا ما يدل على اعتمادها على اللآلئ منذ العهود القديمة .

وتذكر المصادر التاريخية[١٧] ، أن جزر البحرين سميت في العصر الجاهلي باسم أوال[١٨] . وبقيت هذه التسمية حتى القرن السادس عشر حين أطلق اسم البحرين على الساحل الممتد من الكويت إلى قطر بما فيها الجزر الواقعة أمامه[١٩] .

ويمكن أن يستدل من خلال تسمية البحرين سواءً بأسمائها القديمة أو اسمها الحالي بأنها ذات علاقة كبيرة بالملاحة والبحر، إذ اقترن اسمها قديماً بجواهرها ولآلئها الثمينة . واسمها الحالي مأخوذ من موقعها بين بحرين وتوسطها البحر، وهذا ما يدل على ارتباط اسمها بالنشاط الملاحي، كما تعددت الآراء عن سبب تسميتها، إذ يقال أنها سميت بهذا الاسم لوجود ينابيع مياه طبيعية حلوة متفجرة في قاع البحر فينبثق منها الماء العذب وسط مياه البحر المالحة التي ساعدت على جودة لآلئها، ولذا سماها العرب بالبحرين لوجود البحر المالح والبحر العذب[٢٠] كما أن هناك تفسيراً آخر يقول أنها سميت بالبحرين لأنها كانت تقع على شاطئ البحرين، بحر عمان والخليج العربي[٢١] ،

ويقصد بذلك امتدادها على الخليج العربي وخليج عمان، وهذا التعليل ينطبق تماماً على مدلول البحرين عند العرب قديماً[٢٢]، واقتصرت التسمية في الوقت الحاضر على جزر مستطيلة الشكل تقع في خليج سلوى بالقرب من الساحل الغربي للخليج العربي[٢٣]، وهكذا فإن لفظ البحرين كان يطلق قديماً على الساحل الغربي بأكمله من الكويت إلى القطيف وإلى جلفار (رأس الخيمة) بما في ذلك مجموعة جزر البحرين، ثم اختصت هذه الجزر بهذا الاسم وذلك من قبيل ما تداولت عليه ألسنة الناس من إطلاق العام على الخاص الأهم، كإطلاق لفظ مصر على القاهرة أو الشام على دمشق وغيرها من المسميات الأخرى التي تنطبق على ذلك[٢٤].

وربما كان هذا التعدد في أسمائها راجعاً إلى ظهورها كمركز تجاري هام هفت إليه قلوب التجار الطامعين منهم والطامحين بهدف الثراء الذي عرفت به لدرجة أن اسمها أطلق على المنطقة كلها . وكانت مجموعة الجزر التي تعرف اليوم باسم البحرين هي القاعدة الأساسية لتجارة الساحل الشرقي للجزيرة العربية[٢٥].

وتعد بلاد البحرين من المراكز التجارية الهامة بالخليج العربي إذ قامت بدور كبير في إثراء حركة التجارة البحرية منذ القدم وكان بعض أهلها يمتلكون السفن التي كانت تنقل التجارة من بلدان الخليج العربي إلى شبه القارة الهندية، واستوردت البحرين التوابل والسيوف والرماح والعطور والحرير من الهند وصدرت اللؤلؤ والتمور[٢٦]. وهذا ما يدل على أهمية موقع البحرين، وكذلك مهارة أهلها منذ القدم في الملاحة واهتمامهم بالتجارة ونقل السلع التجارية وإقامة علاقات تجارية مع المناطق الأخرى من العالم .

ونتيجة لموقع البحرين المتميز فقد عدت من المراكز التجارية المهمة في العصور الإسلامية الأولى إلى جانب البصرة ومسقط وهرمز، إذ أن المراكب التجارية التي كانت تنقل البضائع من البصرة إلى الصين كانت تمر بها، وبذلك فإنها كانت مرسى لسفن التجارة التي تمر منها إلى السند والهند والصين وتحمل هذه السفن مختلف البضائع[٢٧].

وبجانب التجارة فقد نعمت جزيرة البحرين بمغاصات اللؤلؤ، التي حملت الدولة العباسية على استحداث ولاية خاصة للإشراف على الغوص، وبالتالي فإن أعداداً كبيرة من السفن كانت تقصدها لتنقل منها هذه السلعة وتتاجر بها مع مناطق العالم الأخرى[٢٨].

واعتمد الاقتصاد البحريني في السابق إلى جانب اللؤلؤ على الزراعة وبصورة خاصة في الجزء الشمالي من البحرين نتيجة لوجود المياه العذبة والتربة المناسبة[٢٩] . ورغم ذلك كانت إمكانياتهم الزراعية محدودة بسبب طبيعة الأرض الصحراوية الجرداء، إضافة إلى قلة سقوط الأمطار وبالتالي كان الإنتاج الزراعي لا يكفي لسد احتياجاتهم[٣٠] .

ولغرض معرفة أثر المناخ في نشاط البحرين الملاحي ينبغي أن نسلط الضوء على الحرارة وحركة الرياح، علماً أنه يمكن تقسيم السنة في البحرين إلى ثلاثة فصول هي : فصل الشتاء وهو أفضل الفصول ويمتد من كانون الأول (ديسمبر) إلى آذار (مارس) حيث يتميز برياحه الشمالية الغربية ، أما الموسمان الآخران فيمكن أن نسميهما موسمي صيف، فالصيف المعتدل الحرارة يكون عادة في شهور نيسان (أبريل) وأيار (مايو) وتشرين الأول (أكتوبر) والثاني (نوفمبر)، أما الصيف شديد الحرارة فيكون في المدة ما بين تموز (يوليو) وأيلول (سبتمبر) وهنا تهب رياح حارة رطبة[٣١] ، وبالنسبة للحرارة امتازت البحرين بمناخ حار مشبع بالرطوبة صيفاً ومعتدل قليل الأمطار شتاءً[٣٢] ، وهذا ما جعلها تعد من المناطق الفقيرة بغطائها النباتي . وقد ألزم هذا الفقر سكانها أن يستعينوا بمعيشتهم إلى جانب ما تنتجه مناطقهم من بعض أنواع التمور والغلات الزراعية الأخرى كالحنطة والشعير، فأصبحوا يشتغلون بصيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ وكذلك الاشتغال بالنقل البحري والتجارة[٣٣] .

وعليه فإن قسوة البيئة الطبيعية وفقر تربتها جعلتهم يتجهون صوب البحر والإفادة منه فتعلموا الملاحة وركوب البحر وعاشوا على صيد الأسماك والتجارة، وقد أصبحوا بحارة مهرة من الدرجة الأولى . وصاروا ملاحين وصيادين وتجاراً وغواصين وراء اللآلئ وبذلك استطاعوا أن يعوضوا ما فقدوه في البر من الخيرات[٣٤] . وهذه الخصائص المناخية هي التي حدّت من الإمكانيات السكانية في تطوير المساحات الزراعية في البحرين وأصبح السكان غير قادرين على إنتاج المواد الغذائية الكافية لمعيشتهم من البر، لذا اتجهوا صوب البحر[٣٥] .

أما حركة الرياح فلها الأثر البارز في النشاط الملاحي، إذ استفاد الملاحون العرب من خواص الرياح الموسمية في المحيط الهندي وأوقات هبوبها في ممارسة نشاطهم الملاحي، وهي الوسيلة الوحيدة التي مكنت السفن من الإبحار بها[٣٦] .

وتهب هذه الرياح عادة وبصورة عامة من البحر إلى البر صيفاً من جهة الشرق ومن الشمال في بقية أيام السنة، ويكون هبوبها موازياً للساحل ويلائم دخول السفن للميناء وخروجها[٣٧] . واشتهروا أيضاً بمعرفتهم الجيدة بمواسم هبوب الرياح والتيارات البحرية والفلك وابتكارهم الشراع المثلث الذي أكسب سفنهم السرعة وسهولة المناورة في مواجهة حركة الرياح[٣٨] . وأهل البحرين خبراء ممتازون في صناعة السفن ذاع صيتهم وشهرتهم في البحار لمهارتهم الملاحية وشجاعتهم أمام العواصف والأنواء وكانت أشرعة السفن المصنعة في البحرين لا تقل شهرة عن صيتهم في صيد اللؤلؤ والمرجان وتجارتهما[٣٩] .

وبذلك فإنهم ساروا برحلاتهم الملاحية وفق الظروف المناخية السائدة، فالرياح الموسمية القادمة من الشمال الشرقي عادة ما تؤثر في حركة السفن شتاءً والتي تمتد من شهر تشرين الثاني (أكتوبر) إلى شهر آذار (مارس) من كل عام، وتعد هذه المدة من أفضل المواسم المناسبة لحركة الملاحة بالسفن الشراعية القادمة من مناطق شبه الجزيرة العربية باتجاه شرق أفريقيا[٤٠]، أما الرياح القادمة من الجنوب الغربي والتي تبدأ من شهر أيار (مايو) إلى شهر أيلول (سبتمبر) من كل عام فإنها تساعد على حركة السفن الشراعية للقيام برحلاتها إلى الصين والعودة إلى جنوب الجزيرة العربية والخليج العربي[٤١]، أما في الربيع فتساعد حركة الرياح الشمالية الشرقية في دفع السفن لتعود لنقطة انطلاقها وخلال دورة الرياح هذه يتم التبادل التجاري وحركة السفن[٤٢] .

أما بالنسبة لفصل الصيف فإن الجو يصبح مناسباً فيه لأعمال الغوص للحصول على اللؤلؤ الذي يصقل محلياً ثم يأخذه التجار إلى الهند شتاءً ليباع هناك بشكل صفقات في معظم الأحيان[٤٣] . بينما في الهند يكون الطقس غير مناسب لأعمال التجارة، إذ تتعرض الهند لنوع شديد من الأمطار والعواصف على عكس الشتاء الذي يكون مناسباً للتجارة مع الهند إذ أن الطقس يكون مناسباً لذلك، وهذا ما يعود بالفائدة على رواج التجارة البحرينية الهندية[٤٤] . وبذلك فإن أغلب الرحلات التجارية كانت تذهب شتاءً إلى تلك المناطق وتعود في فصل الربيع مستفيدة من هذه الظروف المناخية .

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن مناخ البحرين متمثلاً في درجات الحرارة والرياح كان له أثر كبير على نشاط السكان في البحرين وأصبح عاملاً مساعداً على قيام نشاط ملاحي ممثلاً في الغوص على اللؤلؤ والتجارة .



المصدر : أحمد رمضان شقيلة، الجغرافية الاقتصادية لجزر البحرين، ص٢٠٦

خصائص البحرين الملاحية وأهمية الموقع

تتميز سواحل جزر البحرين بكونها أراضي رملية منخفضة[٤٥] وهي خالية من المرتفعات، ماعدا هضبة الدخان التي يصل ارتفاعها إلى ٤٤٠ قدماً فوق سطح البحر، وبها قليل من الكثبان الرملية في طرفها الشمالي[٤٦] . وهذا يؤثر على الملاحة البحرية بمقربة من الساحل لقلة عمق المياه، وبذلك فإن السفن ترسو بعيداً عن ذلك، لتقوم سفن أخرى صغيرة قليلة الغاطس بنقل البضائع إليها، كذلك تميزت سواحل البحرين بوجود الأخوار[٤٧]، التي لعبت دوراً رئيسياً في حياة سكان البحرين، فعلى رؤوسها البارزة استقرت جماعات الصيادين التي تمارس مهنة صيد الأسماك، وفي مياهها الضحلة وجد هؤلاء الحماية التي ينشدونها من أمواج البحر العاتية، أو من غارات القبائل البدوية[٤٨] كما ساعدت ظاهرة المد والجزر التي تتعرض لها جزر البحرين في حركة الملاحة الساحلية وفي عملية دخول السفن إلى الموانئ وخروجها منها، وكان لها تأثير بالغ في صيد الأسماك بطريقة الحظائر التي يشيع استخدامها في سواحل الخليج العربي[٤٩]، كما أن الجزر الصغيرة المتناثرة حول جزيرة البحرين ساعد وجودها على هدوء حركة الماء ولها كذلك أهمية أخرى إذ أنها تُستخدَم كمحطات لصيد السمك وملاجئ لهم عند الضرورة، وتستخدم كمراكز لصيـادي اللؤلـؤ أيضاً وبعضها كان صالحاً لاستقبال السفن[٥٠] .

أما بالنسبة إلى أعماق المياه فإن الخليج العربي يصنف بأنه بحر ضحل، إذ يبلغ معدل عمقه نحو ٣٥ متراً، وأن أعمق نقطة فيه بلغت ١٠٠ متر، ويتصف جانبه الغربي أمام السواحل العربية بضحالته إذ لا يزيد عمقه عن ٥٠ متراً، وبذلك فإن السفن التي يبلغ غاطسها أكثر من ٢٠ قدم ترسو على بعد أكثر من ثلاثة أميال (٥ كيلومترات)[٥١] .

وخليج البحرين كله من رأس ركان إلى رأس تنورة البالغ طوله ٧٣ ميلاً هو كتلة من الشعب الصخرية قليلة الغور باستثناء مجرى متوسط الاتساع هو الذي يجري شمالاً وجنوباً من الساحل الشرقي لجزيرة المحرق يسمح بمرور السفن، وأعظم العقبات الكبيرة بالنسبة للملاحة هي فشت الديبل بين جزيرة المحرق ورأس ركان لمسافة طولها أربعة أميال وعرضها ثلاثة، ثم فشت الجارم الذي يحمي ميناء المنامة من الرياح الشمالية

والغربية ويساعد على احتماء السفن ودخولها فيه، وفي الجانب الواقع تجاه البحر المفتوح تنتهي مياه البحرين الضحلة على بعد ٥٤ ميلاً من شمال المحرق، ويوجد طريق يسمى (خور الباب) من المنامة إلى القطيف تطرقه السفن التي لا يزيد غاطسها عن ١٥ قدماً[٥٢].

كما تتميز سواحل جزر البحرين بكونها تتألف من تكوينات جيرية من الشعاب المرجانية[٥٣] التي هي من ظاهرات البحار الدافئة الضحلة ذات المياه الصافية التي تميز بها الخليج العربي[٥٤]، وبالرغم من وجود الطحالب والشعاب المرجانية[٥٥]، التي تعوق عملية الملاحة بالنسبة للسفن الكبيرة، فإن المراكب الصغيرة تستطيع اجتيازها نتيجة لصفاء مياهها، وبالتالي يمكن رؤية تلك الشعاب واجتيازها[٥٦]. وللشعاب المرجانية فائدة كبيرة ساعدت في قيام النشاط الملاحي وحركة السفن إذ أنها عملت كمصدات تحمي السفن عند دخولها إلى الموانئ وعند خروجها منها ومن أمواج البحر التي تدفعها رياح الشمال أمامها[٥٧].

ولقد ساعدت ضحالة مياهها على سهولة استغلالها كمصائد للأسماك وفي الملاحة الهامشية الخفيفة، ونمو مغاصات اللؤلؤ فيها منذ مئات السنين[٥٨].

ولعل من المفيد ذكره أن الملاحين العرب استفادوا من هذه الظواهر لمعرفتهم تلك السواحل معرفة تامة وإجادتهم الملاحة بقواربهم الصغيرة[٥٩]. وقبل أن يتقدم فن الملاحة وتبنى السفن الكبيرة التي صاحبت أعمال الكشف الجغرافي، كان سكان هذه السواحل يستغلون سفنهم الصغيرة وزوارقهم قي استخراج اللؤلؤ وفي صيد السمك، كما كانوا يستغلونها في نقل التجارة بينها وبين السواحل الأخرى للمحيط الهندي[٦٠].

ومن جانب آخر تعد جزر البحرين مفتاح شبه الجزيرة العربية[٦١]، وتتمتع بمركز طبيعي جيد وموقع تجاري متميز،فهي حلقة وصل بين موانئ الخليج العربي والمحيط الهندي[٦٢]، كما أن طبيعتها التي جعلت أكثر من نصف أراضيها صالحة للزراعة بسبب وجود الينابيع الحلوة ووجود النخيل فيها بكثرة أكسب الجزيرة وجهاً أخضر وجعلها مركزاً أكثر استقطاباً للسكن فيها، كما أن امتلاكها لأكبر مغاصات اللؤلؤ أعطى أهمية كبيرة لموقعها[٦٣].

ونتيجة لتلك الأهمية التي تمتع بها موقع البحرين فقد وصفها ديوراند (Durand) فيقول : "الجزر فضة والبحر لؤلؤة وتستطيع أن ترى قطع المرجان في الأعماق، وتمتلك

ينابيع الماء النقية التي تظهر خلال الماء الأجاج عند مدخل الميناء وفي أماكن متفرقة"[٦٤] كما وصفها الريحاني بقوله : "ليس بين مسقط والبصرة أجمل من مركز هذه الجزيرة وليس أصلح منه للتجارة أو الحرب فهي تتوسط الخليج في زاوية حصينة منه، كأنها بارجة راسية في خليج متسع بين قطر والقطيف بل كأنها مهد اللؤلؤ جوهرة كبيرة فلا عجب إذا تسابق إليها المستعمرون من قديم الزمان"[٦٥] . وقد أثبتت الأحداث في إمارات الخليج أن موقع جزر البحرين قد أعطاها امتيازاً في تاريخها وأهميتها الاقتصادية منذ القدم، إذ أنها احتلت موقعاً جغرافياً مهماً بالنسبة للخليج العربي وتوسطها لخطوط الملاحة البحرية[٦٦] .

ومن هنا يتضح بأن موقع البحرين الجغرافي ساعد على قيام نشاط ملاحي متمثلاً بجعلها مركزاً تجارياً مهماً منذ القدم تتجمع فيه البضائع القادمة من أوروبا والهند ويعاد تصديرها إلى المناطق الداخلية في الجزيرة العربية[٦٧] .

وليس من قبيل الصدف أن تشير الموسوعة البريطانية إلى البحرين بقولها "أرخبيل له أهميته الاستراتيجية والتجارية لدى الأشوريين والفرس واليونان"[٦٨] . وهو يدل على أهمية موقع البحرين، إذ لا توجد في الخليج العربي نقطة أخرى تؤلف في الوقت نفسه مركزاً جغرافياً واقتصادياً واستراتيجياً كما هو الحال في البحرين[٦٩] .

وهذا الموقع المهم أيضاً جعل البحرين محط أنظار الطامعين فقد توجه البرتغاليون نحو البحرين لاحتلالها وجردوا عليها حملة بحرية كبيرة عام ١٥١٧م لكنهم ارتدوا عنها نتيجة المقاومة الشديدة التي أبداها سكان الجزيرة[٧٠]، كما أنهم هاجموها مرة أخرى في عام ١٥٢١م وتمكنوا من احتلالها[٧١] .

وقد فضل البرتغاليون احتلال جزر البحرين على باقي المناطق في الخليج العربي لأنها كانت غنية بصيد اللؤلؤ ومتميزة بثرائها في الخليج العربي[٧٢] .

كذلك تطلع الهولنديون لجعل البحرين قاعدة لنشاطهم التجاري نتيجة لمرور التجارة من خلالها وجعلها سوقاً بديلة في حالة تعطل تجارتهم في بندر عباس[٧٣]، وحاولوا فتح مقر لهم في البحرين لغرض إبرام العقود والصفقات التجارية[٧٤]، ولكنهم فشلوا في مهمتهم[٧٥] .

كما أن اهتمام العثمانيين بالبحرين يدل على أهمية موقعها، وتكشف إحدى الوثائق العثمانية ذلك من خلال التقرير الذي أرسله خورشيد باشا إلى "الباشمعاون"

الذي أوضح فيه مزايا وخصائص موقع البحرين وملاءمته واتخاذها كقاعدة لهم، بعد أن قارنها بالإحساء والقطيف، إذ يقول : "إذا نظرنا إلى ميناء الإحساء، نجدها على مسافة يوم من وادي الإحساء ولا يوجد في ذلك ماء للشرب، وليس لأهل الإحساء سفن لا كبيرة ولا صغيرة، أما القطيف فإنها على مسافة يومين من جهة شمال الإحساء، وأن مياهه قليلة وليست لديهم سفن كبيرة بل لديهم بعض القوارب الصغيرة لصيد الأسماك، وبذلك فإن ميناء المراكب التي تغدو وتروح من نواحي الهند وعمان والعراق وإليها إنما هو جزيرة البحرين، لذلك اعتبرت البحرين ميناءً للإحساء والقطيف حسب ما يقول التقرير" . وبذلك فإن جزر البحرين هي الأنسب للسيطرة عليها[٧٦] .

إضافة إلى ذلك كان هناك تهديد آخر للبحرين من جهة فارس، إذ تمكنوا من احتلالها في عام ١٦٠٢م وبقيت تحت سيطرتهم حتى عام ١٧٨٣م عندما دخلها آل خليفة من العتوب[٧٧] . كذلك كان التوجه البريطاني نحو البحرين وربطها بعدة معاهدات، مما يدل على أهميتها، إذ أنها اعتبرتها مركزاً استراتيجياً لـــها في الخليج العربي[٧٨] . أضف إلى ذلك أن دخول آل خليفة للبحرين وتحريرها من النفوذ الأجنبي يؤكد استراتيجية موقعها المتميز[٧٩] .

ومن خلال ذلك يمكن القول بأن البحرين تمتعت بموقع جغرافي متميز ساعد كثيراً على قيام نشاط ملاحي واضح سواءً من خلال الغوص على اللؤلؤ أو من خلال توسطها البحر وبالتالي مرور السفن التجارية المحملة بالبضائع من خلالها .

تنقلات آل خليفة قبل دخولهم البحرين وأثرها في النشاط الملاحي

يرجع نسب آل خليفة إلى العتوب[٨٠] ، وهم من جميلة[٨١] التي هي فخذ من عنزة التي تعد من القبائل العربية الكبيرة الشأن في إقليم نجد بشبه الجزيرة العربية[٨٢] . أما في تسمية العتوب بهذا الاسم[٨٣] ، فقد تنوعت الإشارة إليه في المراجع العربية ومهما يكن من أمر اختلاف ذلك الاسم، فكل التسميات ترجع إلى الأصل الثلاثي "عتب" وهو فعل معناه أكثر من الترحال من مكان إلى آخر[٨٤] . وفي ذلك إشارة إلى تنقلهم وركوبهم البحر

قبل دخولهم البحرين[85]، وهذا التنقل والترحال من مكان إلى آخر كانت له أسباب عدة . كما تذكر المصادر التاريخية بأن جزيرة العرب أصابها سنوات جدب عدة خلال النصف الثاني من القرن السابع عشر، وقد دعا ذلك الجدب الكثير من القبائل العربية للهجرة وبالتالي فإن العتوب من الذين هاجروا إلى شرقي الجزيرة العربية قريباً من سواحل الخليج العربي نتيجة الجدب[86] . وهناك من يذكر أن سبب الهجرة يرجع إلى فتن حصلت بين القبائل[87] . ومن خلال الوثائق العثمانية ثبت أن العتوب كانوا موجودين في البحرين منذ عام ١٧٠١م وهذا يعني أنهم تعودوا ركوب البحر وقيادة السفن في وقت مبكر، كما يدل على اهتمامهم بالنشاط الملاحي منذ مدة طويلة، كما تؤكد الوثائق أيضاً أن القوة البحرية التي أسسها العتوب كانت مزودة بأدوات عسكرية كالمدافع والبنادق، ويذكر بأنه كان لديهم نحو مائة وخمسين مركباً وعلى كل مركب مدفعان أو ثلاثة وعلى كل مركب ثلاثون أو أربعون رجلاً محارباً يحمل بندقية وهذا ما جعلهم قوة بحرية لها أثرها في مياه الخليج العربي وسواحله منذ ذلك الوقت[88] .

وقد نزل العتوب في طريق هجرتهم من الأفلاج[89] إلى قطر التي كانت تخضع لنفوذ بني خالد، ومن قطر تفرقت الأسر العتبية إلى سائر موانئ الخليج العربي لتتجمع من جديد في الكويت[90] إذ أن آل خليفة وآل صباح تركوا قطر وركبوا سفنهم وما صاروا في أعماق البحر حتى لحق بهم آل مسلم عند رأس تنورة[91]، فهاجموهم ووقع بينهم قتال شديد كان النصر فيه حليف العتوب وواصلوا إبحارهم حتى نزلوا الكويت[92] وهذا ما يشير إلى استفادتهم من تلك الرحلات والتنقلات في زيادة معرفتهم بأمور البحر نتيجة لارتباط النشاط الملاحي بحركة السفن، وأن المناطق التي انتقل إليها آل خليفة أثرت على ذلك، وأنهم قبل حلولهم بالكويت[93] فإن الروايات المحلية رجحت ثلاثة أماكن نزلها العتوب بعد أن غادروا قطر، ومن أحدها توجهوا إلى الكويت بعد ردح من الزمن، وكان المكان الأول هو خور الصبية الواقع إلى الجنوب من البصرة، والرواية هنا تقول بأن العتوب طردوا من ذلك المكان بناءً على أوامر متسلم البصرة[94] . والثاني يفترض أنهم أتوا الكويت عبر الخليج العربي بعد أن طردوا من الساحل الشرقي من القبائل العربية الأخرى[95] . أما الرأي الثالث فيقول بأن العتوب نزلوا قطر وهم في طريق هجرتهم من الأفلاج، ومن قطر تفرقت الأسر العتبية إلى سائر موانئ الخليج العربي[96] . ومن المرجح

بأن العتوب هاجروا من نجد نتيجة الجدب والفقر الذي أصاب مناطقهم وضيق عليهم سبل العيش وبالتالي فإنهم اتجهوا نحو سواحل الخليج العربي صوب البحر ليجربوا حظهم وينالوا من خيراته، وهذا ما حصل بالفعل .

وهكذا فإن العتوب قدموا من الجنوب بعد أن أمضوا على ساحل الخليج العربي بقطر نحو نصف قرن بعد هجرتهم من الأفلاج وهي مدة لازمة وكافية للتدريب على ركوب البحر، الذي لابد وأنهم ركبوه في طريقهم إلى الكويت(٩٧) .

ومهما يكن من أمر فإن العتوب استقروا في الكويت ومارسوا الأعمال التجارية والزراعية، إذ أن سفنهم أصبحت تقوم بنقل البضائع حتى من المناطق البعيدة، وتعاهدوا على تقسيم العمل فيما بينهم واتفقوا على أن يتولى آل صباح مسئولية الحكم(٩٨)، بينما تعهد آل خليفة بإدارة الشئون التجارية وهذا يعود إلى خبرتهم الملاحية وتميزهم بها وقيامهم بالمتاجرة مع المناطق المختلفة، في حين كان العمل في البحر والغوص على اللؤلؤ من نصيب الجلاهمة، وبذلك فقد هيمن العتوب على الشئون السياسية والتجارية في آن واحد(٩٩) ولم يستمر هذا الحلف كثيراً، إذ أنه بعد مضي خمسين عاماً على الاتحاد انفصل آل خليفة من الحلف في عام ١٧٦٦م(١٠٠) وهاجروا إلى الزبارة(١٠١) لأسباب من المرجح أن تكون متعلقة بالنشاط الملاحي .

انتقال آل خليفة إلى الزبارة وأثره في النشاط الملاحي

إذا كان آل صباح قد أرسوا قواعد حكم العتوب في الكويت بعد منتصف القرن الثامن عشر بقليل(١٠٢) فإن أبناء عمومتهم من آل خليفة والجلاهمة وغيرهم من جماعات العتوب الأخرى التي كانت قد نزلت مع آل صباح الكويت، نشروا نفوذ العتوب جنوباً في قطر والبحرين والمناطق المجاورة لهما والممتدة على طول الساحل من قطر جنوباً إلى الكويت شمالاً وذلك خلال المدة نفسها أي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، إذ أن آل خليفة بعد أن غادروا الكويت بزعامة خليفة بن محمد بسفنهم توجهوا نحو البحرين للإقامة هناك، غير أن حكامها من آل مذكور(١٠٣) حالوا بينهم وبين ذلك(١٠٤)

وأن آل مذكور كانوا قد طردوا عرب الهولة[١٠٥] من البحرين عام ١٧٥٣م بمساعدة الحكومة الفارسية واستمروا في حكمهم للبحرين حتى أخرجهم آل خليفة منها عام ١٧٨٣م[١٠٦].

وقد تعددت الآراء حول هجرة آل خليفة من الكويت إلى الزبارة، فالوثائق البريطانية[١٠٧] تعزو سبب الهجرة إلى أن الكويت بعد أن بلغت درجة عظيمة من التقدم والثراء في الخمسين سنة الأولى من عمرها (١٧١٦ — ١٧٦٦)، دفعت آل خليفة إلى الانفصال عن آل صباح لينفردوا بجمع الثروة الناجم عن التجارة، إذ أن سفن آل خليفة كانت تذهب إلى الزبارة لشراء اللؤلؤ والمتاجرة به، وبما أنهم اهتموا بشئون التجارة فإنهم فضلوا الاستقرار قرب المصدر الأساسي لثروتهم بل والحصول على نصيب من اللؤلؤ من خلال الصيد بأنفسهم بدلاً من الاستمرار في شرائه، لذلك آثروا الهجرة[١٠٨]، وهذه تعبر عن البدايات الأولى لاهتمام آل خليفة بالنشاط الملاحي.

ويعزوا آل خليفة أسباب هجرتهم لأسباب سياسية خاصة بالحكم فيذكرون أنه سبق لفيصل جد خليفة، حكم المنطقة التي أقام فيها العتوب قبل نزولهم إلى الكويت وقد قام فيصل بتزويج إحدى بناته لجابر (والد الشيخ صباح بن جابر) بعد اختياره أول حاكم للعتوب في الكويت أملاً في أن يصبح الحاكم الذي سيخلفه من أسرة فيصل، فلما اختير عبد الله حاكماً على العتوب رحل آل خليفة من الكويت[١٠٩].

وهكذا وبالرغم من تعدد الآراء في الأسباب التي أدت إلى هجرة آل خليفة من الكويت، إلا أنه يمكن ترجيح الأسباب الاقتصادية وراء هجرتهم، إذ أن فرنسيس واردن الذي عاش في فترة غير بعيدة عن تلك الهجرة أكد بأن آل خليفة بعد أن توطدت علاقتهم بالبحر ومعرفتهم فنون الملاحة، أصبحوا يعتمدون على البحر كمورد أساسي لرزقهم ونمط معيشتهم، ومما يؤكد ذلك أن علاقة عتوب الكويت ظلت قائمة بأبناء عمومتهم من آل خليفة بعد رحيلهم من الكويت[١١٠].

إضافة إلى هذه الأسباب فإن اختيار آل خليفة للزبارة لم يكن فجاءة ودون دراسة بل يمكن القول بأن هذا الأمر قد ارتبط بنشاطهم الملاحي إذ أن العتوب عرفوا هذا المكان جيداً منذ أمد بعيد خلال إقامتهم في قطر قبل هجرتهم إلى الكويت[١١١] ثم أنهم عرفوه أيضاً خلال تجوالهم في الخليج العربي لنقل تجارتهم بحراً بين قطر والبحرين والإحساء، إذ وقع اختيارهم على هذا المكان لموقعه التجاري أولاً ولقربه من مغاصات

اللؤلؤ ثانياً، وهذا يدل على أن شيخ آل خليفة اهتم بالدرجة الأولى بالموقع التجاري والموقع البحري ومن ثم النشاط الملاحي(١١٢)، أضف إلى ذلك أن الزبارة أصبحت من المدن العامرة على ساحل قطر فأكسبها موقعهـا الجغرافي مكانة مرموقة بين مدن هذا الساحل و بالإضافة إلى قربها من مغاصات اللؤلؤ فإن ميناءها كان آمناً ويحمي السفن من غوائل البحر وطوفانه بفضل تقعر الساحل الذي جعل جوها هادئاً أميناً وهذا ما استفاد منه آل خليفة للقيام بنشاطهم الملاحي والتجاري واتخاذها مركزاً لهم(١١٣).

ومهما كانت أسباب الانفصال فإن تنقل آل خليفة من مكان إلى آخر في الخليج العربي كان قد أثر كثيراً على قيام نشاط ملاحي وبالتالي اكتسابهم المهارة والخبرة في الشئون التجارية وزادت قدرتهم على الإبحار إلى مناطق بعيدة، وبذلك فإنهم قد أبحروا جنوباً في مياه الخليج العربي بزعامة شيخهم محمد بن خليفة(١١٤)، الذي ترأس عشيرته بعد وفاة والده(١١٥). ومما لاشك فيه أنهم أبحروا في مياه الخليج العربي في أمان تام قبل هجرتهم الأخيرة لاسيما وأنه قد مضت عليهم عدة سنوات استطاعوا خلالها أن يكونوا بحارة مهرة وأسهموا في الغوص على اللؤلؤ بإرسال قواربهم إلى السواحل الغنية باللآلئ القريبة من البحرين وقطر وكذلك أسهموا في نقل التجارة والبضائع إلى مختلف موانئ الخليج العربي، وعليه فإنهم كانوا مستعدين للقيام بأي مغامرة بحرية قد يتعرضون لها من خلال امتلاكهم للسفن المزودة بالأسلحة والبنادق وهذا ما وفر لهم الحماية الكاملة للقيام بأعمالهم البحرية ونشاطهم الملاحي(١١٦).

نشاط آل خليفة الملاحي في الزبارة

غادر آل خليفة الكويت بسفنهم متوجهين نحو البحرين(١١٧)، إلا أن حكامها من آل مذكور لم يسمحوا لهم بالنزول فيها، ولذا فإنهم عدلوا عنها واتجهوا نحو موضع الزبارة(١١٨)، وعندما وصل محمد بن خليفة – وهو جد آل خليفة – إلى موضع الميناء المذكور في قطر، كان شيوخها يومئذ من آل مسلم في بلدة الحويلة(١١٩). وكانت لهم سلطة على أهل قطر عامة وكان هؤلاء يدينون بالولاء لبني خالد(١٢٠) الذين كانوا يسيطرون على شرقي الجزيرة العربية من قطر جنوباً إلى البصرة شمالاً(١٢١). ونزل الشيخ

محمد عند قبيلة آل بن علي وتزوج منهم وكان على جانب كبير من الجاه والثروة وبعد مصاهرته هذه القبيلة (آل بن علي) قويت شوكته وزاد نفوذه وتعززت سلطته واتخذ له مقراً في قلعة بناها تدعى "مرير"[١٢٢].

وبعد استقرار آل خليفة في الزبارة تمكنوا من جمع ثروات كبيرة من خلال اهتمامهم بالنشاط الملاحي وذلك بممارستهم لمهنة الغوص على اللؤلؤ ومن ثم المتاجرة به، إذ أنهم كانوا يذهبون إلى البحرين بسفنهم ويقومون بشراء اللؤلؤ ومن ثم يتاجرون به مع الهند[١٢٣]، كما أنهم قاموا باحتكار هذه التجارة لأنفسهم وذلك عن طريق تقديمهم القروض لأصحاب السفن العاملة في الغوص عند بداية كل موسم مقابل عدم بيع اللؤلؤ إلى غيرهم[١٢٤]. كذلك قاموا بتسهيلات كبيرة منحها الشيخ محمد بن خليفة للتجار وذلك بما قدمه من إعفاءات جمركية، لم يكن لها نظير في الكويت أو العقير، أو القطيف أو البصرة أو مسقط، وإعفاء السلع والبضائع التي يجلبها التجار أو التي تمر عن طريق الزبارة إلى موانئ الخليج العربي الأخرى من المكوس والضرائب، كما أنه شجع التجار على النزول في الزبارة، وهذا ما أدى إلى قيام نشاط ملاحي كبير ازدهرت من خلاله مدينة الزبارة وأصبحت ميناءً مهماً تأتي إليه السفن المحملة بالبضائع لغرض المتاجرة معه[١٢٥].

فضلاً عن ذلك كانت هناك مجموعة من العوامل التي ساعدت على ازدهار الزبارة وانفرادها بالتجارة ومنها انغماس المنطقة في حروب مستمرة بين آل سعود وبني خالد، وهذا ما شجع العتوب على استغلال هذه الفرصة لتحقيق الازدهار الاقتصادي من خلال ممارسة الأنشطة الملاحية المختلفة[١٢٦]، أضف إلى ذلك انتشار مرض الطاعون الذي تعرضت له البصرة عام ١٧٧٢، والذي ترك آثاراً ضارةً على سكانها وتجارتها، فقد أفنى هذا المرض عدداً كبيراً من سكانها وهروب أعداد أخرى من تجارتها إلى موانئ الكويت والقطيف والزبارة، مما أدى إلى انتعاش الحركة التجارية في تلك الموانئ وازدياد إقبال السفن عليها[١٢٧].

بالإضافة إلى ذلك فإن حصار الفرس للبصرة في عام ١٧٧٥م[١٢٨] بقيادة كريم خان الزند[١٢٩]، الذي كانت نتيجة استيلاء الفرس على البصرة[١٣٠]، أدى إلى نزوح أعداد كبيرة من أهالي المدينة المذكورة منهم التجار وبعض أصحاب رؤوس الأموال، وقسم من

هؤلاء ذهب إلى الزبارة واستقر فيها، فكان هذا عاملاً آخر ساعد على نموها[١٣١] اقتصادياً وملاحياً .

هذا الازدهار التجاري والنشاط الملاحي الذي تميزت به الزبارة في تلك المدة أغرى الجلاهمة بمغادرة الكويت والهجرة إليها، إذ يقال بأن سبب هجرة الجلاهمة، هو أن آل خليفة في انتقالهم إلى الزبارة كانوا قد أقنعوا آل صباح والجلاهمة بأن الزبارة تقع في منطقة غنية باللؤلؤ مما سيعود على الجميع بالربح الوفير، ولكن آل خليفة لم يشركوا معهم أحداً من العتوب في تلك الثروة، فرأى الجلاهمة بأن يحصلوا على ثروتهم من اللآلئ بأنفسهم ومن هنا كانت هجرتهم[١٣٢] وأن آل صباح بعد أن قلّ دخلهم من تجارة اللؤلؤ نتيجة لاحتكار آل خليفة لها اختلفوا مع الجلاهمة لأمور مادية وأصبحت الكويت تتسع لأسرة واحدة[١٣٣] وبذلك فإنه نتيجة لازدهار الزبارة من جانب وقلة موارد الكويت من جانب آخر، لم يجد شيخ الجلاهمة "الشيخ جابر"بداً من أن يبحر مع أسرته إلى الزبارة، حيث أحسن آل خليفة استقبالهم في بادئ الأمر وعينوا لكل القادمين من أقاربهم دخلاً مناسباً يتفق ومكانته بين الأسرة[١٣٤] إلا أن الخلاف سرعان ما دب بين الجماعتين، وعندما طلب الجلاهمة المزيد من المدفوع إليهم، رفض آل خليفة طلبهم كما أن آل خليفة كانوا يخشون من أن تؤول الأمور للجلاهمة وبذلك فقد حاولوا إخراجهم من الزبارة[١٣٥] . ونتيجة لذلك اضطر الجلاهمة الذين أخذوا يتربصون العداء لآل خليفة إلى مغادرة الزبارة والذهاب إلى منطقة تعرف باسم الرويس، حيث استقروا فيها وشرعوا ببناء أسطولهم وقاموا بتسليحه بغية الانتقام من آل خليفة[١٣٦]، واشتبكوا معهم في سلسلة من المعارك الضارية التي انتهت لصالح آل خليفة ومقتل زعيم الجلاهمة الشيخ جابر في إحدى المعارك التي نشبت بين الجانبين[١٣٧] . وهذا مما يدل على قوة أسطول آل خليفة ومهارتهم في المعارك البحرية .

وبعد انتصار آل خليفة على الجلاهمة فتكوا بهم ولم ينج منهم إلا القليل من الأطفال والنساء[١٣٨]، وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا الانتصار إلى أن يسيطر آل خليفة على جميع العتوب النازلين بالزبارة والمنطقة المحيطة بها، غير أن هذا العداء بين آل خليفة والجلاهمة لم يمنعهم من دفن أحقادهم والوقوف جنباً إلى جنب أمام الخطر المشترك الذي بدأ يهددهم عام ١٧٧٥م وذلك عندما اتفق عرب بوشهر وبندر ريق[١٣٩] على مهاجمة الزبارة، وكانت نتيجة تلك المحاولات فشل الحلفاء وانتصار العتوب[١٤٠] .

دخول آل خليفة للبحرين وبداية نشاطهم الملاحي

إن تزايد عدد سكان الزبارة دفع بالعتوب أن يتجهوا بأنظارهم نحو البحرين إذ أنهم أصبحوا قوة بحرية كبيرة بفضل اشتغالهم بالغوص أو في التجارة وعندئذ فكر آل خليفة بالتوسع خارج الزبارة[١٤١] . ولكن ليس على حساب البر المجاور وذلك لأن الظروف المحيطة بهم جعلتهم يتوجهون نحو البحر، ومنها وجود بني خالد الذين كانوا على علاقات طيبة معهم، ومن ثم لم يكونوا راغبين في الإساءة إلى تلك العلاقات، كما أن التحرك الوهابي[١٤٢] نحو شرق الجزيرة العربية كان على أشده، ولذا وجد العتوب أن تواجدهم في الزبارة محفوف بالمخاطر، ومن ثم لم يكن أمامهم من سبيل يطرقونه سوى البحرين[١٤٣] .

أضف إلى ذلك أن البحرين كانت محط أنظارهم قبل أن يسكنوا الزبارة[١٤٤] . وكان السبب الجوهري في اهتمام العتوب بالبحرين مرتبط كثيراً بالنشاط الملاحي نتيجة لموقعها التجاري وغناها بمغاصات اللؤلؤ، وكذلك وجود أشجار النخيل وتوافر المياه العذبة علاوة على ذلك فإن البحرين جزيرة يسهل الدفاع عنها حين تعرضها للخطر وذلك نتيجة لدرايتهم ومعرفتهم الواسعة بشئون البحر[١٤٥] . زد على ذلك أن موقع البحرين جعلها بعيدة عن الخطر الوهابي الزاحف نحو ساحل الخليج العربي لوجود الحاجز المائي وأن الطريق إليها أفضل بكثير من التوسع في داخل شبه الجزيرة العربية لامتلاكهم السفن ولمهارتهم في ركوب البحر، وهذا مما يدل على توجههم البحري منذ البداية[١٤٦] .

ومهما يكن من أمر، فإنه يبدو أن الظروف على الساحل الشرقي للخليج العربي في ١٧٨٠م قد جعلت هجوم العتوب على البحرين أمراً ليس مرغوباً فقط بل تحتمه الضرورة[١٤٧] خاصة بعد موت كريم خان الزند الذي فشلت محاولاته في احتلال الزبارة، فوفر مقتله عام ١٧٧٩م لآل خليفة فرصة التدخل في شئون البحرين والسيطرة عليها نتيجة الاضطرابات الداخلية التي حدثت في بلاد فارس بسبب عدم اضطلاع شاه فارسي قوي بأمور الحكم، هذا الأمر جعل عرب الساحل الشرقي للخليج العربي يتصرفون تصرفاً يكاد يكون تصرف جماعات مستقلة استقلالاً تاماً عن نفوذ شاه فارس، وهكذا أصبح الهجوم الذي ينتظره العتوب من العرب النازلين على الساحل الشرقي للخليج

العربي قريباً وأصبحت الحرب أمراً لابد منه(١٤٨) . وهذه الاضطرابات التي حدثت في بلاد فارس انتقلت إلى البحرين نفسها، إذ حدثت منازعات بين مجموعتين من سكانها من أتباع "أحمد بن ماجد البلادي" زعيم قرية البلاد القديم(١٤٩) وبين جماعة "مدن الحفصي"(١٥٠) صاحب السلطة الشرعية في الجزيرة والذي كان يؤيد آل مذكور، بينما كان أحمد البلادي يؤيد آل خليفة، وعليه فقد قام أتباع أحمد بطلب المساعدة من آل خليفة . وهكذا فقد شعر آل خليفة بأن الفرصة أصبحت مواتية لهم، لأن الفرس باتوا عاجزين عن مساعدة أعوانهم من آل مذكور في الهجوم على الزبارة وذلك للضعف الذي انتاب بلاد فارس بسبب الحرب الأهلية والاضطرابات بعد موت كريم خان الزند(١٥١) .

وهكذا تجمعت لدى آل خليفة كل أسباب ومبررات الهجوم على جزر البحرين وكان السبب المباشر في الهجوم هو مقتل أحد أتباع آل خليفة في جزيرة سترة على أيدي سكان البحرين وقد جاء إليها لشراء جذوع النخيل(١٥٢) وكانت نتيجة ذلك أن أرسل آل خليفة قوة بحرية صغيرة إلى الجزيرة تمكنت من قتل خمسة أشخاص من سكانها وعادت سالمة(١٥٣)

وعلى أية حال وللتدليل على نشاط البحرين الملاحي ومن خلال هذه الأحداث نلاحظ بأنه لم يمض أكثر من شهر على معركة الزبارة إلا وكانت قوة آل خليفة تحت قيادة الشيخ أحمد بن محمد مستعدة لفتح البحرين، فقد اهتم بإعداد أسطول كبير مجهز بالأسلحة والمعدات العسكرية، وتقدمت تلك القوة البحرية في مياه الخليج العربي وتمكنت بعد ذلك من محاصرة قلعة الديوان التي استسلمت على إثرها الحاميات الفارسية التي كانت تحرسها في ٢٨ تموز (يوليو) ١٧٨٣م(١٥٤) وبعد دخول آل خليفة البحرين أمر الشيخ أحمد بنقل عائلة الشيخ نصر التي كان معظمها من النساء والأطفال إلى بوشهر بأمان وبقيادة أحد رجال آل خليفة لحين وصولهم إلى هناك(١٥٥) .

وبدخول آل خليفة البحرين انتهى النفوذ الفارسي وعادت الجزر إلى العائلة العتوبية العربية وأصبحت البحرين إمارة عربية تحكمها عائلة آل خليفة منذ عام ١٧٨٣ وحتى الوقت الحاضر، ثم انتخب الشيخ أحمد الذي لقب بالفاتح حاكماً على الزبارة والبحرين وذلك لوفاة أخيه محمد في مكة بالسنة نفسها التي وقعت فيها الأحداث(١٥٦) .

وقد ساعدت بعض القبائل[١٥٧] آل خليفة في دخولهم البحرين حتى الجلاهمة الذين انفصلوا فيما بعد عنهم نتيجة الخلافات التي نشبت بينهما، وكان لهم دور في مساعدة آل خليفة في دخول البحرين[١٥٨]، كما أن انفصال الجلاهمة كان له دور في تقوية النشاط البحري لآل خليفة من خلال الاستعداد لمواجهتهم إذ أنهم أخذوا يتربصون العداء لهم وخصوصاً على حساب النشاط التجاري وملاحقة سفن آل خليفة[١٥٩] .

وهكذا يتضح بأن دخول آل خليفة البحرين عام ١٧٨٣م يعد بداية عهد جديد بالنسبة للبحرين في تاريخها الحديث، إذ كانت له نتائج بعيدة المدى في تاريخ البحرين نظراً للازدهار التجاري الناشئ من موقعها الممتاز، الذي أتاح فرصة التقدم والرخاء لأية جماعة نشطة تجارياً ومتمرسة على أعمال البحر والخوض في غماره . وقد توفرت تلك الصفات لآل خليفة، الذين أصبحوا يجوبون مياه الخليج العربي بسفنهم سواء التجارية منها أو العاملة في الغوص وكذلك القيام برحلات تجارية إلى الهند والصين بفضل خبراتهم الملاحية، وكانت الظروف التي دفعت بهم للمجيء إلى البحرين واستقرارهم فيها هي التي ساعدتهم على اكتساب هذه الخبرة ومن ثم بروزهم بشكل كبير في النشاط الملاحي في العقدين الأخيرين من القرن الثامن عشر، غير أن هذا الرخاء والازدهار قد جعل البحرين محط أنظار الطامعين .

نشاط البحرين الملاحي
في عهد الشيخ أحمد بن محمد بن خليفة
(١٧٨٣ – ١٧٩٦)

بعد أن تمكن الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة من فتح البحرين في عام ١٧٨٣م، فإنه قام بتنظيم أمورها[١٦٠] . واتخذ من قلعة الديوان مقراً لحكمه وقام بتحصينها لكي يحرسها من أي تهديد خارجي قد تتعرض له، لكن الشيخ لم يستقر طويلاً في البحرين بل إنه عاد إلى الزبارة بعد الفتح، وترك أحد أقاربه ليحكم البحرين[١٦١] وقد اعتاد الشيخ أحمد أن يمضي الصيف في البحرين وباقي العام في الزبارة حتى وفاته عام ١٧٩٦م[١٦٢] .

أما بالنسبة للأحداث التي وقعت في عهده فإنها لم تكن كبيرة ولم تؤثر سلبياً على النشاط الملاحي ومنها انسلاخ الجلاهمة عن التحالف العتوبي - الذي جاء ذكره فيما سبق -، كذلك محاولة الفرس في عام ١٧٨٥م لغزو البحرين والزبارة وفشلهم في ذلك بسبب وفاة علي مراد حاكم شيراز[١٦٣] مما أدى بالحكومة الفارسية إلى عدم التفكير بغزو البحرين حتى نهاية القرن الثامن عشر بسبب استمرار الاضطرابات الداخلية في بلاد فارس من جهة وضعف حكومتها وعدم امتلاكها لأسطول بحري من جهة أخرى وبذلك يمكن القول بأن عهده كان عهد هدوء وسلم ورخاء اقتصادي ازداد فيه إنتاج اللؤلؤ، ونمت فيه تجارة البحرين نمواً ملحوظاً، فعن طريق موانئ البحرين كانت معظم البضائع الهندية تنتقل بين مسقط والبصرة حتى قدرت قيمة هذه البضائع المنقولة سنوياً بمليون روبية[١٦٤].

وكانت مصالح التجار تلقى من جانبهم الرعاية الكاملة[١٦٥]. كما أنهم أحجموا عن المعارك البحرية ومناهضة السفن المحلية والأجنبية وذلك لما للجزيرة من ثراء نسبي، واكتفوا بما عندهم، ولم يُدخلوا الجزيرة في صراع مع الآخرين[١٦٦].

إن دخول آل خليفة للبحرين كان له أثر كبير على النشاط الملاحي، إذ ازداد النشاط التجاري لدرجة أصبحت البحرين من المراكز التجارية المهمة في الخليج العربي وصار آل خليفة يملكون أسطولاً تجارياً كبيراً عمل في نقل البضائع[١٦٧]. كما أن السواحل الغنية باللؤلؤ في البحرين والزبارة قد زادت من ثراء آل خليفة[١٦٨]. علماً أن تجارة اللؤلؤ هي التجارة الرئيسية في البلاد قبل دخول آل خليفة إليها[١٦٩]، إلا أنه بعد ذلك أصبحت التجارة تعتمد على صيد الأسماك وتسويق اللؤلؤ وتجارة النقل البحري بين الهند ومسقط وموانئ الخليج العربي الأخرى[١٧٠]، والتي تعد المصدر الثاني الذي زاد من ثراء البحرين وأهميتها[١٧١]. وعندما جلب آل خليفة من الهند سفناً ذات أحجام كبيرة أخذ عتوب البحرين في الثمانينات من القرن الثامن عشر يبحرون بها إلى موانئ الهند لاستيراد المواد الضرورية لحياة سكانهم اليومية وإلى تصدير بعضها إلى بغداد وحلب، وكانت السلع والمواد تجد طريقها إلى الأسواق عن طريق البصرة تارة وعن طريق الكويت تارة أخرى[١٧٢].

ويتضح من خلال ما سبق بأن نشاط البحرين الملاحي تركز بعد وصول آل خليفة إليها على شطرين، أولهما الغوص على اللؤلؤ وتسويقه وثانيهما التجارة البحرية مع الهند والصين وموانئ الخليج العربي الأخرى، وكان لهذين النشاطين أثر كبير بجعل البحرين من الموانئ العربية المهمة في الخليج العربي، ولما كان النشاط الملاحي يتداخل مع عمليات الغوص على اللؤلؤ وصيد الأسماك لذا فإن البحث سيتابع هذين النشاطين بإيجاز بقدر تعلق الأمر بتوضيح نشاط البحرين الملاحي .

الغوص على اللؤلؤ

تعد هذه الحرفة من الحرف والصناعات القديمة التي عرفها الإنسان في البحرين وكانت تشكل المورد الأساسي لمعيشة السكان(١٧٣) . ويتميز لؤلؤ البحرين عادة بأنه يفوق بقية أنواع اللؤلؤ لمعاناً وهذا يعود لوجود ينابيع المياه العذبة المتفجرة في قعر المياه بالقرب من حواجز المحار(١٧٤) . كما أنها تكون صلبة لا تتقشر(١٧٥) . وكان الإقبال على شرائه ليس لجعله حلية للنساء بل إنه ذهب في أهميته إلى أكثر من ذلك، إذ أصبح له أثر في معتقدات الشعوب، حيث اعتقد بعض المسيحيين أن اللؤلؤة الواحدة ترمز للمسيح، وهذا هو سبب رواج تجارته بين الدول الأوروبية، أما الهندوس فيعدون اللؤلؤ رمزاً للطهارة والنقاوة وهذا ما زاد من أهميته والإقبال على شرائه والمتاجرة به(١٧٦) .

وبذلك كان اللؤلؤ المستخرج من مغاصات البحرين من أفضل لآلئ العالم واكتسب شهرة عالمية في الأسواق(١٧٧) . وهنالك عوامل عدة أسهمت في جعل المياه المحيطة بالبحرين ملائمة لتكاثر اللؤلؤ منذ القدم ومنها ضحالة ودفء المياه(١٧٨) . إضافة إلى ذلك فإن أعماق المياه كانت معروفة لدى الغواصين وكذلك نوع صخورها ولونها وتيارات مياهها وصفاء مائها وتوفر الأيدي العاملة ذات الخبرة الكبيرة والمهارة في الغوص، كل هذه العوامل كان لها الأثر الإيجابي في عملية الغوص واستخراجه(١٧٩) .

في الواقع يستخرج اللؤلؤ في موسمين، الأول هو الغوص البارد الذي يبدأ عادة من شهر نيسان (أبريل) إلى أيار (مايو) من كل عام، أما الغوص الكبير فيبدأ من حزيران (يونيو) ولغاية تشرين الأول (أكتوبر)(١٨٠) . وتقام الاحتفالات الشعبية عادة في الأماكن

التي تبحر منها سفن الغوص[١٨١] . إذ يحضر الحاكم بنفسه في الصباح إلى الشاطئ ليفتتح الموسم باحتفال رسمي ويعد ذلك اليوم عيداً وطنياً للبلاد بأسرها ويشترك فيه السكان بغمرة السرور والفرحة[١٨٢] .

أما عمق المياه التي يمارس فيها الغواصون الصيد فتتراوح بين ٢٥ و ٥٠ قدماً، غير أنه نظراً لأن بعض أحواض اللؤلؤ الغنية أعمق من ذلك فإن بعض الغواصين يضطرون إلى النزول إلى عمق مائة قدم[١٨٣] في مياه الخليج العربي .

وتعتمد عملية الغوص على نوعين من التمويل، الأول يسمى بالخماميس، وهو أن يلتحق الغواصون والسيوب بالسفينة على أساس : المشاركة في الحصيلة النهائية من الحملة ويأخذ صاحب السفينة خمس مجمل محصول الموسم وتوزع الأربعة الأخماس الباقية على الغواصين[١٨٤] .

أما النوع الآخر من التمويل فهو السلفة حيث يأتي الغواص لصاحب السفينة أو الممول فيعطيه الأخير سلفة نقدية يقضي بها حاجاته قبل الموسم على أساس أن يتقاضاها الممول بعد الموسم من حصة الغواص[١٨٥] . وتسمى المنطقة التي ترسو فيها السفينة لتمارس فيها عملية الغوص "هيراً"[١٨٦] .

ويتألف أسطول الغوص عادة من سفن بأنواع مختلفة منها ما يسمى "السنبوق"، ومنها الجلبوت وهما من نوع السفن الكبيرة، ترافقها أيضاً سفن أخرى تستعمل للغرض نفسه وهي البوم وبتيل وبقارة وبغلة[١٨٧]، ويطلق أهل البحرين على أسطول السفن بأنواعها "الخشب"[١٨٨] ويختلف عددها في كل مرة يخرجون فيها للغوص .

إضافة لهذه الأسماء كانت هناك تسميات أخرى تطلق على سفن الغوص في البحرين منها سمحان ومشهور ومساعد ومصارع[١٨٩]، وهي خاصة فقط في البحرين .

وينقسم الغوص على اللؤلؤ إلى ثلاثة أنواع هي[١٩٠] :

١ — **الخانجية** : وهي باكورة الغوص . وتبدأ مع انتهاء فصل الشتاء، وتسمى أيضاً غوص البرد ومدتها تتراوح ما بين يوم إلى أربعين يوماً وغالباً ما تكون السفن في هذا النوع قليلة العدد ويغوصون قرب الساحل بسبب انخفاض درجة الحرارة .

٢ — **الغوص** : وهو الغوص الرئيسي، إذ تذهب جميع السفن الكبيرة والصغيرة إلى المياه العميقة والبعيدة عن الساحل وتستمر أربعة أشهر تقريباً .

٣ – الردة : وهي العودة مرة أخرى إلى الغوص، وتبدأ بعد نهاية موسم الغوص الكبير مباشرة وتتراوح مدتها بين أسبوعين إلى ثلاثة أسابيع ولا تزيد في حدها الأقصى عن الشهر . والسفن التي تذهب إلى الردة قليلة العدد وأكثرها من السفن الصغيرة .

وتتم عملية الغوص بشكل منظم إذ يأخذ كل غواص دوره في هذه العملية، وتتألف وحدة صيد اللؤلؤ من بحارة السفينة، ويطلق على المسئول عنها اسم "النوخذة"[١٩١] أي ربان السفينة .

ويأتي بعده من حيث الأهمية المقدمي وهو نائب النوخذة، ثم البندار أو المحاسب، ثم الغواصون وبعد ذلك السيوب والرضيف والتباب والطباخ والنهام[١٩٢] . وهي الأسماء المحلية لحرفة الغوص في البحرين .

ويختلف عدد البحارة في سفينة الغوص من ثلاثين شخصاً أو أقل ليصل إلى أكثر من مائة شخص، بحسب حجم السفينة ومقدرة النوخذة على جمع أكبر عدد ممكن من البحارة[١٩٣] . ويستخدم الغواص الحصاة[١٩٤]، والحبل الذي يطلق عليه "اليدا"[١٩٥]، في عملية جمع اللؤلؤ[١٩٦] .

ويستخدم الغواص أيضاً الفطام[١٩٧]، والخيط[١٩٨]، ويطلق على الملابس اسم شمشول[١٩٩] . ويتعرض الغواصون إلى أخطار كبيرة أثناء عملية الغوص وبخاصة من الأسماك المؤذية كالجرجور واللخمة والدجاجة[٢٠٠] وغيرها، ولكن بفضل مهارتهم فإنهم كثيراً ما يتخلصون من تلك المخاطر . وبذلك فإن الغواص ينبغي أن يكون كفوأ ذا مقدرة كبيرة على تحمل الصعاب لما يراه من أمور غريبة ومخاطر شتى تحت سطح البحر[٢٠١]، وهكذا فإن المهمة الرئيسية في عملية الغوص تقع على عاتق الغواص، الذي قد يفقد حياته في سبيل ذلك أو قد يصاب ببعض الأمراض[٢٠٢] .

ومن خلال ما تقدم يمكن القول بأن بحارة البحرين كانوا على مقدرة عالية في تحمل الصعاب وإنجاح عملية الغوص، التي أثرت كثيراً في تزايد النشاط الملاحي من خلال ممارستهم لمهنة الغوص واعتمادهم عليها في معيشتهم وبخاصة في مواسم الغوص .

والواقع غالباً ما يبقى الغواصون لمدة أربعة أشهر في عرض البحر وينتهي عملهم بجمع ما حصلوا عليه من اللؤلؤ، الذي يأتي الطواويش[٢٠٣] لشرائه من الغواصين[٢٠٤]، وفي كثير من الأحيان يرفض النواخذة[٢٠٥] بيعه لهم لأنهم يدفعون ثمناً زهيداً ويحتفظون باللؤلؤ حتى عودتهم إلى الساحل، وبيعه على تجار اللؤلؤ المتواجدين هناك، وبعد البيع

يتم تقسيم الحاصل على العمال فيكون على شكل حصص وتكون حصة النوخذة ثلاثة أسهم، والسيب[٢٠٦] سهمان، والرضيف سهم واحد[٢٠٧]، أما بالنسبة إلى التباب فليس له سهم من الأرباح وإنما يحصل على الإكراميات من النوخذة وبعض البحارة ويبيع أيضاً صغار اللؤلؤ الذي يحصل عليه من المحار[٢٠٨]، إضافة إلى هؤلاء كان يذهب مع الغواصين ما يسمى بالنهام، أي مطرب السفينة، والذي يطرب أهل السفينة بما ينشده لهم من الأشعار والأغاني[٢٠٩].

وكان الحاكم يأخذ ضريبة على الغواصين تسمى "إقلاطة الشيخ" أي سهمه أو حصته إذ أنه يأخذ عن كل سفينة غوص كبيرة مائتي روبية وأقل بالنسبة للسفينة الأصغر وهكذا سواء ربحت السفينة أم لم تربح[٢١٠].

وهكذا كان الغوص على اللؤلؤ يعد جزءا من حياة سكان البحرين ونشاطهم الملاحي وذلك من خلال الاهتمام به، واجتذابه الغالبية العظمى من السكان في البحرين حتى أنه أصبح المحور الذي دارت حوله حياة الناس، بل إنه مبعث الازدهار الذي شهدته البحرين على مدى قرون عدة والثراء العريض الذي نعمت به فئة التجار.

وإلى جانب الغوص على اللؤلؤ كانت هناك أنشطة ملاحية أخرى اعتمد عليها السكان في غير مواسم الغوص، ومنها صيد الأسماك والأسفار البحرية وبناء السفن ثم الرعي والصناعة المحلية، إلا أنها كانت جميعاً موارد محدودة، إذ كان السكان يمارسونها كأعمال ثانوية مكملة لعمليات الغوص لأنها لم تكن تدر من الأرباح ما كانت تدره اللآلئ[٢١١].

لقد مارس سكان الخليج العربي حرفة صيد الأسماك ومنهم أهل البحرين منذ عهود بعيدة، وكانت هذه الحرفة مكملة للغوص على اللؤلؤ[٢١٢]. وقد توفرت مجموعة من العوامل لنجاحها، منها توفر الخلجان البحرية، ذات المياه الضحلة التي تصلح لصيد الأسماك، كذلك وجود الأخوار التي تستخدم في عملية الصيد أيضاً، ومصائد الأسماك البحرينية من النوع الساحلي[٢١٣]. ويشتغل معظم الصيادين لحسابهم إلا أن فئة منهم تعمل في مراكب يمتلكها أشخاص أو تجار لا يمارسون الصيد، وفي هذا الحال فإن نصف محصول الصيد يعود إلى صاحب المركب[٢١٤]. ومن أشهر أنواع الصيد الجمبري أو الروبيان[٢١٥]. ويستخدم الصيادون في عملية الصيد مجموعة من الأدوات منها شباك الجرافة الساحلية التي تستخدم في المياه قليلة العمق، ثم الفخاخ السلكية المسماة

"القراقير"، والتي تأتي بالمرتبة الثانية، وهي تستخدم لصيد أسماك القاع وتكون على شكل قبة، غير أن هناك أنواعاً متعددة أخرى من الشباك مثل : "اليل" وهو ذو فتحات صغيرة جداً ويستخدم عادة في اصطياد سمك العومة . و"الوشام" وهو ذو فتحات كبيرة جداً، و"الياروف" و"القالجة" وجميع هذه الشباك تصنع من خيوط النايلون(٢١٦) .

أما بالنسبة للقوارب والمراكب المستخدمة في عملية صيد الأسماك فإنها عادة تصنع محلياً، إذ اشتهرت البحرين ببناء أجود وأكبر أنواع مراكب الصيد، وساعد على قيام هذه الصناعة حصول البحرين على الأخشاب الهندية وبقية المواد الأخرى اللازمة لتلك الصناعة(٢١٧) . ويطلق على تلك السفن أسماء متعددة منها الهوري والشاحوف والشاشة وهذه الأنواع تعتبر أرخص أنواع القوارب كونها صغيرة الحجم(٢١٨)، وأن قسماً كبيراً من السفن القطرية العاملة في الغوص وصيد الأسماك أو النقل البحري يتم تصنيعها في البحرين(٢١٩) . وتقوم قرى الصيادين في المرافئ الصغيرة التي تخرج منها قوارب الصيد، إذ أن أصحاب هذه القرى هم الذين يقومون بصناعة سفن الصيد(٢٢٠) .

وهكذا نلاحظ بأن لهاتين الحرفتين أثراً كبيراً على النشاط الملاحي من خلال ارتباطهما بصناعة السفن الكبيرة والقوارب الصغيرة التي تستخدم في صيد الأسماك أو من خلال جلب السفن الكبيرة المصنوعة في الهند والتي استخدمت في عملية الغوص وهذا ما أدى إلى ازدياد النشاط الملاحي، وتنامي قدرات أهل البحرين على الإبحار وتوجههم إلى المتاجرة مع المناطق الأخرى سواء المحلية في الخليج العربي أم خارجه .

ولعل وصف الريحاني لأهل البحرين ما يدل على ذلك إذ يقول : "إن أهل البحرين مثل أهل الكويت، بل مثل كل العرب الساكنين على سواحل الخليج لا يزالون من عشاق اليم وسادة للشراع بل هم اليوم الملاحون السائدون في الخليج العربي وفي البحر الأحمر"(٢٢١) . وهو أمر يدل على اهتمام سكان البحرين بالبحر والنشاط الملاحي وحركة السفن والإبحار .

التجارة وأثرها في النشاط الملاحي(٢٢٢)

لعبت التجارة دوراً مهماً في ازدهار النشاط الملاحي في البحرين في المدة موضوع البحث إذ نمت التجارة نمواً كبيراً نتيجة لاستقرار الأوضاع السياسية في البحرين منذ

دخول آل خليفة إليها كما أشرنا، وعدم تعرضها لأي خطر خارجي خلال مدة حكم الشيخ أحمد[٢٢٣] . ومما زاد في انتعاش التجارة أيضاً ما كان يتميز به التجار البحرينيون من خبرة ومهارة، جعلتهم من التجار المميزين في الخليج العربي ومما يدل على ذلك ما أورده الدباغ في قوله : "والتاجر البحريني واسع الصدر، صادق القول، لا يقبل المساومة، ولا يرضى جدالاً، وهو مهذب غاية التهذيب يستقبلك هاشاً مؤنساً، ويدور بك في متجره تتفرج على موجوداته، وتسأله شتى الأسئلة فيجيبك راضياً مسروراً، ولا ضير عليك إذا غادرت المتجر دون أن تشتري شيئاً"[٢٢٤] . فضلاً عن ذلك أن التجار البحرينيين قد تعلموا لغات ولهجات الشعوب التي تاجروا معها بسبب احتكاكهم بها[٢٢٥] .

ومما يجدر ملاحظته أن السلعة الرئيسية التي كانت تصدرها البحرين هي اللؤلؤ بالرغم من وجود سلع أخرى[٢٢٦]، إلا أن كميات اللؤلؤ كانت كبيرة جداً واستخدمت في التجارة الداخلية بين المدن والموانئ الخليجية، وفي التجارة الخارجية مع الدول المجاورة، واقتصرت هذه التجارة على فئتين من التجار الذين يفوزون بحصة كبيرة من المتاجرة، فيشترون اللؤلؤ نقداً ثم يرسلونه بالسفن إلى الهند لبيعه هناك بأثمان غالية، والفئة الأخرى وهم صغار التجار "الطواويش" فيشترونه من البحارة الذين يستخرجونه[٢٢٧] . وأن لؤلؤ البحرين الذي يرسل إلى بومباي يصنف إلى فئات ودرجات مختلفة لتصديره إلى الأسواق الأوروبية[٢٢٨] . وكان القسم الأكبر من اللؤلؤ ينقل من البحرين إلى سورات مباشرة، ومن البحرين إلى ميناء مخا، إذ كانت السفن البحرينية وغيرها من السفن تقوم بنقله عن طريق مسقط، كما يصل اللؤلؤ البحريني إلى بوشهر وسندي وسورات وكلكتا، ومن الموانئ الأخيرة يوزع في قندهار وملتان وبلاد التتار والهند والصين . وكانت الكميات الباقية ترسل إلى أسواق الخليج، وبعضها يجد طريقه إلى أسواق أوروبا عبر بلدان الشرق الأدنى[٢٢٩] . وهو أمر يدل على دخول السفن البحرينية إلى تلك المناطق في خطوط ملاحية واضحة يعرفها الملاحون .

وتقدر صادرات البحرين من اللؤلؤ بحوالي ٩٠٪ من مجمل الصادرات الأخرى[٢٣٠] . وقد تصل حصيلة اللؤلؤ البحريني إلى نصف مليون روبية هندية في كل عام[٢٣١] .

كما صدر اللؤلؤ البحريني إلى بغداد عن طريق البصرة، وكان سوق بغداد يفضل اللآلئ البيضاء، أما اللآلئ الصفراء فكانت لها سوق رائجة في الهند وتركيا، واللآلئ الرديئة تباع في فارس[٢٣٢] لرخص أسعارها .

وكان الشيخ أحمد بن محمد آل خليفة، يملك أسطولاً حربياً يقوم بدوريات بحرية في شواطئ الغوص على اللؤلؤ، لحسم المنازعات التي قد تحدث خلال الموسم، وكذلك لحماية سفن الغوص من المخاطر الخارجية، لأن البحرين كانت دائماً موضع منازعات بين القوات الأجنبية المتعددة بسبب ثروتها من اللؤلؤ[٢٣٣]، فعلى سبيل المثال كان عدد السفن التي تبحر في موسم الغوص على اللؤلؤ في الخليج العربي خلال تلك المدة ما يقارب من ٣٢٣٠ سفينة، منها ٢٤٣٠ سفينة تابعة لشيخ البحرين، بالإضافة إلى خمس سفن حربية مجهزة بالأسلحة والمعدات لتأمين عملية الغوص[٢٣٤] . ولم يقتصر الأمر على ذلك، إذ أنه باستطاعة شيخ البحرين أن يجهز ما بين ١٥ — ٢٠ سفينة حربية أخرى إذا اقتضى الأمر[٢٣٥] .

أضف إلى ذلك أن البحرين كانت تنتج مواد وسلعاً أخرى غير اللؤلؤ منها الأسماك والروبيان كما تشتهر بإنتاج التمر ولعل أجود أنواع رطبها هو ما يسمى بالخلاص إذ يوجد فيها ما يقارب من ٨٠٠ نوع من التمور، كان يضرب بها المثل في الرطب والتمر فيقال : "كناقل التمر إلى هجر" ويوجد في البحرين أشجار الرمان والموز والتين والنبق وتنتج أيضاً التوت والبرسيم وغيرها من المزروعات، وأن قسماً كبيراً من هذه المواد يصدر إلى خارج البحرين عن طريق السفن، وبعضها يستخدم للاستهلاك المحلي[٢٣٦] .

ويتضح مما تقدم أنه بفضل تواجد هذه السلع في البحرين ووجود الأعداد الكبيرة من السفن ومهارة أهل البحرين في الملاحة البحرية كل ذلك شجع على قيام علاقات تجارية أسهمت بشكل كبير في ازدهار النشاط الملاحي[٢٣٧] . وامتداد علاقات البحرين مع مشيخات الخليج العربي الأخرى .

العلاقات التجارية وأثرها في النشاط الملاحي

أولاً : علاقات البحرين التجارية مع موانئ الخليج العربي

١ – الكويت :

لم يكن دخول آل خليفة البحرين عام ١٧٨٣م قد أثر في الإقلال من الأهمية التجارية للكويت، وذلك لأن الأسرة الحاكمة فيها وهي أسرة آل صباح كانت تتعرض لمنافسة شديدة من بني كعب وغيرهم من العرب الساكنين بالساحل الشرقي للخليج العربي، وهذا ما جعل عتوب الكويت حريصين على أن يمتلكوا أسطولاً بحرياً وهو ما تحقق خلال مدة وجيزة، إضافة إلى ذلك أن تأسيس الوكالة التجارية الإنجليزية في عام ١٧٩٣م، أعطى الكويت منزلة عادلت منزلة البحرين(٢٣٨) .

ومن جهة أخرى ارتبطت الكويت بعلاقات تجارية مع مشيخات الخليج العربي والمناطق الأخرى، وعليه فإن البحرين كانت ضمن المشيخات التي قامت بينها وبين الكويت تجارة رائجة ومما ساعد على ذلك أن كلا البلدين كان يحكمه حكام عرب من العتوب، وهما أحمد بن محمد حاكم البحرين وعبد الله بن صباح حاكم الكويت، فضلاً عن ذلك فإنهم امتلكوا الجالبوتات والبغلات والقوارب الكبيرة التي استخدمت في التجارة(٢٣٩) . كما امتلكت البحرين نحو عشرين مركباً كبيراً من نوع البغلة والبتيل تراوحت حمو لة المركب الواحد منها ما بين ١٤٠ – ٣٥٠ طناً، وامتلكت أيضا نحو مائة مركب آخر عملت في التجارة المحلية في الخليج العربي تراوحت حمولتها ما بين ٤٠ – ١٢٠ طناً، وكانت المنامة هي الميناء الرئيسي في البحرين وفيها تفرغ السلع والبضائع المستوردة من بقية المناطق(٢٤٠) .

أما بالنسبة للكويت فإنها امتلكت خمسة عشر مركباً كبيراً من نوع البغلات والداوات تراوحت حمولتها بين ٢٠٠ ٤٠٠ طن، كما امتلكت عشرين مركباً آخر من نوع بتيل وبغلة تراوحت حمولتها بين ٥٠ – ١٢٠ طناً، وكان لديهم ما يقارب ١٥٠ مركباً تجارياً وقد عملت هذه السفن في مياه الخليج العربي والبحر الأحمر وسواحل السند وبومباي(٢٤١) . وكانت تقوم برحلات لتلك الأماكن .

ومن ناحية أخرى كانت الكويت تستورد من البحرين الأقمشة والتمور والسمك[٢٤٢]. إضافة إلى ذلك فإن البحرين شكلت نقطة مرور (ترانزيت) مرت عن طريقها تجارة الكويت ومرت من خلالها أيضاً السلع المستوردة من بلاد الهند والصين مثل الزراقي السورتية (الأقمشة) والبياضات والمخللات البنغالية والبن والسكر والفلفل وسائر التوابل والحديد والرصاص، كما جلبت السفن الكويتية البضائع التجارية عبر البحرين بكميات كبيرة مثل الأقمشة السورتية وأغزال القطن ومصبغات كانبي والبن والفلفل الذي كان يصدر منها إلى بغداد وحلب[٢٤٣]. وكان الكثير من هذه البضائع ينقل على متن السفن البحرينية، وبعض السفن التابعة لموانئ الخليج العربي الأخرى.

٢- البصرة :

كانت للبحرين علاقات تجارية وملاحية واسعة مع البصرة على الرغم من التدهور الذي أصاب الأخيرة نتيجة الطاعون الذي اكتسحها في عام ١٧٧٣م، وكذلك الحصار الفارسي لها في عام ١٧٧٦م[٢٤٤]، وانتقال الوكالة التجارية البريطانية منها مؤقتاً، كل ذلك أدى إلى تقليل الحركة التجارية[٢٤٥]. إلا أن انتهاء الحصار الفارسي للبصرة وعودة الوكالة البريطانية بشكل مقيمية أعطاها نوعاً من الحركة التجارية. وأصبحت البصرة تصدر مختلف أنواع الحبوب إلى موانئ الخليج العربي والهند وقد استوردت البحرين منها الأرز والدخن والذرة والحنطة والشعير[٢٤٦]. وبالرغم من أن البحرين كانت تزرع فيها الحبوب المذكورة إلا أنها لم تكن تكفي لاستهلاكهم المحلي[٢٤٧].

كما كانت السفن البحرينية تنقل التبغ من العراق عن طريق البصرة، إذ أنه كان ينتج في ديالي، وكان أفضل بكثير من التبغ الذي يأتي من الهند[٢٤٨]. ومن جانب آخر سكنت البصرة في أواخر القرن الثامن عشر طائفة من التجار الحلبيين الذين تاجروا مع الهند، إذ كانوا يجلبون النحاس واللؤلؤ من البحرين ويتاجرون به وقسم كبير منه يبيعونه في حلب واستنبول[٢٤٩]، كما كانت السلع الواردة إلى البصرة تمر عن طريق البحرين، ومنها الأقمشة مثل الشيت والشالات، وكذلك بعض المعادن مثل القصدير والحديد والرصاص إضافة إلى البن الذي كان يستهلك القسم الأكبر منه في البحرين بينما ينقل القسم الآخر عن طريق البحر إلى البصرة ليباع هناك[٢٥٠].

فضلاً عن ذلك كان أهل البحرين يجلبون بسفنهم من البصرة بعض الأقمشة التي كانوا يستخدمونها في صناعة الأشرعة[٢٥١] . واستوردت البصرة كذلك كميات كبيرة من اللآلئ البيضاء من البحرين وإرسالها من هناك إلى بغداد حيث كان لها رواج كبير فيها عن طريق إرسالها بالسفن أيضاً[٢٥٢] .

إضافة إلى ذلك اشتهرت البحرين بصناعة العباءات والمدات (نوع من الحصر) وكان يصدر منها كميات كبيرة إلى العراق، لفرشها على أرضيات المساجد[٢٥٣] .

٣ - مسقط :

تمكن العمانيون من توكيد وجودهم في المنطقة من خلال الدور الذي لعبوه في مجال الملاحة، والتركيز على بناء أسطول قوي ليحقق لهم هدف الحماية الذاتية، ومقاومة الأطماع الأجنبية في الخليج العربي، وبظهور أسرة آل بو سعيد على المسرح السياسي في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، تطور ذلك الدور وتصاعد حتى ظهرت في عمان صفات الإمبراطورية الملاحية التجارية[٢٥٤] . وكان تولي أحمد بن سعيد الحكم في عام ١٧٤٩م سبباً في استقرار البلاد والدفاع عنها، وكان عهده إيذاناً بتأسيس سلالة عرفت بسلالة (البو سعيد)، وبعد وفاته تولى الحكم من بعده ابنه سعيد (١٧٨٣ — ١٧٨٤م) الذي تميز عهده بالجمود والعجز في إدارة شئون الدولة[٢٥٥] . ولذلك لم تكن مدة حكمه طويلة ولم يكن فيها نشاط ملاحي وتجاري واضح، وبعد انتقال السلطة إلى ولده حمد بن سعيد (١٧٨٤ — ١٧٩٢م) فإنه اتخذ ترتيبات عدة لجلب التجارة إلى مسقط وجعلها مركزاً تجارياً وبحرياً مهماً لمنطقة الخليج العربي ونقطة لمراقبة السلع التجارية فيها حتى أصبح لميناء مسقط دور أساسي في ميدان التجارة والملاحة الدولية[٢٥٦] .

كما أنه ركز اهتمامه على التبادل التجاري بينه وبين الدول الأخرى، كذلك شجع التجار الأجانب على المتاجرة مع بلاده عن طريق تنظيم الرسوم الجمركية على البضائع، إذ فرض حمد بن سعيد رسوماً ثابتة بواقع ٦,٥٪ من قيمة البضائع[٢٥٧] .

ونتيجة لنشاطها التجاري الكبير وعلاقاتها التجارية الواسعة[٢٥٨]، فقد ارتبطت عمان بعلاقات تجارية واسعة مع البحرين، وبخاصة أن الأخيرة كانت تتوسط أقطار

الخليج العربي، وتقع على الساحل الغربي للخليج، الأمر الذي جعلها مركزاً للسفن التجارية المارة عبر تلك المياه[٢٥٩] .

وتعد البحرين أيضاً المركز الرئيسي لتجارة اللؤلؤ كما أشرنا، وكانت تصدره إلى عمان وتستورد بالمقابل الحلويات والفاكهة[٢٦٠] . وكان القسم الأكبر من اللؤلؤ يصدر من سورات عن طريق مسقط[٢٦١] . إضافة إلى ذلك تميزت عمان بامتلاكها لأسطول القهوة الذي يرسله السلطان العماني سنوياً إلى مناطق الخليج العربي[٢٦٢] . وكانت البحرين تستورد كميات كبيرة من البن اليمني الذي يتم استهلاك قسم كبير منه في البحرين، ويصدر القسم الآخر إلى البصرة، واستوردت البحرين كميات من السكر والفلفل والتوابل البنغالية والزيت والسمن والأرز والحديد والرصاص والقصدير[٢٦٣] . وهو مشحون على متن سفن عمانية وبحرينية .

وقد تمتعت عمان بازدهار تجاري كبير، وكانت معظم تجارتها مع الهند بل إن أكثر من نصف الواردات الهندية للبحرين والبصرة وبوشهر تأتي عبر مسقط، وفي العقد الأخير من القرن الثامن عشر، كانت حصة تجارة الخليج العربي المارة من مسقط تعادل خمسة أثمان الحجم الكلي لتجارة الخليج العربي[٢٦٤] . كما أن الموانئ العمانية كمسقط ومطرح وصحار كانت تشتغل بتجارة المرور (الترانزيت) حيث تفرض ضرائب على جميع السلع والبضائع التي تمر بها، وأن هذه الضرائب لم تكن منظمة ، فبينما كان الأوروبيون يدفعون ٥٪ من قيمة بضائعهم، فإن العرب كانوا يدفعون ٦,٥٪ والهنود ٩٪ كما أن حكام مسقط يحصلون على ٦٪ من قيمة إنتاج التمر بوصفه أهم محصولات عمان وصادراتها[٢٦٥]، وكانت هذه الضريبة سببا في غزو سلطان بن أحمد للبحرين واحتلالها في عام ١٧٩٩م نتيجة لامتناع تجارها[٢٦٦] عن دفع الضريبة .

ومن الجدير بالذكر أن تجار مسقط كانوا يزودون معظم مناطق الخليج العربي وحتى جزء من الشرق الأدنى بالسكر الذي يجلبونه من باتافيا، والأهم من ذلك يرد إلى مسقط حوالي نصف مجمل التجارة بين الهند والخليج العربي، ومن هناك توزع إلى أماكنها المقصودة، الأمر الذي جعل أهالي مسقط تتجمع لديهم ثروة كبيرة عند نهاية القرن الثامن عشر ومن أجل حماية هذه الثروة قاموا ببناء قوة بحرية، وقد استفاد سكان البحرين كثيراً من هذه التجارة التي حفزتهم على النهوض والمتاجرة وبناء أسطول لهم قام بنقل السلع والبضائع والمتاجرة في الخليج العربي وإلى أبعد من ذلك مع الهند[٢٦٧] .

٤ – مناطق الخليج العربي الأخرى

نتيجة لموقعها المتميز فإن البحرين ارتبطت أيضاً بعلاقات تجارية واسعة مع بعض المناطق، إذ أن التجارة البحرينية كانت تذهب إلى الإحساء من خلال إقامة الكثيرين من تجار البحرين فيها وسيطرتهم على تجارتها، بل إنها كانت في أيديهم، وكان التمر هو أغلب صادراتهم من المنتجات الزراعية والرعوية، ويعتبر أفضل أنواع التمور في الخليج العربي[٢٦٨].

كما جلب تجار البحرين من القطيف والإحساء الدهون الحيوانية والجلود المدبوغة وبعض الأغنام[٢٦٩]. ووصلت إلى الإحساء سلع أخرى من البحرين منها العباءات المنسوجة من الصوف والحرير، وكذلك الجمال التي كان يرسل الآلاف منها إلى سوريا والعراق وكذلك اللؤلؤ المستخرج من أحواض قريبة من رأس تنورة فإنه يصدر للخارج، كما استورد أهل الإحساء البن والأطعمة والمنسوجات والمعادن، وكانت كل هذه المواد باستثناء البن يأتي بها التجار البحرينيون من الهند[٢٧٠].

فضلاً عن ذلك فإن البحرين صدرت القماش المصنوع محلياً إلى الإحساء والقطيف، وكان ميناء المنامة هو الميناء الرئيسي لواحات الإحساء والقطيف ولجزء من نجد أيضاً عن طريق الإحساء، ولعل من أهم البضائع المرسلة إلى الجزيرة العربية هي الأرز والحنطة والشعير والمعادن والبن والسكر والتوابل[٢٧١]. كذلك كان ينزل في البحرين حمولة حوالي خمسين حصاناً في كل عام في طريقها من نجد والإحساء وتذهب على متن السفن البحرينية إلى الهند[٢٧٢].

وهكذا أصبحت هناك تجارة ترانزيت بحرية تمر عبر البحرين في طريقها إلى الأحساء، علماً أن السعوديين وبني خالد استوردوا سنوياً من سورات عن طريق البحرين زراقي سورات وغيرها من الأقمشة السورتية ومصبغات كامبي وأقمشة كوجرات والشيت والشالات والخيزران وغيرها مما هو أقل منها أهمية، كذلك استوردوا التمر والحنطة،

وكان قسم كبير من هذه المواد يبقى للاستعمال المحلي في الإحساء، وينقل الباقي إلى الدرعية مقر الأمير السعودي وإلى الحسا مقر شيخ بني خالد[٢٧٣] .

أما بالنسبة لعلاقة البحرين بقطر فبعد دخول آل خليفة البحرين وسيطرتهم عليها فإنهم أبقوا مقر حكمهم في الزبارة[٢٧٤] . التي اشتهرت بتجارتها الكبيرة نتيجة لحرية التجارة التي اتبعها آل خليفة فيها[٢٧٥] . وانتقال التجار إليها، كل ذلك أدى إلى ازدهارها، وسيطرة آل خليفة على تجارتها وقاموا بنقل اللؤلؤ منها إلى سورات مباشرة، وأخذوا أيضاً يستوردون منها المؤن الضرورية من المواد الهندية والأوروبية دون أن يدفعوا الضرائب التي كانت تفرض عليهم حينما تنقل عن طريق مسقط[٢٧٦] .

وبذلك فقد كانت بين البحرين والزبارة وحدة سياسية وتجارية بوصفهما يخضعان لحاكم واحد وكان هناك ارتباط وثيق بين تجار البحرين وبين تجار الزبارة لأن معظم تجارها هم من أهل البحرين وهذا ما ساعد على قيام نشاط ملاحي مشترك بين البلدين .

أما بالنسبة للعلاقات مع بلاد فارس، فكانت هناك تجارة رائجة بين الجانبين، إذ جلبت السفن البحرينية من بلاد فارس القمح والشعير والدهون الحيوانية والسجاد وماء الورد وخشب الوقود وكذلك اللوز والزبيب والحناء والعشب والجوز والماشية الحية كالأغنام والماعز، وكانت هذه السفن تذهب إلى بلاد فارس وهي تأخذ الحمير ليتم بيعها هناك[٢٧٧] . كذلك استوردت البحرين من فارس الفاكهة المجففة[٢٧٨] . إلا أن هذه العلاقات التجارية الكبيرة بين الجانبين لم تستمر طويلاً، فبعد أن سيطر آل خليفة على البحرين وعملوا على ازدهارها الاقتصادي والتجاري[٢٧٩] ونتيجة لمحاولات فارس فرض سيطرتها على البحرين نشأ بينهما تنافس كبير أدى إلى تحطم تلك الصلات التجارية القائمة بينهما[٢٨٠] .

ومن جانب آخر امتلكت البحرين أكثر من مائة سفينة استخدمتها في نقل التجارة تسير للقطيف والعقير وقطر وساحل عمان والساحل الشرقي للخليج العربي وبعضها يذهب إلى الهند وشبه جزيرة العرب الجنوبية وزنجبار، علماً أن البحرين كانت تستورد من شرق أفريقيا خشب السقوف وجوز الهند[٢٨١] وتستخدمه في بناء السفن .

ثانياً : علاقات البحرين التجارية مع الدول الأجنبية

١ – الهند

سيطر العرب على أوجه النشاطات التجارية في الخليج العربي خلال القرن الثامن عشر، فكانوا يديرون حركة الملاحة التجارية بين موانئ الخليج العربي المختلفة من جهة، وبينها وبين الهند وشرق أفريقيا من جهة أخرى[٢٨٢] .

وهكذا بعد أن استعرض البحث علاقات البحرين مع موانئ الخليج العربي، ينبغي هنا التطرق إلى علاقاتها مع الهند والصين بقدر ما يوضح نشاط البحرين الملاحي، فالمعروف أن البحرين أقامت علاقات تجارية مع الهند منذ أقدم الأزمنة، فكانت السفن البحرينية والهندية تمخر عباب البحار لنقل مختلف السلع والبضائع بين الطرفين، إذ نشطت تجارة بيع الأنسجة الصوفية المصنوعة في بريطانيا والمشهورة بمتانتها وجودتها، بحيث وجدت لها أسواقاً رائجة في شمال بلاد فارس وبلاد الشام والأناضول وشمال العراق، تلك البلاد التي تميزت بمناخ شتوي منخفض الحرارة، علماً أن تلك الأنسجة كانت تمر عن طريق البحرين[٢٨٣]، غير أنه بعد دخول آل خليفة البحرين تمكن حكامها من جلب سفن ذات أحجام كبيرة في الثمانينات من القرن الثامن عشر، وهذا ما شجعهم على الإبحار إلى مناطق بعيدة، فأخذوا يبحرون إلى موانئ الهند لاستيراد المواد الضرورية لحياة سكانهم وتصدير بعضها إلى البصرة لتجد طريقها إلى المناطق الأخرى[٢٨٤]، ولعل أهم الواردات التي تأتي من الهند السلع القطنية والأرز والسكر والبهارات والمعادن وألواح الصنوبر والأدوية[٢٨٥] . كذلك استورد البحرينيون من الهند الأخشاب والمسامير والفتيل والأصباغ، وقد استخدمها أهل البحرين في صناعة السفن والقوارب[٢٨٦] .

كما صدَّرت البحرين إلى الهند اللؤلؤ، الذي تميزت به عن باقي أنواع اللؤلؤ، وكان التجار الهنود يأتون إلى البحرين لشرائه، وفي بعض الحالات قام بعض التجار البحرينيين بنقل كميات كبيرة من اللؤلؤ إلى الهند وبيعه هناك[٢٨٧] . ومن الهند كان يأخذ طريقه إلى أوروبا[٢٨٨] . وترددت السفن البحرينية على الموانئ الهندية وجلبت معها الحبال الليفية والخردوات والشاي في الوقت ذاته الذي حملت فيه هذه السفن التمر وهي ذاهبة إلى كراتشي وموانئ كاتياوارا واللؤلؤ إلى بومباي[٢٨٩] .

ومن المظاهر المدهشة للتجارة بين الهند والخليج العربي أن قيمة الصادرات الهندية إلى المنطقة فاقت قيمة الواردات منها، ولم تصل سوى كميات قليلة من البضائع إلى الهند من الخليج العربي، ولم يشذ من ذلك سوى التمور ولآلئ البحرين(٢٩٠).

ولتقدير حجم التجارة البحرينية في الربع الأخير من القرن الثامن عشر ما أورده مالكولم، إذ أكد بأن حجم التجارة الهندية مع بلاد العرب بلغ أربعة ملايين روبية منها ثلاثة ملايين كانت من نصيب البصرة، ومليون من نصيب البحرين والمنطقة المجاورة لها، ويقول مالكولم : "إن الصادرات الهندية العظيمة كانت تقابلها صادرات من تمور البصرة، وهي منتجات محلية، ولآلئ وهذه كانت تأتي من البحرين والموانئ المجاورة لها نظير الحنطة وأشرطة الذهب والفضة الأوروبية التي كانت تحملها القوافل القادمة من حلب والنحاس من مناجم ديار بكر. ومعظم هذه الصادرات كانت تمر بمسقط في طريقها للهند"(٢٩١).

وجاء في تقرير آخر، بأن البحرين استوردت من سورات الأقمشة السورتية وأقمشة كوجرات والشيت والشالات والخيزران، ورغبة من ملاك السفن البحرينية في أن يجعلوا صلاتهم بسورات أبلغ في الربح والكسب، فإنهم عقدوا صفقات لقسم من مواد تجارية متفرقة واهتموا بمشروعات صغيرة تناولت الأغزال القطنية والشالات، كما أن تجار البحرين استوردوا الزرنيخ وخرزاً بمختلف الأنواع والصبغ القرمزي والزعفران من البصرة وصدروها إلى سورات(٢٩٢). وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حجم التجارة التي كانت تنقل من البحرين إلى الهند بالسفن علماً بأن بعض الملاحين الهنود كانوا يعملون في السفن البحرينية وأحياناً بصورة مشتركة.

٢ — الصين

لقد نبغ أهل البحرين منذ القدم في الملاحة ونقل التجارة، وذلك بحكم موقعها المتميز في الخليج العربي، وكونها المحطة الأولى لاستقبال السفن التي تمخر عبابه قادمة من الهند والصين أو مقلعة إليهما، واستقبلت البحرين بضائع الصين والهند وحاصلات تجارة الشرق الغالية الثمن والمرتفعة القيمة من توابل وعطور وبخور وغيرها من السلع

الأخرى[٢٩٣] . واستطاع البحارة والتجار العرب كسب ثقة الحكام في سواحل الهند وسيلان والصين بسبب حسن سلوكهم وأسلوبهم القويم في المعاملات التجارية[٢٩٤] .

وأما المراكب التي تنقل البضائع بين الصين وموانئ الخليج العربي فمنها ما هو تابع للتجار الصينيين وبعضها الآخر للتجار العرب، وكانت السلع المتبادلة بينهما الذهب والفضة والمسكوكات والرصاص والمنتوجات والعطور وقماش القطن[٢٩٥] . وكان الذهب من أثمن المواد التي هرع لجلبها تجار الخليج العربي من هناك[٢٩٦] . كما أن السفن التجارية المحملة بالبضائع من الهند والصين والمتجهة إلى البصرة كانت تمر في طريقها عبر البحرين[٢٩٧] .

فضلاً عن ذلك فإن الصادرات إلى الشرق الأقصى كانت تضم منسوجات غالية من التيل والقطن والصوف ومن السجاد الصغير، والمصنوعات المعدنية والفضية[٢٩٨] . وكانت السفن القادمة من الصين تحوي منسوجات الحرير والكافور والمسك[٢٩٩] . وكانت كانتون في الصين ترسل سفنها الشراعية التجارية إلى موانئ الخليج العربي أيضاً وبخاصة البحرين وعمان والبصرة . واكتسبت تجارة البخور أهمية كبيرة، إذ كانت تستورد الصين من تلك الموانئ ما قيمته ٦٧٣٣٤٨ جنيه استرليني، ولكثرة ما يصدر من هذه المادة سمي الطريق البحري من الصين إلى المناطق العربية بـ (طريق البخور) وهو يماثل الطريق البري للمواصلات البرية بين الغرب والشرق[٣٠٠] .

ويباع عادة أحسن أنواع اللؤلؤ في أسواق الصين حيث تهافتت عليه نساء الطبقات الأرستقراطية اللاتي يتزين به، ويكثرن من الحصول عليه كثروة ترافقهن بعد مماتهن إلى القبر[٣٠١] . ولقد استفادت السفن من حركة الرياح الموسمية في التنقل بين سواحل البحر العربي والسواحل الغربية لشبه القارة الهندية، فكانت تقصد الهند فيما بين كانون الأول (ديسمبر) وآذار (مارس) وتعود فيما بين نيسان (أبريل) وأيلول (سبتمبر)[٣٠٢] من كل عام مستفيدة من حركة تلك الرياح .

وعليه فإن البحرين وخلال الأعوام الأولى لدخول آل خليفة أصبحت من الثروة والسيادة التجارية بشكل نافس العمانيين[٣٠٣] . وكان مقدراً لها أن تنتزع من مسقط أهميتها كمركز تجاري في الخليج العربي[٣٠٤] ، إلا أن هناك أسباباً حالت دون ذلك، أهمها الأخطار المباشرة التي استمرت حتى مطلع القرن التاسع عشر، ثم الاضطرابات الداخلية[٣٠٥] التي بدأت مع العقد الأخير من النصف الأول من ذلك القرن[٣٠٦] .

ويتضح مما سبق أن البحرين كانت تمارس نوعين من التجارة، أحدهما قيام تجار البحرين بالمتاجرة مع المناطق المختلفة، وثانيهما تجارة الترانزيت التي تمر عبر البحرين وهذا ما كان له تأثير كبير على النشاط الملاحي البحريني، إذ قام البحرينيون بشراء السفن الكبيرة للمتاجرة بها وجلب الأخشاب لصنع السفن والقوارب الصغيرة لأغراض الغوص على اللؤلؤ، وأبدعوا في ذلك كثيراً وهذا مما يدل على براعتهم وصبرهم على تحمل المصاعب في خوض غمار البحر وأهواله، لدرجة وصلت سفنهم إلى الهند والصين، وغيرها من مناطق العالم الأخرى . وقد لعبت اللآلئ – السلعة الرئيسية التي كانت تصدرها البحرين — دوراً واضحاً في تنمية العلاقات التجارية وتقوية النشاط الملاحي .

عماد جاسم حسن الموسوي

الهوامش

١ – حسين فوزي النجار، السياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط، الجزء الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣م، ص٦٣٩ .

٢ – الأرخبيل هو مجموعة من الجزر وأجزاء الجزر وغيرها من التكوينات الطبيعية المترابطة التي تأخذ مع المياه المحيطة بها شكل وحدة جغرافية واقتصادية وسياسية للانضمام فيها، وللمزيد من التفاصيل عنها أنظر : جابر إبراهيم الراوي، القانون الدولي للبحار وفقاً لاتفاقية قانون البحار العام مع دراسة عن الخليج العربي، ص١١٣ .

٣ – سالم سعدون المبادر، الخليج العربي، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨١م، ص١٣٨ .

٤ – جواد كاظم خطاب الشويلي، جريدة الخليج العربي البصرية، ١٩٦٥ – ١٩٦٧م وقضايا البحرين وعمان والجنوب اليمني، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة البصرة، ١٩٩٩م، وهي غير منشورة، ص٤٦ .

٥ – سالم سعدون المبادر،جزر الخليج العربي، دراسة في الجغرافيا الإقليمية، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨١م، ص١٥١ .

٦ – جان جاك بيربي، جزيرة العرب، تعريب نجدة هاجر وسعيد الفز، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، ص٤٢ . وإدارة المسح في البحرين، رقم م ط ٢١٨ – ٢/٢٠٠٥/٥٥ بتاريخ ٢٦ يونيو ٢٠٠٥م . وحوار في الوثائق التاريخية، الدكتور علي أباحسين، البحرين ١٩٨٧م، ص١٦٧ .

٧ – أنظر خارطة رقم [١] .

٨ – سالم سعدون المبادر، الخليج العربي، ص١٣٩ . وإدارة المسح بخطابها المرقم ٢١٨ – ٢/٢٠٠٥ م/٥٥ وتاريخ ٢٦ يونيو ٢٠٠٥م .

٩ – حكومة البحرين، المجموعة الإحصائية لسنة ١٩٦٧م، ص٧ .

١٠ – عبد المجيد مصطفى وعثمان فيض الله، دراسات عن الكويت والخليج العربي، مصر، ١٩٦٦ م، ص٦٥ .

١١ – 11 - Encyclopaedia of Islam, vol. I, London, P.941.

12 - Rupert Hay, The Gulf States, The Middle East in Statute, Washington, D.C. 1959. — ١٢

١٣ — عمر رضا كحالة، جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية، دمشق، ١٩٤٤م، ص٤٦٣ . كذلك ينظر : المبادر، الخليج العربي، ص١٣٨ — ١٦١ .

١٤ — إن أول اسم عرفت به البحرين هو ندوكي الذي ظهر في الكتابات والنقوش الأكدية والسومرية التي عثر عليها في العراق . أنظر يوسف مروة، عروبة البحرين في التاريخ، مجلة العلوم، بيروت، العدد الأول، ١٩٥٩م، ص٧٣ .

١٥ — وقبل ذلك أطلق عليها في العهدين البابلي والأشوري اسم دلمون، أنظر : عبد الله بن خالد آل خليفة وعبد الملك يوسف الحمالر، البحرين عبر التاريخ، الجزء الأول، ١٩٧٠م، البحرين، ص٢٠ .

١٦ — سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٢م، ص١٨ — ٢٠ .

١٧ — مجيد خدوري، البحرين وإيران، منشورات وترجمة صوت البحرين، العدد الأول، بيروت، ١٩٥٣م، ص٨ .

١٨ — أوال : اسم صنم كانت تعبده قبائل بكر بن وائل مع قوم بني عبد القيس، أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، الجزء الأول، بيروت، ١٩٥٥م، ص٣٤٧ .

١٩ - جان جاك بيربي، الخليج العربي، تعريب نجدة هاجر وسعيد الغز، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٥٩، ص١٦٩ .

٢٠ — عبد الله وليمسن، جولة في الخليج العربي، ترجمة سليم طه التكريتي، دار منشورات البصري، بغداد، ١٩٦٢م، ص١٨ .

٢١ — أمين الريحاني، ملوك العرب، رحلة في البلاد العربية، الجزء الثاني، بيروت، ١٩٥١م، ص٢٢٣ .

٢٢ — فائق حمدي طهبوب، تاريخ البحرين السياسي ١٧٨٣ — ١٨٧٠م، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٣م، ص٢٣ .

٢٣ — إبراهيم خلف العبيدي، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ — ١٩٧١م، مطبعة الأندلس، بغداد، ١٩٧٦م، ص١٩ .

٢٤ — أحمد محمود صبحي ومحمود علي الداود، البحرين ودعوى إيران، مطبعة عوف، الإسكندرية، ١٩٦٢م، ص٣٢ .

٢٥ — علي أباحسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، البحرين، ١٩٩٦م، ص١٠٨ .

٢٦ — علي أباحسين، المصدر السابق، ص١٠٩ .

٢٧ — أنور عبد العليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، الكويت، ١٩٧٩م، ص٢٢ .

٢٨ — علي أباحسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهند، مجلة الوثيقة، العدد السابع عشر، السنة التاسعة، ١٩٩٠م، ص٧٥ .

٢٩ — محمد متولي، حـوض الخليج العربي، الـجزء الأول، مكتبة الأنجلـو المصرية، ١٩٧٥م، ص٣٠٥ .

٣٠ — محمد متولي، المصدر السابق، ص٣٠٥ .

٣١ — 31 - Belgrave. J.H, Welcome to Bahrain, London, 1970, P. 12.

٣٢ — 32 - Ibid, P. 8.

٣٣ — إبراهيم شريف، الشرق الأوسط دراسة لاتجاهات سياسة الاستعمار حتى قيام ثورة ١٤ تموز (يوليو) ١٩٥٨م في العراق، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد، السلسلة السياسية، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٥م، ص٢٤ .

٣٤ — محمد متولي، المصدر السابق، ص٢٠ .

٣٥ — محمد صالح ربيع العجيلي، مدن الموانئ العربية — تحليل جيو استراتيجي، دار الشئون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٢م، ص٢٥ .

٣٦ — طارق فتحي سلطان، العرب والصين في العصور الوسطى، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الموصل، ١٩٨٠م، ص١٥١؛ كذلك أنظر : أنور عبد الحليم، المصدر السابق، ص٢٢ .

٣٧ — محمد متولي، المصدر السابق، ص٢٢ .

٣٨ — أ.د. كوبرا، جغرافية النقل البحري، ترجمة ربيع عبد الله الملط، القاهرة، ١٩٧٥م، ص٣١ .

٣٩ — علي أباحسين، العلاقات التاريخيـة بين البحرين والهند، مجلة الوثيقة، المصدر السابق، ص٤٨ .

٤٠ — مؤلف مجهول، السلوة في أخبار الكلوة، وزارة التراث القومي والثقافـة، سلطنة عمـان، ١٩٨٠م، ص٨ .

٤١ — أحمد إسماعيل عجاج، العراق في الفترة٨٦٩ — ٨٩٢، دراسة في الأوضاع الاقتصادية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٧م، وهي غير منشورة، ص١١٣ .

٤٢ — جمال زكريا قاسم، عمان وشرق أفريقيا، حصاد ندوة الدراسات العمانية، المجلد الثالث، الطبعة الثانية، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، ١٩٨٠م، ص١٤٥ — ١٤٦ .

٤٣ — 43 - Dickson, The Arab of the Desert, Pearl Stories, (Allen Inwin), London, 1967, P.49.

٤٤ — 44 - Marlowe, Persian Gulf in the Twentieth Century, London, 1962, P. 38.

٤٥ — حسين حميد كريم وحسن هاشم سلمان، جيولوجيا الخليج العربي، منشورات مركز علوم البحار، جامعة البصرة، ١٩٨٨م، ص١٠٨ .

٤٦ — التوم الطالب محمد يوسف، تاريخ الخليج الإسلامي منذ الفتح الإسلامي حتى أواخر القرن الرابع الهجري، الجزء الأول، البحرين، المطبعة العصرية، دبي، ١٩٨٥م، ص٣٣ .

٤٧ — الأخوار : ألسنة من البحر تتوغل في الأرض اليابسة وتمتد لبضعة كيلومترات ؛ أنظر : محمد متولي، المصدر السابق، ص٣٥ .

٤٨ — محمد صالح ربيع العجيلي، المصدر السابق، ص١٩ .

٤٩ — محمد متولي، المصدر السابق، ص٧٢ .

٥٠ — إبراهيم شريف، المصدر السابق، ص٢٤ .

٥١ — صباح ناجي الموسوي وحسين حميد كريم، مقدمة في الجيولوجيا البحرية، منشورات مركز علوم البحار، جامعة البصرة، مطبعة الحكمة، ١٩٩٩م، ص٥٢٤ .

٥٢ — ج.ج لوريمر، دليل الخليج، القسم الجغرافي، الجزء الأول، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، ص٢٩٧ .

٥٣ — محمد متولي، المصدر السابق، ص٢٩٨ .

٥٤ — سعدي علي غالب، النقل البحري، دراسJJJة في جغرافية النقل، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، ص١٥٥ .

٥٥ — تتكون الشعاب المرجانية نتيجة لعدة أسباب منها قلة أعماق المياه، إذ لا يتجاوز عشرة أمتار وكذلك وجود الحرارة المناسبة حيث تتراوح بين ١٨ — ٣٢°، إضافة إلى توفر أشعة الشمس والضوء وحركات المياه والتيارات القادمة من الشمال، ولمزيد من التفاصيل أنظر : حكومة البحرين، المصدر السابق، ص٤ .

٥٦ — **56 - Wellsted, J.R., Travels in Arabia, London, 1838, P. 256.**

٥٧ — محمد صالح ربيع العجيلي، المصدر السابق، ص٢١ .

٥٨ — أحمد رمضان شقلية، الجغرافية الاقتصادية لجزر البحرين، دراسة جغرافية واقتصادية، الطبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٨٠م، ص٢٧ .

٥٩ — محمد متولي، المصدر السابق، ص٢٨٦ .

٦٠ — إبراهيم شريف، المصدر السابق، ص٢٥ .

٦١ — إلهام محمود كاظم الجادر، البصرة، دراسة في أوضاعها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية (١٨٠٣ — ١٨٦٩)، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد، وهي غير منشورة، ١٩٩٠م، ص١٩١ .

٦٢ – عبد الكريم محمود غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠ – ١٩١٨، الجزء الأول، مطبعة جامعة دمشق، دمشق، ١٩٦٠م، ص٢٥٣ .

٦٣ – فاضل حسين البراك، البحرين لؤلؤة الخليج العربي والأطماع الفارسية، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، المجلد الرابع عشر، العدد الثاني، ١٩٨٢م، ص١٤ .

٦٤ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٢٧ .

٦٥ – أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٢٢٤ .

٦٦ – أحمد رمضان شقلية، المصدر السابق .

٦٧ – 67 - Belgrave, Op. Cit, P.8.

٦٨ – 68 - Encyclopedia Britannica. Vol. I. P. 802.

٦٩ – فاضل حسين البراك، المصدر السابق، ص٢٠ .

٧٠ – سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، المصدر السابق، ص٥١ .

٧١ – سليم طه التكريتي، الصراع على الخليج العربي، وزارة الثقافة والإرشاد، بغداد، ١٩٦٦م، ص ٣٣ ؛ كذلك أنظر إبراهيم العبيدي، المصدر السابق، ص٢٢ .

٧٢ – منصور الجمري، قراءة معاصرة في تاريخ البحرين، ٢٠٠٢م، ص١ . منشور على الإنترنت على الموقع التالي :

(http://www-vob-org/arabic/Troth/Truth39-him)

٧٣ – ب. ج. سلوت، شركة الهند الشرقية الهولندية، مجلة الوثيقة، البحرين، العدد التاسع، ١٩٨٥م، ص٦٤ .

٧٤ – هيفاء عبد العزيز الربيعي، غزاة في الخليج – الغزو الهولندي للخليج العربي والمقاومة العربية، دراسة تاريخية، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٩م، ص٦٨ .

٧٥ – إن الشخص الذي أرسلوه وهو (هيوبوست كوسترس) لم يكن يتمتع بكفاءة عالية .

٧٦ – وثيقة عثمانية، دار الوثائق القومية، القاهرة، محفظة رقم ٢٦٧، عابدين، تاريخها ٦/٤/ ١٨٣٩ ؛ أنظرها في، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، من وثائق الجزيرة العربية في عصر محمد علي ١٨١٩ – ١٨٤٠م، المجلد الأول، دار المتنبي للنشر والتوزيع، قطر، ١٩٨٢م، ص ٦٦٠ . وللمزيد من التفاصيل عن التوجهات البرتغالية والعثمانية نحو البحرين، أنظر : صالح أوزبران، الأتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ – ١٥٨١م، ترجمة وتعليق عبد الجبار ناجي، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٩ .

٧٧ – محمود على الداود، أحاديث عن الخليج العربي، وزارة الإرشـــاد ، بغداد، ١٩٦٠م، ص٩ .

٧٨ – السماك محمد أزهر سعيد وهاشم خضير الجنابي، الخليج العربي، الطبعة الثالثة، ١٩٦٨م، ص٣٨٢ .

٧٩ – إبراهيم العبيدي، المصدر السابق، ص٢٦ . كذلك طهبوب، المصـــدر الســـابق، ص٥١ .

٨٠ – العتوب : جمع عتبي وهو حلف يضم أفخاذاً كثيرة تنتمي لعدة قبائل تربطها في الأصل وشائج القربى وتصاهرت فيما بينها وأصبحت تمثل قبيلة العتوب الواحدة . وقبائل العتوب كانت تشكل حلفاً كبيراً من آل خليفة وآل صباح والجلاهمة الذين ينتمون إلى قبيلة عنزة . وتصاهرت هذه العوائل ضمن قبيلة واحدة وكانوا يقطنون في منطقة الهدار في مقاطعة الأفلاج في نجد ثم ارتحلوا عنها مع بداية القرن الثامن عشر واتجهوا نحو سواحل الخليج العربي . أنظر : حسن عبد الله، البحرين وآل خليفة، شباط (فبراير)، ١٩٩٩م، بحث منشور على الإنترنت على الموقع :

(http://www.vob.org/arabic/truth/truth39.htm.p.1.)

٨١ – عثمان بن سند البصري، سبائك العسجد في أخبار أحمد نجل رزق الأسعد، بومباي، مطبعة البيان، ١٨٧٩م، ص١٨ .

٨٢ – وعنزة قبيلة كبيرة كانت تنتشر في مناطق واسعة وتنقسم إلى أفخاذ كثيرة أكبرها جميلة . وتنقسم جميلة إلى فصائل أشهرها بنو عتبة . أنظر : فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٣٥ .

٨٣ – 83 - Belgrave, Op. Cit. P. 129.

٨٤ – ابن منظور، لسان العرب، بيروت، ١٩٥٥، ص٥٧٩ .

٨٥ – أنظر خارطة رقم (٢) .

٨٦ – 86 -Dickson. H.R., Kuwait and her Neighbour, London, 1956, P. 26.

٨٧ – 87 - Ibid, P. 27.

٨٨ – أرشيف رئاسة الوزراء العثماني في استنبول، دفاتر المهمة رقم ١١١، ص٧١٣، من والي البصرة علي باشا إلى سلطان العثماني بتاريخ ٢١ رجب ١١٣هـ الموافق لعام ١٧٠١م ؛ مقتبس من فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٣٨ . وللمزيد من التفاصيل حول تواجد العتوب في البحرين منذ بداية القرن الثامن عشر، أنظر : علي أباحسين، دراسة في تاريخ العتوب، مجلة الوثيقة، العدد الأول، السنة الأولى، ١٩٨٢م .

٨٩ – الأفلاج : نظام فريد للحصول على المياه الجوفية، والفلج عبارة عن نفق اصطناعي يمتد أفقياً في الطبقات الصخرية بميل خفيف يساعد على انحدار الماء فيه، وفيه تتجمع المياه الباطنية بطريق التسرب ثم تتخصر نحو نهايته حيث توجد الأراضي الزراعية التي يراد ريها ؛ محمد متولي، المصدر السابق، ص٢١١ .

٩٠ – يوسف بن عيسى القناعي، صفحات من تاريخ الكويت، ١٩٥٤م، ص٩٩ .

٩١ – رأس تنورة : وهي منطقة واقعة بين البحرين والإحساء .

٩٢ – محمود بهجت سنان، تاريخ قطر العام، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٦م، ص٦٣ .
٩٣ – أماكن تاريخ هجرة العتوب من الهدار في نجد فليس هنالك تاريخ محدود ولكنه ارتبط بهجرة قبيلة عنزة بسبب القحط وذلك في أواخر القرن السابع عشر الميلادي وللمزيد من التفاصيل أنظر : فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٣٨ .
٩٤ – محمد بن خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، المطبعة المحمودية، الطبعة الثانية، ص١٢٨ .
٩٥ – سيف مرزوق الشملان، من تاريخ الكويت، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م ؛ كذلك أنظر : يوسف بن عيسى القناعي، المصدر السابق، ص٩٩ .
٩٦ – محمد بن خليفة النبهاني، المصدر السابق ص١٢٩ .
٩٧ – علي أباحسين، صفحات من تاريخ البحرين وفق الوثائق العثمانية، مجلة الوثيقة، العدد الرابع والعشرون، ١٩٩٤م، ص١٧٢ .
٩٨ – عبد العزيز المنصور وفتوح الخترش، نشأة قطر وتطورها السياسي – دراسة تاريخية، مطابع دار اليقظة، الكويت، ١٩٧٧م، ص٣٩–٤٠ .
٩٩ – فتحية البراوي، الخليج العربي – دراسة في تاريخ العلاقات الدولية والإقليمية، منشأة المعارف ، الإسكندرية، د.ت.، ص٢٣٢ .
١٠٠ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٤٣ ؛ كذلك أنظر : النبهاني، المصدر السابق، ص ١١٩ .
١٠١ – الزبارة لغةً، الخوصة حين تخرج من النواة، أنظر : ابن منظور، المصدر السابق، ص٤٠٤ .
١٠٢ – 102 - Dickson, OP. Cit., P. 25.
١٠٣ – آل مذكور : قبائل عربية تسكن الساحل الشرقي من الخليج العربي، ويعود أصلهم إلى عرب الطاريش من عمان واستوطنوا بوشهر عام ١٦٤٦م وانتهزوا فرصة وفاة نادر شاه عام ١٧٤٧م فقاموا بالاتفاق مع كريم خان الزند للاستيلاء على البحرين وحكمها مقابل أن يدفعوا لكريم خان مبلغاً قدره أربعة آلاف تومان سنوياً مع عائدات بوشهر والبحرين، وقد تمكن الشيخ نصر آل مذكور من احتلال البحرين عام ١٧٥٣م ؛ أنظر : فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٤٦ ؛ وكذلك محمد بن خليفة النبهاني، المصدر السابق، ص١١٥ .
١٠٤ – ميمونة خليفة الصباح، علاقات الكويت الخارجية خلال القرن الثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، العدد ٣٩، السنة الخامسة عشرة، ١٩٨٨م، بغداد، ص٩٣ .
١٠٥ – الهولة : وهم من السلالات العربية الموجودة في البحرين وقطر وساحل عمان، هاجروا إلى الضفة الشرقية من الخليج العربي منذ عدة أجيال ثم عادوا إلى الإمارات العربية ومهنتهم الرئيسية الملاحة والصيد، أنظر : علاء الدين نورس، السياسة الإيرانية في الخليج العربي إبان

حكم كريم خان ١٧٥٧ – ١٧٧٩م، معهد البحوث والدراسات العربية، بغداد، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الكويت، ١٩٨٢م، ص١٣ .

١٠٦ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٥٠ .

١٠٧ – 107 - Bombay Government, Selection from the records of Bombay Government. No. XXIV. "Historical sketch of the Uttoobe of Arabs", Bahrain, 1716-1853, Bombay, 1856, p. 362.

وسيشار إليه مستقبلاً بالاختصار التالي (Bombay selections of Uttoobe)

١٠٨ – أما بالنسبة إلى الروايات المحلية، فإنها تعزو تلك الهجرة إلى خلافات كانت قائمة بين بني كعب – الذين كانوا يسيطرون على عربستان بقيادة الشيخ سلمان – وشيخ الكويت . وأن بني كعب كانوا يطمحون في ضم الكويت لنفوذهم، فلم يتحمل آل خليفة هذه المضايقات من بني كعب، خاصة وأنهم طلبوا من آل صباح الذين وافقوهم بأن يدفعوا إتاوة لهم، بينما رفض آل خليفة ذلك، وبذلك فإنهم فضلوا الهجرة على البقاء . وهناك من يرى أن اختيار عبد الله بن صباح (١٧٦٤–١٨١٥) كان سبباً في هجرة آل خليفة إذ أنهم كانوا يطمحون في أن يؤول الحكم إليهم بعد وفاة عمهم صباح الأول، وهذا ما جعل آل خليفة غير راضين ومن ثم فكروا بالتوجه إلى قطر واختاروا النزول في الزبارة . وللمزيد من التفاصيل أنظر: سليم طه التكريتي، المقاومة العربية في الخليج العربي، المصدر السابق، ص٨٨–٩١ ؛ كذلك أنظر محمد بن خليفة النبهاني، المصدر السابق، ص١١٩ ؛ وكذلك أنظر : يوسف بن عيسى القناعي، المصدر السابق، ص١٠ .

١٠٩ – أحمد مصطفى أبوحاكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربية في العصور الحديثة، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٦٧م، ص٧٦ .

١١٠ – 110 - Bombay selections of Uttoobe, P. 362-363.

١١١ – أحمد مصطفى أبوحاكمة، المصدر السابق، ص٨٠ .

١١٢ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٤٣ .

١١٣ – محمود بهجت سنان، المصدر السابق، ص٦٣ .

١١٤ – 114 - Bombay selections of Uttoobe, P. 364.

١١٥ – محمد بن خليفة النبهاني، المصدر السابق، ص١٢١ .

١١٦ – أحمد مصطفى أبوحاكمة، المصدر السابق، ص٧٩ .

١١٧ – 117 - Dickson, Op, Cit., P. 26.

١١٨ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٤٣ .

١١٩ — الحويلة : من أقدم مدن قطر، وتقع في الطرف الشمالي من قطر، وكانت مقر آل مسلم وكذلك تسكنها قبيلة آل بو عينين وآل بن علي ولمزيد من التفاصيل أنظر : عبد العزيز محمد المنصور، التطور السياسي لقطر في الفترة ١٨٦٨-١٩١٦م، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، ص١٨ .

١٢٠ — بني خالد : ويرجع أصلهم إلى ربيعة، وهم من القبائل العربية التي كانت تقطن شرقي الجزيرة العربية وفرضوا سيطرتهم على الإحساء والقطيف وما جاورها من المناطق في منتصف القرن السابع عشر واستمروا في حكمهم حتى تغلب عليهم السلفيون في العقد الأخير من القرن الثامن عشر ؛ فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، مطبعة الريان، ١٩٦٨، ص ١٥٤-١٥٥ .

١٢١ — أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص٨٠ .

١٢٢ — محمد شريف الشيباني، إمارة قطر بين الماضي والحاضر، الجزء الأول، بيروت، ١٩٦٢م، ص٣٩ .

١٢٣ — أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٢٤١ .

١٢٤ — فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٤٤ .

١٢٥ — حكومة البحرين، البحرين على طريق التقدم، مطابع وزارة الإعلام، دولة البحرين، ص١٢-١٣ .

١٢٦ — 126 - Bombay selections of Uttoobe.

١٢٧ — فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٤٥ .

١٢٨ — ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الرابع، ترجمة مكتب أمير دولة قطر، ص١٨٥٢ .

١٢٩ — كريم خان الزند : وهو ابن قاطع طريق يدعى "إيماك"، وعندما توجه نادر شاه إلى الهند جند أعداداً من قبيلة زند واصطحبهم معه، وكان كريم خان في رفقته جندياً وتقدم حتى صار ضابطاً وكان معروفاً بالطموح والشجاعة . وللمزيد عنه أنظر : علاء الدين نوري، المصدر السابق، ص١٧ .

١٣٠ — استمر الاحتلال الفارسي للبصرة حتى عام ١٧٧٩م بعد هزيمة الفرس في موقعة أبي حلانة، وللمزيد من التفاصيل أنظر : لونكريك، ستيفن هميسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر الخياط، الطبعة الرابعة، بغداد، ١٩٦٨م، ص٢٣٢ .

١٣١ — 131 - Belgrave, OP. Cit, P. 129.

١٣٢ — أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص٨٩ .

١٣٣ — 133 - Bombay selections of Uttoobe, P. 365.

١٣٤ — أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص٨٩ .

١٣٥ – أحمد جودة جبار، السياسة البريطانية تجاه البحرين (١٨٢٠-١٨٧١)، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ٢٠٠٢م، وهي غير منشورة، ص٤٤ .

١٣٦ – 136 - Bombay selections of Uttoobe, P. 365.

١٣٧ – نورية محمد ناصر الصالح، علاقات الكويت السياسية بشرقي الجزيرة العربية والعراق العثماني ١٨٦٦-١٩٠٣م، الطبعة الأولى، منشورات ذات السلاسل، ١٩٧٧م، ص٤٩ .

١٣٨ – 138 - Bombay selections of Uttoobe, P. 365.

١٣٩ – بندر ريق : إمارة تقع في الجزء الشمالي من الخليج العربي، ومما يزيد من أهميتها موقع جزيرة خرج التي تقابلها وسط البحر، وتبعد عنها حوالي ٢٣ ميلاً، وقد تعاون حاكمها مع شيخ بوشهر لاحتلال البحرين عام ١٧٥٣م، عندما كانت تسكنها قبيلة الهولة، أنظر : علاء الدين نورس، المصدر السابق ص٣٦ .

١٤٠ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص٨٩ .

١٤١ – ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الأول، ترجمة مكتب ديوان حاكم قطر، الدوحة، ص٢٨٣ .

١٤٢ – إن آل خليفة بدءوا يفكرون في السيطرة على البحرين لاسيما وأن الوهابيين لا يملكون أسطولاً يهددون به البحرين، بل كان معظم ارتكازهم على القوة البرية، وقد ورد ما يفيد بأن الشيخ محمد بن خليفة كان يكن عداوة للوهابيين، أنظر : النبهاني، المصدر السابق، ص١٢٢ .

١٤٣ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص١٠٦ .

١٤٤ – حسين محمد البحارنة، دول الخليج العربي الحديثة وعلاقاتها الدولية وتطور الأوضاع السياسية والقانونية، شركة التنمية والتطوير (بروديكو)، بيروت، ص١٥٤-١٥٥ .

١٤٥ – محمد النبهاني، المصدر السابق، ص١٢٢ .

١٤٦ – ميمونة الصباح، المصدر السابق، ص٩٤ .

١٤٧ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص١٠٦ .

١٤٨ – 148 - Abbas Faroughy, The Bahrain Islands, (1750-1915), Verry, Fisher, and co. New York, 1951, P. 20.

١٤٩ – البِلاد القديم : قرية في البحرين تقع على مقربة من المنامة .

١٥٠ – جمال زكريا قاسم، رحمة بن جابر الجلاهمة، مجلة حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، المجلد التاسع، ١٩٦٤، ص١٨٤ .

١٥١ – 151 - Faroughy, Op. Cit., P. 71.

١٥٢ – محمد بن خليفة النبهاني، المصدر السابق، ص١٢٣ .

١٥٣ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٤٩ .

١٥٤ – عبد المجيد مصطفى وعثمان فيض الله، المصدر السابق، ص٧ .

١٥٥ – محمد بن خليفة النبهاني، المصدر السابق، ص١٢٦ .

١٥٦ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٥١ .

١٥٧ – ومنها قبائل المنانعة وآل السودان والنعيم وعتوب الرويس .

١٥٨ – 158 - Bombay selections of Uttoobe, P. 522.

١٥٩ – جمال زكريا قاسم، المصدر السابق، ص١٧٩–١٩١ .

١٦٠ – محمد بن خليفة النبهاني، المصدر السابق، ص١٢٧ ؛ كذلك أنظر : أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٢٤١ .

١٦١ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص١١٣ .

١٦٢ – حسن عبد الله، المصدر السابق، ص٧ .

١٦٣ – 163 - Bombay selections of Uttoobe, P. 366.

١٦٤ – عباس حسن مجيسر، التطورات السياسية في البحرين ١٨٦٩–١٩٢٣م، رسالة ماجستير مقدمة إلى كليـة الآداب، جامعـة بغـداد، ١٩٩١م، وهي غير منشورة، ص٢١ .

١٦٥ – ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الثالث، ترجمة مكتب ديوان أمير دولة قطر، الدوحة، ١٩٧٧م، ص١٢٧٤ .

١٦٦ – عبد العزيز عبد الغني إبراهيم، بريطانيا وإمارات الساحل العماني، دراسة في العلاقات التعاهدية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٨م، ص١١ .

١٦٧ – ج.ج. لوريمر، دليل الخليج الجزء الثالث، المصدر السابق، ص١٢٧٣ ؛ وكذلك أنظر : نورية محمد ناصر الصالح، المصدر السابق، ص٥٠ .

١٦٨ – عبد الحميد كاظم حمادي الشكري، البحرين – دراسة سياسية ١٨٢٠–١٨٨٠، رسالة ماجستير مقدمة للمجلس العلمي لمركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ١٩٩٠م، وهي غير منشورة، ص٣٠ .

١٦٩ – حيدر المرجاني، جولة في شواطئ الخليج – الكويت، البحرين، القطيف، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ١٩٥٣م، ص١٠ .

١٧٠ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، المصدر السابق، ص١١٤ .

١٧١ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٣٠ .

١٧٢ – خالد خليفة الخليفة، تجارة البحرين منذ فتح العتوب حتى ظهور النفط، مجلة الوثيقة، العدد السابع السنة الرابعة، ١٩٨٥م، ص٣٧ .

١٧٣ – محمد الرميحي، قضايا التغير السياسي والاجتماعي في البحرين ١٩٢٠–١٩٧٠م، مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع، الكويت، ١٩٧٦م، ص٧١ .

١٧٤ – جان جاك بيربي، الخليج العربي، المصدر السابق، ص١٦١ ؛ وكذلك أنظر : النبهاني، المصدر السابق، ص٢٤ .

١٧٥ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٢٩ .

١٧٦ – خضير نعمان العبيدي، البحرين من إمارات الخليج العربي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٩ م، الطبعة الأولى، ص١٥٧ .

١٧٧ – محمد متولي ومحمود أبو العلا، الموارد الاقتصادية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ت. ص٣٠٦ .

١٧٨ – **178 - Mohamed G. Rumaihi, Bahrain, Social and political Change since the first war, Kuwait, 1975, P. 54.**

١٧٩ – أحمد رمضان شقلية، المصدر السابق، ص٣٣٢-٣٣٤ .

١٨٠ – **180 - Bombay selections of Uttoobe, P. 565.**

كذلك أنظر : النبهاني، المصدر السابق، ص١٧ .

١٨١ – صلاح العقاد، معالم التغيير في دول الخليج العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢م، ص٥١ .

١٨٢ – جان جاك بيربي، الخليج العربي، المصدر السابق، ص١٥٨ ؛ كذلك أنظر : محمد الرميحي، المصدر السابق، ص٧٢ .

١٨٣ – س.ب. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ترجمة محمد أمين عبد الله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٢م، ص٣٤٤ .

١٨٤ – محمد غانم الرميحي، البترول والتغير الاجتماعي في الخليج العربي، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٥م، ص٣٣ .

١٨٥ – صبري فارس الهيتي، الخليج العربي – دراسة في الجغرافية السياسية، دار الرشيد للنشر، الطبعة الثانية ١٩٨١م، ص٢٦٨ .

١٨٦ – أحمد قاسم البوريني، الإمـارات السبع على الساحل الأخضـر، دار الحكمة، ١٩٥٧م، ص٥٧ .

١٨٧ – يوجد الكثير من أسماء السفن .

١٨٨ – خضير نعمان العبيدي، المصدر السابق، ص١٥٩ .

١٨٩ – لكاتب البحث صفحات في مناقشة الأسماء .

١٩٠ – أحمد محمد العبد الله، المكانة الاجتماعية في مجتمع الغوص، أبحاث الحلقة الرابعة للمراكز والهيئات المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، مركز الوثائق والدراسات أبوظبي، دولة الإمارات العربية المتحدة، ١٩٨٢م، ص٣٣١ ؛ كذلك أنظر : سيف مرزوق

الشملان، تاريخ الغوص على اللؤلؤ في الكويت والخليج العربي، الجزء الأول، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، ص٢٧٤ .

١٩١ — ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء السادس، المصدر السابق، ٣٠٦٣ .

١٩٢ — فوزية العطية، الأوضاع الاجتماعية في الخليج العربي إبان الغزو البرتغالي، مجلة الوثيقة، العدد السادس والعشرون، السنة الثالثة عشرة، ١٩٩٤م، ص١٠٦ .

١٩٣ — سيف مرزوق الشملان، المصدر السابق، ص٢٧٢ .

١٩٤ — الحصاة : عبارة عن كتلة من الرصاص وليست من الصخر ومهمتها مساعدة الغواص في النزول إلى قاع البحر بفضل وزنها الثقيل .

١٩٥ — أليدا : عبارة عن حبل متين يربط في طرفه كيس من الشبك، إذ ينزل الغواص بهذا الطرف إلى قاع البحر ويبقى الطرف الآخر على ظهر السفينة عند السيب .

١٩٦ — محمد أنور فايد، صيد اللؤلؤ في أبوظبي، مجلة التراث الشعبي، العدد الثامن، السنة الثالثة، ١٩٧٢م، ص١٨ .

١٩٧ — الفطام : وهو من عظام السلحفاة ويضعه الغواص على أنفه .

١٩٨ — الخبط : ويصنع من جلد البقرة ويستعمله الغواص لحماية أصابعه عندما يجمع المحار .

١٩٩ — أحمد محمد العبد الله، المصدر السابق، ص٣٣٥ .

٢٠٠ — الدجاجة : هي سمكة سامة تشبه الدجاجة العادية الجالسة على بيضها، وفي جسمها أشواك سامة تضرب بها .

٢٠١ — عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، الجزء الأول، المطبعة العصرية، ١٩٧٦م، ص٨٥ .

٢٠٢ — 202 - The Bahrain Government, Annual Reports (1924-1956), Editions, 1986, P. 520.

٢٠٣ — الطواويش : وهم التجار الذين يجمعون اللؤلؤ ويبيعونه بعضهم على بعض .

٢٠٤ — 204 - Mohamed G. Rumaihi, OP.CIT. P. 55.

٢٠٥ — النوخذة : هو الشخص الذي يقود السفينة والذي يكون عارفاً بأسرار المهنة، أنظر : خضير عباس محمد علي، التنمية الزراعية في بعض أقطار الخليج العربي واقعها وآفاتها المستقبلية، منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٢م، ص٤٣ .

٢٠٦ — السيب : وهو الذي يقوم بعملية رفع الغيص عن طريق جر الحبل الذي يكون مربوطاً بالغواص ويساعده في عمله هذا الرضيف ؛ أنظر : عبد العزيز محمد النصور، الكويت وعلاقتها بعربستان والبصرة ١٨٩٦-١٩١٥م، منشورات ذات السلاسل، الكويت، ١٩٨٠م، ص٢٨ .

٢٠٧ — عبد العزيز الرشيد، تاريخ الكويت، وضع حواشيه وأشرف على تنسيقه يعقوب عبد العزيز الرشيد، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، ص٦٦ .
٢٠٨ — أحمد محمد العبد الله، المصدر السابق، ص٣٣٣ .
٢٠٩ — عبد العزيز محمد المنصور، المصدر السابق، ص٤٣ .
٢١٠ — سيف مرزوق الشملان، المصدر السابق، ص١٧٤ ؛ وكذلك أنظر :
Bombay Selections of Uttoobe, P. 560.
٢١١ — محمد متولي، حوض الخليج العربي، الجزء الثاني، الأوضاع السياسية والاقتصادية، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية، ص١٤٨ .
٢١٢ — شاكر خصباك، دولة الإمارات العربية المتحدة، دراسة في الجغرافية الاجتماعية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧م، ص٩٣ .
٢١٣ — أحمد رمضان شقلية، المصدر السابق، ص٣٢٠ .
٢١٤ — شاكر خصباك، المصدر السابق، ص٩٤ .
٢١٥ — محمد متولي، حوض الخليج العربي، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص٣٩١ .
٢١٦ — أحمد رمضان شقلية ،طرق ووسائل الصيد البحري في إمارات الخليج العربي، مجلة الخليج العربي، العدد الأول، المجلد الثاني عشر، ١٩٨٠م، ص٢١٠-٢١٢ .
٢١٧ — أحمد رمضان شقلية، الجغرافية الاقتصادية لجزر البحرين، ص٢٧٤ .
٢١٨ — شاكر خصباك، المصدر السابق، ص٩٦ .
٢١٩ — عبد العزيز محمد المنصور، المصدر السابق، ص١٩ .
٢٢٠ — محمد السيد غلاب، مبادئ الجغرافية الاقتصادية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٢٥٧ .
٢٢١ — أمين الريحاني، المصدر السابق، ص٢٢٦ .
٢٢٢ — ليس هدف البحث الدخول في تفاصيل التجارة، وإنما سيتناول البحث هذا الأمر قدر تعلقه بالنشاط الملاحي وحركة السفن التجارية، علماً أن النشاط الأخير يتداخل مع النشاط التجاري .
٢٢٣ — ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، الجزء الثالث، ص١٢٧٤ .
٢٢٤ — مصطفى مراد الدباغ، جزيرة العرب موطن العرب ومهد الإسلام، الجزء الثاني، منشورات الطليعة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٦٣م، ص٢٢٣ .
٢٢٥ — صلاح عريبي عباس العبيدي، غرفة تجارة وصناعة البحرين — النشأة والتطور، مجلة الوثيقة، العدد الخامس والأربعون، السنة الثالثة والعشرون، ٢٠٠٤م، ص٧٣ .

٢٢٦ – إبراهيم خليل أحمد، بدايات التحدي الاجتماعي والفكري الأجنبي في أقطار الخليج العربي، مجلة المؤرخ العربي، العدد الثلاثون، بغداد، ١٩٨٦م، ص٢١ .

٢٢٧ – إبراهيم صيهود عبد السيد الأنصاري، الحركة الفكرية في البحرين ١٩١٤-١٩٦٧، دراسة تاريخيـــة، رسالة ماجستير مقدمة إلى معهد التـاريخ العربي، ٢٠٠٠م، وهي غير منشورة، ص٢٦ .

٢٢٨ – إبراهيم عبد الكريم محمد، البحرين وأهميتها بين الإمارات العربية، الشركة العربية للوكالات والتوزيع، البحرين، بدون تاريخ طبع، ص٢٩ .

٢٢٩ – ج.ج. لوريمر، القسم التاريخي، الجزء الأول، ص٢٦٥ .

٢٣٠ – فائق حمدي طهبوب، المصدر السابق، ص٢٩ .

٢٣١ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، محاضرات في تاريخ شرقي الجزيرة العربيـة، المصدر السابق، ص٤٣ .

٢٣٢ – ج.ج. لوريمر، القسم التاريخي، الجزء السادس، ص٣٠٧٧ .

٢٣٣ – **233 - C.U. Aitchison. B.C.S, A Collection of Treaties, Engagement and Sanads, Relating to India and Neighbouring Countries, Delhi, 1933, P. 190.**

٢٣٤ – **234 - Bombay selections of Uttoobe, P. 560.**

٢٣٥ – علي أباحسين و ب. ك. ناراين، وثائق تاريخية عن صيد اللؤلؤ في البحرين، مجلة الوثيقة، العدد العاشر، السنة الخامسة، البحرين، ١٩٨٧م، ص١٣٨ .

٢٣٦ – محمد بن خليفة النبهاني، المصدر السابق، ص٢٩-٣٠ .

٢٣٧ – عطية القوصي، البحرين وتجارة الدولة العباسية، مجلة الوثيقة، العدد السابع والعشرون، السنة الرابعة عشرة، ١٩٩٥م، ص٤٦ .

٢٣٨ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث، ١٧٥٠-١٩٦٥م، مطبعة ذات السلاسل، الطبعة الأولى، الكويت، ١٩٨٤م، ص٢٨٢ .

٢٣٩ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، الجزء الأول، القسم الثاني، الطبعة الأولى، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٧٠م، ص٣٣-٣٤ .

٢٤٠ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث، المصدر السابق، ص٢٩٠ .

٢٤١ – **241 - Bombay selections of Uttoobe, P. 566.**

٢٤٢ – **242 - Bombay selections of Uttoobe, P. 568.**

٢٤٣ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريـــخ الكويت، الجزء الأول، القسم الثاني، المصدر السابق، ص٣٣ .

٢٤٤ – صالح محمد العابد، موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي (١٧٩٨-١٨١٠م)، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٧٩م، ص٤٨ .
٢٤٥ – المزيد من التفاصيل عن الغزو الفارسي للبصرة، أنظر :
John R., Perry; Karim Khan Zand, A History of Iran, 1747-1779. (Chicago, 1976).
٢٤٦ – الكسندر أداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، الجزء الثاني مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٩م، ص٢٢٤ .
٢٤٧ – قحطان عبد الستار الحديثي، البحرين في المصادر الجغرافية، دراسة في أحوالها الإدارية والاقتصادية، مجلة الخليج العربي، مركز دراسات الخليج العربي، العدد الثاني، المجلد السادس عشر، ١٩٨٤م، ص٤٨ .
٢٤٨ – يعقوب سركيس، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والآثار، تقديم رافائيل بطي ومير بصري، القسم الثاني وهي المباحث المنشورة في المجلات والجرائد العراقية ١٩٣٥-١٩٤٨م، شركة التجارة والطباعة المحدودة، بغداد، ١٩٥٥م، ص٢٧٤ .
٢٤٩ – يعقوب سركيس، المصدر نفسه، ص٢٧٤ .
٢٥٠ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، الجزء الأول، القسم الثاني، المصدر السابق، ص٣١ .
٢٥١ – ج.ج. لوريمر، القسم الجغرافي، الجزء الأول، المصدر السابق، ص٣١٠ .
٢٥٢ – ج.ج. لوريمر، القسم التاريخي، الجزء السادس، المصدر السابق، ص٣٠٧٧ .
٢٥٣ – مصطفى مراد الدباغ، جزيرة العرب، المصدر السابق، ص٢٢٤ .
٢٥٤ – اسماعيل نوري الربيعي، نشاط عمان البحري خلال القرن الثامن عشر، مجلة الوثيقة، العدد الرابع والعشرون، السنة الثانية عشرة، ص٧٩ .
٢٥٥ – ج.ج. لوريمر، القسم التاريخي، الجزء الثاني، المصدر السابق، ص٦٥٨ .
٢٥٦ – ج.ج. لوريمر، القسم التاريخي، الجزء الأول، المصدر السابق، ص٢٥٨ .
٢٥٧ – ألين، كالفن إيتش، دولة مسقط في الخليج وشرق أفريقيا (١٧٨٥-١٨٢٩م)، مجلة الوثيقة، العدد الرابع والثلاثون، السنة العاشرة، ١٩٩٨م،ص٧٤ .
٢٥٨ – هنا لا نريد الدخول في تفاصيل النشاط الملاحي العماني إلا بقدر تعلقه بموضوع البحث، وللمزيد ينظر : بشري كاظم عودة، نشاط عمان الملاحي ١٧٤٩-١٨٥٦م، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية التربية، جامعة البصرة، ٢٠٠٢م، وهي غير منشورة .
٢٥٩ – خضير نعمان العبيدي، المصدر السابق، ص٢١٢ .
٢٦٠ – ج.ج. لوريمر، القسم الجغرافي، الجزء الأول، المصدر السابق، ص٣٤٩ .
٢٦١ – المصدر نفسه، ص٢٥٨ .

٢٦٢ – فاضل محمد الحسيني، التجارة في عمان خلال عهد أحمد بن سعيد١٧٤٩-١٧٨٣م، مجلة الوثيقة، العدد الرابع والعشرون، السنة الثانية عشرة، ص٩٤ .

٢٦٣ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، الجـزء الأول، القسم الأول، المصدر السابق، ص٣١ .

٢٦٤ – صالح محمد العابد، المصدر السابق، ص١١٢ .

٢٦٥ – 265 - Wellested, Op. Cit., P. 25.

٢٦٦ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، الجـزء الأول، القسم الأول، المصدر السابق، ص١٤٤ .

٢٦٧ – عبد الأمير محمد أمين، المصالح البريطانية في الخليج العربي، ١٧٤٧- ١٧٧٨م تعريب هاشم كاطع لازم، مراجعة مكي حبيب المؤمن، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧٧م، ص٢٣٢ .

٢٦٨ – جون كيلي، بريطانيا والخليج،١٧٩٥-١٨٧٠م، الجزء الأول ترجمة محمد أمين عبد الله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ص٥٦ .

٢٦٩ – ج.ج. لوريمر، القسم الجغرافي، الجزء الأول، المصدر السابق، ص٣١٠ .

٢٧٠ – جون كيلي، المصدر السابق، ص٥٦ .

٢٧١ – ج.ج. لوريمر، القسم الجغرافي، الجزء الأول، المصدر السابق، ص٣١١ .

٢٧٢ – المصدر نفسه، ص٣١٢ .

٢٧٣ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تـاريخ الكويت، الجزء الأول، القسم الثاني، المصدر السابق، ص٣٢ .

٢٧٤ – النبهاني، المصدر السابق، ص١٢٧ .

٢٧٥ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، محاضـرات في تاريـخ شرق الجزيرة العربية، المصدر السابق، ص٨٥ .

٢٧٦ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، المصدر السابق، ص٢٣ .

٢٧٧ – ج.ج. لوريمر، القسم الجغرافي، الجزء الأول، ص٣١١-٣١٢ .

٢٧٨ – جون كيلي، المصدر السابق، ص٥٤ .

٢٧٩ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، مـحاضرات في تاريخ شـبه الجزيرة العربيـة، ص١١٢ .

٢٨٠ – أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، الجزء الأول، القسم الأول، ص٢٧ .

٢٨١ – ج.ج. لوريمر، القسم الجغرافي، الجزء الأول، المصدر السابق، ص٣٠٩ .

٢٨٢ – خاشع المعاضيدي، العراق والخليج العربي – التاريخ المشترك والمصير الواحد، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٩٠م، ص٩٣ ، وكذلك أنظر : عبد الأمير محمد أمين، المصدر السابق، ص٤١-٤٢ .

٢٨٣ – علي أباحسين، العلاقات التاريخية بين البحرين والهـــند، مجلة الوثيقة، المصدر السابق، ص٧٩ .

٢٨٤ – خالد خليفة الخليفة، المصدر السابق، ص٣٧ .

٢٨٥ – جون كيلي، المصدر السابق، ص٥٢ ؛ كذلك أنظر :

Bombay Selections of Uttoobe, P. 568.

٢٨٦ – أحمد رمضان شقلية، المصدر السابق، ص٤٨٨ .

٢٨٧ – **287 - Mohamed G. Rumaihi, Op.Cit., P. 57.**

٢٨٨ – خضير نعمان العبيدي، المصدر السابق، ص١٥٨ .

٢٨٩ – ج.ج. لوريمر، القسم الجغرافي، الجزء الأول، المصدر السابق، ص٣١١ .

٢٩٠ – عبد الأمير محمد أمين، المصدر السابق، ص٢١٣ .

٢٩١ – **291 - Saldanha: Selections from state papers, Report Malcolm, P. 445.**

نقلاً عن أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت الحديث ١٧٥٠-١٩٦٥م، المصدر السابق، ص٢٨٤ .

٢٩٢ – تقرير صموئيل مانسيتي وهارفورد جونز في ١٧٩٠/٨/١٥م عن حالة التجارة في بلاد العرب الواقعة على الخليج العربي، نقلا عن أحمد مصطفى أبو حاكمة، تاريخ الكويت، الجزء الأول، القسم الثاني، المصدر السابق، ص٣١ .

٢٩٣ – عطية القوصي، المصدر السابق .

٢٩٤ – فوزية العطية، المصدر السابق، ص١٠٤ .

٢٩٥ – بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، الطبعة الأولى مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٠م، ص٣٤ .

٢٩٦ – إبراهيم القادري بوتشيش، في مظاهر العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وشبه القارة الهندية من القرن الأول إلى نهاية القرن الثالث الهجري، مجلة الوثيقة، العدد السابع عشر، السنة التاسعة، ص١٥ .

٢٩٧ – لبيد إبراهيم أحمد وعبد الجبار ناجي، العمق التاريخي لجزر الساحل الشرقي للخليج العربي، دار الحكمة للطباعة والنشر، بغداد، ١٩٩١م، ص٩٨ .

٢٩٨ – جورج فضلو حوراني، العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة يعقوب بكر، مراجعة يحيى الخشاب، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٢٠٧ .

٢٩٩ – عبد الرحمن النجم، عمان في العصور الإسلامية الأولى، ودور أهلها في المنطقة الشرقية من الخليج العربي وفي الملاحة والتجارة الإسلامية، أطروحة دكتوراة مقدمة إلى جامعة بغداد، ١٩٧٥م، ص١٤٤ .

٣٠٠ – بشرى كاظم، المصدر السابق، ص٥٨ .

٣٠١ – أياد حلمي الجصاني، النفط والتطور الاقتصادي والسياسي في الخليج العربي، دار المعرفة، الكويت، د.ت.، ص٣٦ ؛ كذلك أنظر : Dickson, Op. Cit. P. 584

٣٠٢ – شاكر خصباك، المصدر السابق، ص٩٩ .

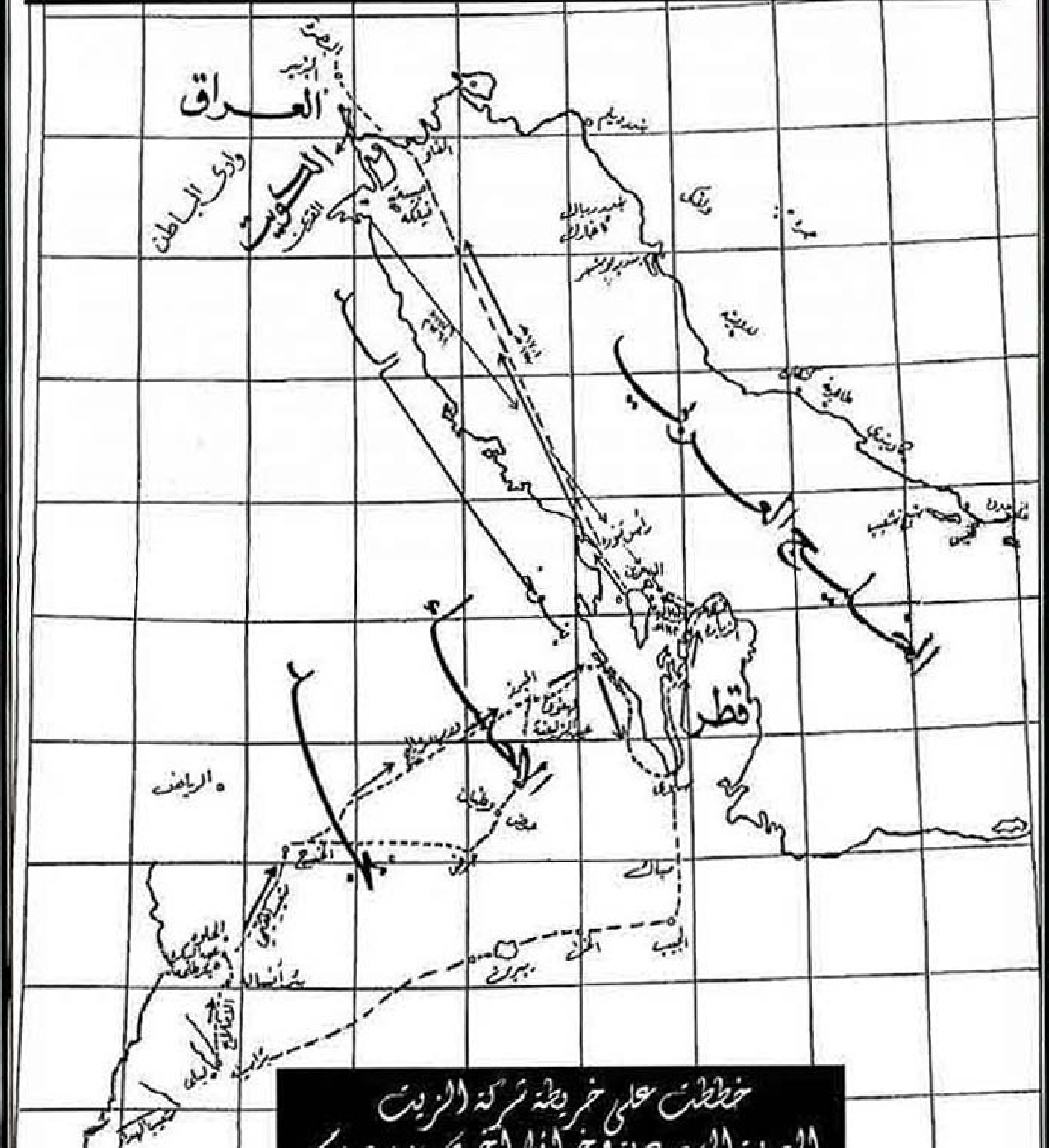
٣٠٣ – عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر، بغداد، ١٩٦٦م، ص٢٢ .

٣٠٤ – جون كيلي، المصدر السابق، ص٥٢ .

٣٠٥ – للباحث متابعة للأماكن المذكورة .

٣٠٦ – خالد خليفة الخليفة، المصدر السابق، ص٣٣ .

خريطة (١) توضح هجرة العتوب من نجد إلى الخليج العربي - أواخر القرن السابع عشر



خططت على خريطة شركة الزيت العربية السعودية وخرائط أخرى ١٩٨٢م
د. علي أباحسين